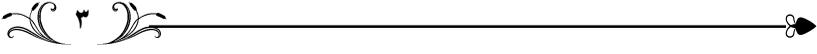


سماریدس





# سما ريدس

روايتا

رياض العربي

اسم الكتاب: سماريدس  
 اسم الكاتب: رياض العربي  
 تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية  
 تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات  
 الإخراج الفني: جمال عبدالرحيم  
 الطبعة / الأولى – يناير ٢٠٢٠ م  
 رقم الإيداع: 4390 / 2020



Arabiclibrary2017@gmail.com

Facebook.com/arabiclibrary2017

## جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كلياً أو جزئياً، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.



## شكر وتقدير واحترام

كل الشكر و التقدير و الاحترام:

الكاتب الدكتور / تامر عطية

الكاتب الأستاذ / جمال عبد الرحيم

الصديق الدكتور / السيد رمضان

دار المكتبة العربية للنشر و التوزيع



## الإهداء

إليها ؛ فهي من :

ساندت ، شجعت ، ناقشت ، حاورت ، وحاولت  
حتى يخرج هذا العمل الأدبي للنور ، فشكرًا لها على كل مناقشة مثمرة معها ،  
و طرحها للعديد من الأفكار والأحداث التي طورت الرواية .  
أرى منها مساندة دائمة ، وتشجيعًا مستمرًا ، وإيمانًا منقطع النظير بموهبتي  
المتواضعة .

لا ينكر الفضل إلا الجاحد ، ولا يتكبر إلا الصغير ، ولا يتباهى بموهبته إلا  
الفاشل .

لذا ؛ وجب شكرها عرفانًا بالفضل ، وردًا للجميل .

"رياضن العربى"



## المقدمة

إن السماء تبكى بدموع الغمام ، و يخفق قلبها بلمعان البرق ، و تصرخ بهدير الرعد ، و إن الأرض تثن بحفيف الريح ، و تضحج بأمواج البحر ، و ما بكاء السماء و لا أنين الأرض إلا رحمة بالإنسان ، و نحن أبناء الطبيعة فلنجارها في بكائها و أنينها .

إن اليد التي تصون الدموع ، أفضل من اليد التي تريق الدماء ، و التي تشرح الصدور أشرف من التي تبقر البطون  
فالمحسن أفضل من القائد و أشرف من المجاهد ، و الفرق كبير بين من يجيى الميت و من يميت الحى .

إن الرحمة كلمة صغيرة و لكن بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس في منظرها و الشمس في حقيقتها.

الأديب

"مصطفى لطفى المنفلوطى"



مالت الشمس للغروب فألقت بأشعتها التي تميل إلى الإصفرار على مملكة "أقناموس" فأصبغت قصر الملك "برقان" باللون الذهبي، حيث كان يحتفل بانتصاره على الممالك المجاورة، وكانت مملكة "أقناموس" تطل على البحر الكبير، ذات أطراف مترامية تضم العديد من المدن الكبيرة.

وكان الملك "برقان" يتميز بالقوة والشجاعة، ورث الملك عن أبيه الملك "سلوان" فلم يدخر جهداً في الحفاظ على مملكته، وصد أى هجوم عليها وعاش الشعب تحت ظله في عدل وأمان.

لكنه لم يُرزق إلا بولد واحد سماه "ساران" فكان يحبه حباً شديداً وأوصى بتعليمه إلى أفضل حكماء المملكة، فنشأ فارساً يعرف الكثير من العلم والحكمة، ولما اشتد ساعده وحاز من القوة والبأس أوصى له بالملك من بعده.

أشار عليه وزيره بأن يتزوج من أخرى حتى ينجب ولداً يقف بجوار أخيه ويصد عنه نوائب الزمن، فرفض الزواج لكنه اتخذ الكثير من الجوارى والمحظيات، وشاءت الأقدار أن تحمل منه جارية من جواريه ففرح بذلك وصار يحسن إليها، فأعتقها وقرر الزواج منها بعد أن تضع حملها.

الجارية تدعى "ميرة" وكانت هدية أرسلها له ملك "بنى دهمان" ضمن مجموعة من الجوارى ومعهن الكثير من التحف والجواهر.

كانت "ميرة" تتميز بالشباب والجمال وفصاحة اللسان وكأنها وُلدت في بيت ملوك قبل أن تصبح جارية، أرسلها الملك إلى مدينة بعيدة عن الأعين حتى يتم

حملها وتضع مولودها خوفاً على شعور ابنه الوحيد الأمير "ساران" وحتى لا يظن أن الجارية ستأتي بمن ينازعه الملك.

مرت أشهر الحمل، وحن وقت الولادة، فوضعت "ميرة" أنثى جميلة فطار الخبر لبيشر الملك "برقان"، ولكن وصل الخبر إلى ابنه "ساران" فغضب من والده أنه أخفى عليه أمر حمل الجارية، ولكنه فرح بأن المولود أنثى.

سافر الملك "برقان" ليطمئن على الجارية وابنتها، ففوجيء بأنها وضعت مولوداً ذكراً، لكن البشير تعجل الأمر ولم يعرف أن الجارية وضعت توأمًا. فرح الملك فرحاً شديداً بالمولودين الجميلين فقد كانا يشبهان البدر فرحت الجارية وفرح كل من حضر، وأطلقت الزغاريد في القصر.

فرح الملك "برقان" واستبشر وقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظر إلى المولود وانحنى وقبله، وضربت الجوارى بالدفوف وأمر الملك أن يسموا المولود "سارى" وأخته "ساريدس" قرر الملك أن تظل الجارية وولديه بعيداً عن ابنه "ساران" الذى لم يعلم بأن والده رزق بولد، لأنه كان مشغولاً فقد ترك له والده أمور تنظيم الجيش، وصد أى هجوم تتعرض له المملكة.

كان الملك "برقان" يزور ولديه كل مدة، حتى صار لديها من العمر أربعة أعوام فكلف من يحسن تربيتهما وتعليمهما.

في أحد الأيام كان الملك "برقان" يجلس مع وزيره الحكيم "يوشهور" فإذا بالحاجب يخبره بقدوم رسل من عند الملك "مرة الأحمر" وكان بينهما معاهدة وحلف، فأذن لهم الملك بالدخول وسألهم عن سبب قدومهم.

فقالوا:

- أيها الملك المعظم "برقان" لقد أرسلنا الملك "مُرة الأحمر" ليعلمك أن "بنى دهمان" هاجموا مراكبنا واستولوا على ما فيها من أموال وثلاث جواهر مباركات ليس هن مثل ولا نظير.

قال الملك "برقان" لهم:

- وكيف حدث هذا؟!!

فقال كبيرهم:

- كانت الهدايا في المراكب متوجه إلينا، حتى خرج عليها بعض قطاع الطرق وفيهم عساكر "بنى دهمان" فأخذوا جميع ما في المراكب من التحف والأموال والذخائر والجواهر المباركات، وقتلوا جميع الرجال.

تعجب الملك من كلامهم، ثم قال:

- وماذا يطلب منا الملك "مُرة الأحمر"؟

قالوا:

- الملك "مُرة الأحمر" يريد المساعدة في تأديب ملك "بنى دهمان" ويرجو من الملك "برقان" أن يرسل معنا المدد والعون.

وقف الملك "برقان" وقال بحزم:

- ألا يعلم الملك "مُرة الأحمر" أننا على مسافة واحدة من ممالككم، لاختلاف عرقنا عن عرقكم ودمائنا عن دمائكم.

لاحظ الملك أن الوزير يشير له برأسه ففهم أن لديه رأياً آخرًا، فأمر باستضافة الرسل وإكرامهم حتى يتشاور مع وزرائه، وما إن خرجوا حتى نظر لوزيره الحكيم وقال له:

- هل لك رأياً فيما قاله الرسل أيها الوزير الحكيم؟  
فانحنى الوزير تحية للملك، وقال:

- عفواً يا جلالة الملك، لكننى أرى أن نساعد الملك "مرة الأحمر" لأنه استجار بنا، وبيننا وبينه معاهدة، فلو هزمنا "بنى دهمان" ينسب النصر لنا وتصل أخبار هذا الانتصار للجميع فيحسبوا لقوتنا ألف حساب ويسرعوا للدخول في طاعتنا وهم محملون بالهدايا والأموال.

استحسن الملك رأى وزيره الحكيم، وأمر باستدعاء ولده "ساران" وإبلاغ الرسل موافقته على طلبهم، وعندما حضر الأمير "ساران" أخبره والده بما قاله الرسل وبما أشار به الوزير، فأيد "ساران" رأى الوزير وطلب من والده أن يجعله على رأس الجيش، رحب الملك بالفكرة وقرر أن يرافقه الوزير حتى يكون مستشاراً له أثناء الحرب، كما أمر بالاستعداد الجيد وتجهيز الجيش بكل ما يحتاج إليه.

وبعد ثلاثة أيام كان الجيش جاهزاً للتحرك، يتقدمه الأمير "ساران" بزيه العسكرى وبجواره الوزير الحكيم، وخلفهم ترفرف رايه المملكة وكان الملك "برقان" فى وداعهم وأوصاهم بأخذ الحيطه والحذر، وأوصى ولده بمشاوره الوزير الحكيم.

دقت الطبول فسار الجيش، ورسلك الملك "مُرّة الأحمر" دليلهم فى الطريق. وكانوا كل ثلاثة أيام ينزلون للراحة والمبيت، حتى مر على سيرهم عشرة أيام ولم يعد يفصلهم عن بلاد "بنى دهمان" إلا غابة كثيفة الأشجار والنباتات، فأمر "ساران" الجنود بأقامة معسكر على مشارف الغابة، فنزل الجند وأقاموا الخيام وتفرقوا طلباً للراحة.

فأراد الأمير "ساران" استكشاف هذه الغابة الكثيفة الأشجار، حتى يؤمن الجيش كما أوصاه والده الملك "برقان" فأسر للوزير بما ينوى فعله فطلب منه الوزير أن يأخذ بعض الحراس معه لأن الليل قد اقترب، لكنه رفض وطمأنه بأنه لن يتأخر، فنزل الوزير على رأيه، فامتطى "ساران" فرسه وبدأ يتجول فى جنبات الغابة، فضل طريق العودة وظل سائراً بفرسه على غيرهدى، حتى مضى نصف الليل فظهر عليه التعب والإرهاق وقرر أن يبيت ليلته فى الغابة حتى بزوغ الفجر فيستطيع تحديد الوجهة التى قدم منها، فنزل من على فرسه وربطه فى شجرة واستلقى بجسده وراح فى نوم عميق.

استيقظ الأمير فوجد نفسه محاطاً بالأشجار الكثيفة من كل ناحية، فأيقن أنه أصبح فى غياهب الغابة وبعد مدة بزغ القمر وأضاء ما حوله، لكنه متحير لا يدرى أين هو ولا إلى أى اتجاه يجب أن يسير فيه ليعود للجيش.

وسط حيرته سمع صوت ضحكات رقيقة تنم عن الرقة والدلال وفعرف أنها ضحكات بعض النساء، فمشى فى اتجاه الصوت حتى سمع امرأة تقول لمن معها: -  
اسرعن فقد قرب موعد شروق الشمس وقد يمر أحد من هنا فىرانا.

اقترب الأمير "ساران" أكثر وأكثر اتجاه الصوت، فرأى نهراً كبيراً تحيط الأشجار شاطئيه ومن خلف الأشجار تظهر قلعة شاهقة في الهواء ساعدته تبشير الصباح على رؤية بخار الماء وهو يتساقط على القلعة.

أخذ يبحث عن مصدر الصوت الذى توقف لكنه بعد لحظات أبصر بعض الفتيات قد أتين من بين الأشجار ونزلن النهر وتعالن ضحكتهن عندما بدأن برش المياه فيما بينهن.

لفت نظره فتاة بينهن كأنها البدر فى ليلة تمامه، عندما يتلاقى الماء مع خصرها تزداد حسناً وجمالاً، فاختبأ خلف شجرة وظل يراقب الحركات المضحكة للفتيات، دون أن يحدث صوتاً أو يلفت النظر إليه.

فحدث نفسه قائلاً:

- ربما ساقتنى الظروف إلى هنا لكى أفوز بتلك الجارية الحسنة وتكون غنيمة لى هى ومن معها من الجواري.

فقرر المجازفة رغم أنه فى أرض غير أرضه، فعاد للمكان الذى ترك فيه فرسه وركبه وعاد حيث الفتيات، وصاح بأعلى صوته وهو يشهر سيفه لأعلى:

- ما أجملكن من فتيات! هيا فقدأصبحتن من الآن ملكى.

أخذت الفتيات تعدل من ملابسهن، وقالت الفتاة الجميلة بكبرياء وشجاعة:

- من أنت يا هذا حتى تقتحم خلوتنا، وتنفوه بمثل هذا الكلام؟!!

ثم أردفت وهى تخرج من الماء وتتبعده عنه يتبعها باقى الفتيات:

- اذهب من هنا أيها الفارس، قبل أن يأتى من لا يرحمك وأنت لا حول لك.

فأثر كبرياؤها في نفس الأمير "ساران" وأعجب بها، فأراد أن يطيل الحوار معها حتى يتحقق أكثر من حسنها وجمالها، فقال منادياً:

- أتركين عابر سبيل انقطع به الطريق بمفرده في هذا المكان؟  
فالتفتت إليه وهي تبسم وقالت:

- وماذا أتى بعابر السبيل إلى هنا؟ وما هي حاجته؟

فتزل "ساران" من على فرسه، وبدا بجسمه الطويل المشقوق وزى الفارس الذي زاد من وسامته، فأشرق وجهه بالابتسامة وهو يقول لها:  
- انقطع الطريق بعابر السبيل فأصبح بلا طعام أو شراب.  
فقال له الفتاة:

- على الرحب والسعة أيها الفارس، اركب فرسك وسر خلفنا، فأنت في ضيافتي.

ابتسم لها الأمير "ساران" وركب فرسه وسار خلفهن بين الأشجار حتى وصلوا إلى القلعة التي شاهدها منذ قليل، وعند البوابة الكبيرة ترجل ووقف بجوارها، فأمرت الحارس أن يأخذ الفرس، فقال "ساران" للفتاة وهما يدخلان من البوابة:

- أتمنى أن تأتي إلى بلادنا حتى تعرفي من أنا ونكرمك وترى خيراتنا وقوتنا.  
فتوقفت ونظرت له وقالت وهي تضحك:

- أنا لا أكرمك لشخصك حتى لو كنت الملك "برقان" أو ابنه الأمير "ساران" فلا أنتظر منك رد الجميل، إنها أكرمتك لأن هذه طبيعتنا مع ضيوفنا.

أخرج كلامها الأمير "ساران" وقال في نفسه لعلها عرفتني وعلمت سبب حضوري، فأراد أن يطمئن فقال لها:

- وهل تعرفين الملك "برقان" وابنه الأمير "ساران"؟  
فقلت وقد ظهر الجد في كلامها:

- بالطبع أعرفه عنهما كل شيء، وأعرف أن جيشهم الآن على مقربة من ديارنا لولا أخاف أنا يقال أني قتلت ضيفي لقتلتك، وكم أتمنى أن يلقي الحظ بأميركم بين يدي فأبارزه وأأسره وأجعله في الأغلال.

أثار كلامها في نفسه الحمية والغيرة وأراد أن يظهر نفسه ويبطش بها لكن رده عنها خوفاً أن ينكشف سره، فتبعها حتى وصلا إلى باب كبير فتحته ودخلت وهو معها وسارا في نفق طويل على جانبيه يشتعل القناديل كاشتعال الشمس فاستقبلتها الجوارى في آخر النفق ومع نهاية النفق ظهرت حديقة واسعة في وسطها نافورة كبيرة تتساقط المياه على مجموعة من الزهور الجميلة، كان "ساران" يتلفت يمينا ويسارا ليشاهد هذه المناظر الخلابة، ثم دخلوا إلى القصر الموجود بداخل القلعة الشاهقة صعدت الفتاة سلام القصر و"ساران" خلفها، ثم توقفت وأمرت إحدى الجوارى باصطحاب الضيف إلى غرفته، ومضت هي في طريقها ولم تلتفت إليه.

تعجب "ساران" من تصرفها، وسأل الجارية عنها، فأخبرته أنها ذهبت لغرفتها وستعود بعد قليل، ولا بد له من بعض الراحة في غرفة الضيافة. دخل "ساران" غرفته فقدمت له الجارية الطعام والشراب وتركته بمفرده ورحلت، فأخذ في استكشاف ملامح الغرفة فوجدها كبيرة ومنظمة يتوسطها

سرير كبير طرحت عليه الستائر الوردية وعلى الحائط علقت مرآة كبيرة ، وعلى الحائط المقابل علقت بعض أدوات الحرب من سيوف و خناجر و سهام، وفي الجانب المقابل للسريير يوجد باب صغير فتحه فوجد خلفه حمامًا يتوسطه حوض كبير مملوء بالمياه، فخلع ملابسه وألقى بجسده المرهق داخل حوض المياه، وبعد دقائق خرج عائداً إلى الغرفة، فجلس و تناول بعضًا من الطعام الذى أتت به الجارية، ثم صعد السرير واستلقى عليه وظل يفكر فى تلك الفتاة الجميلة التى لا يعرف حتى اسمها، وفجأة تذكر أنه ترك جيشه فلم يعد يعلم عنه شىء وظلت الأفكار ترواد عقله حتى هزمه التعب والإرهاق فاستسلم للنوم.

أيقظه من نومه صوت ضحكات عالية تقترب من غرفته، هب مسرعًا من فوق السرير وجرى نحو الباب وفتحته فرآها تقف وسط بعض الجوارى ترتدى فستانًا من اللون الأسود عليه بعض الرسومات الذهبية، أظهر الفستان مفاتن جسمها، فازداد إعجابها بها ولم يدري بنفسه حين قال:

- لم أكن أعلم أنك بهذا الجمال!

فابتسمت بخجل وتوردت وجنتاها، وضاعت الحروف فى طريقها لشفتيها الورديتين المرتعشتين، فشغلت أصابعها المرتعشة بخصلات شعرها تسويها وظلت تنظر إليه طويلًا وتدقق النظر؛ حتى تبسمت وقالت وهى تقترب منه وتبحث عن رد لكلامه:

- هل أزعجناك يا أمير "ساران"، هل يصح منك الكذب يا فارس يا همام، نحن نعلم حقيقتك جيدًا.

أجتمه كلماتها وأيقن أن سره قد انكشف أمامها، لكنه قال في شجاعة:  
 - بالفعل أنا "ساران" ابن الملك "برقان"، لم أخطط للمجىء إلى هنا  
 فافعل بي ما شئت فلن ألومك على شيء.

فأطرقتك برأسها إلى الأرض برهة ثم نظرت إليه وقالت:  
 - اتبعني إلى غرفة الطعام، فلا بد أنك الآن جائع، بعدما قضيت اليوم كله  
 في النوم.

نظر "ساران" من النافذة فوجد الشمس قد مالت إلى المغيب ثم تبعها دون أن  
 ينطق وحين وصل إلى غرفة الطعام رأى المائدة قد امتلئت بكل ألوان الطعام،  
 فجلس وهو لا زال صامتًا، فتوجهت إليه قائلة:

- أنت الآن ضيفي ولك عندى العهد والأمان، ولو كنت أريد قتلك ما  
 منعنى أحد.

وأشارت له بأن يتناول الطعام، فهدأت نفس "ساران" وأقدم على المائدة  
 وتناول طعامه وهو يختلس النظر لها وهي تتناول طعامها، وما إن فرغا من الطعام  
 حتى تشجع وقال لها:

- أشكر لك كرمك، إن كان لى عندك العهد والأمان فأرجو أن تسمح لى  
 بالعودة من حيث جئت، قبل أن ينشر الليل ظلامه على الكون فأفضل الطريق مرة  
 أخرى.

ابتسمت حتى تزيل الرهبة التى ظهرت على وجهه منذ حدثته بحقيقته  
 وقالت: لا بد أن الأمير "ساران" يعلم جيدًا أن إقامة الضيف ثلاثة أيام أم يرد  
 الأمير أن نظهر في نظره أننا لا نعرف حق الضيافة، ويتهمنا بالبخل.

مد يده لكأس ثم تناول بعضًا مما فيه، ونظرها وقال:

- بالطبع لم أقصد هذا، ولكن.....  
فقاطعته قائلة:

- ولكن تخشى أن يشعر الجيش بغيابك، فترتبك الصفوف، اطمئن فالوزير الحكيم "يوشهور" معهم وهو يحسن التصرف جيدًا في مثل هذه الأمور. زاد تعجبه منها وشعر أنها تعرف كل شيء عنهم وعن تحرك الجيش لمحاصرهم؛ لكن الغريب أنها لم تقدم إليه أى إساءة وهو عدو لهم، وجدها تشير للجوارى وتطلب منهن أن ينشدن بعض الأغاني احتفالًا بوجود الأمير "ساران" بينهن.

ظلت الجوارى يرددن الأغاني حتى منتصف الليل، فاستأذنت منه وقامت إلى غرفتها بعد أمرت جارية باصطحابه مرة أخرى إلى الغرفة التى قضى نهاره نائمًا بها، وما أن وصل الغرفة كرر ما فعله فدخل الحمام و اغتسل وعاد إلى السرير واستلقى عليه وهو يفكر فى تلك الفتاة الغامضة التى تعرف عنه الكثير وهو لا يعرف عنها شىء.

وفى الصباح أقبلت إحدى الجوارى وأخبرته أن سيدتها تنتظره فى حديقة القصر ليتناول الفطور معها، فطلب منها أن تنتظر حتى يغتسل ويبدل ثياب نومها، وبعد دقائق خرج وسار خلف الجارية، وأخذ يتفحص المكان وما فيه من أشياء ثمينة، حتى مر من الباب الخارجى للقصر، فلمحها تجلس بالقرب من النافورة ويجوارها بعض الجوارى فلما وصل عندها قامت وأحسنت استقباله وأجلسته بجوارها وسألته عن ليلته، ثم جلسا يتحدثان وأمامها ما لذ وطاب.

وبعد مدة من جلوسه معها، سمعا ضجة كبيرة ثم ظهر من النفق المؤدى للحديقة بعض الرجال فى زى الجنود وفى أيديهم السيوف تلمع فى ضوء الشمس، مقبلين عليهما وهم يقولون:

- أخيراً وقعت فى أيدينا يا "ساران"!

نظر لها "ساران" معاتباً فقد ظن أنها خدعته وأبقت عليه للصباح حتى يأتى الجنود ويقبضون عليه ويصبح أسيراً لديهم يساومون أبيه عليه، فلام نفسه أنه صدقها على الرغم من أنها منهم ومن جنسهم، لكنه رأى منها ما يضاف لغموضها، فقد هبت واقفة وأخذت تصيح فى الجنود وتقول:

- تبا لكم من حمقى، كيف تدخلون هنا هكذا دون أن يُأذن لكم؟

ألا تعرفون من أنا أيها الأغبياء!؟

فظهر الاضطراب على وجه الجنود وتقدم قائدهم وانحنى برأسه ثم أشار بيده نحو "ساران" وقال:

- عذراً أيتها الأميرة، ولكن هل تعرفين حقيقة الجالس معك!؟

فقال بغضب:

- كل ما أعرفه أنه ضيفى، وأنتم اقتحمتم قصرى، وهتكتم سترى وستعرفون كيف يكون عقابكم.

فرفع القائد رأسه وقال وهو ما زال يشير نحو "ساران" الذى لم يتفوه بكلمة:

- إن الذى يتناول معك الطعام أيتها الأميرة هو المجرم "ساران" وقد أتى

بجيشه لمحاصرة بلادنا، وقد وصل أمره للملك وأمرنا بالقبض عليه وأسرته، وها

أنت قدمت لنا خدمة عظيمة بأن تحفظتى عليه عندك.

رواد الشك عقل الأميرة، فأردات التحقق من الأمر، فقالت للقائد:

- ما اسمك أنت؟
- عبدك مارز بن عبدك مازور، يا سيدتى.
- وكيف دخلت هنا بغير إذن؟
- مولاتى الأميرة، عندما وصلت إلى البوابة لم يمنعنى أحد بل أخبرونا  
بمكان وجدكم هنا فى الحديقة، وليس هذا وقت الكلام فالملك منتظر عودتنا إليه  
بهذا المجرم حتى نأسره، ويرحل جيشه عن محاصرتنا.
- انتفضت الفتاة وقالت بحدة:
- ليس صحيحًا ما تقوله، كذب من أخبر الملك أن الأمير "ساران"  
عندى؛ لكنه مجرد عابر سبيل قدم علينا
- وطلب الضيافة، وحتى أن كان ما تقوله صحيحًا فلا يليق بى أن أغدر  
بشخص دخل فى عهدى وذمتى، فلا تحنونونى فى ضيقى ولا تجلبوا لى العار،  
ارجعوا إلى الملك وأخبره أن ما وصله مجرد كذب وافتراء.
- أيتها الأميرة المبجلة، لأستطيع العودة إلى الملك إلا وهذا المجرم معى.
- هو مجرد رجل وأنتم مجموعة من الجنود، فتقدموا له واحدًا بعد واحد  
ليعرف الملك من هو البطل فيكم.
- فاضطرب الرجل وقال وهو يتعلثم:
- سيدتى؛ ليس هناك داعى للمبارزة، فأنا أقول الحق.  
نظرت إلى "ساران" الجالس على الأرض، وقالت له:
- ما رأيك فى هذا الكلام يا أيها الغريب؟

فهم "ساران" ما ترمى إليه، وعلم أنها لم تجرب أحد بوجوده، وإنما وصل أمره للملك دون علمها، وعندما وجدها تطيل النظر نحوه فهم أنها تشجعه على قتالهم، فوثب فجأة من جلسته وأشهر سيفه فتقدم له القائد وبارزه فضربه "ساران" ضربة حاسمة فأسقطه قتيلاً، فتراجع باقى الجنود وانسحبوا إلى خارج القصر.

ظهرت السعادة على وجه الأميرة مما قام به "ساران"، وقالت له:

- بمثلك تفتخر الفرسان الأقوياء، والآن أيها الفارس المغوار، بعدما شاهدتُ قوتك، لم يتبق إلا أن أحكى لك الحقيقة كاملة.

أمسكت بيده وأجلسته وأمرت الجوارى بإحضار الشراب.

ثم نظرت له وقالت:

- أنا "سيلين" ابنة الملك "ميمون أبا نوخ" صاحب التاج الأسود، ملك بنى دهمان، وكبير أسرة الميامين، ومن أرسل هؤلاء الجند للقبض عليك هي جدتى "دنهش" ونطلق عليها "ناثلة أم الشعور المائلة" ولا بد أن لها هنا جاسوساً أخبرها بوجودك، فهي تكرهنى لأنى أفضل عليها جدى والد أُمى "ست المحاسن" الملك "شمهورش" قاضى الجن صاحب التاج الأبيض ملك بنى النعمان، وقضيت هناك معظم سنوات عمرى وتعلمت على يديه وهى دائماً ما تدبر الخطط للتخلص منى وقد زادت الخصومة الآن بعدما قتلت أنت قائد الجند فلا بد من ترك الإقامة هنا، وأريدك أن ترد لى الجميل.

- كبرت في عيني "ساران" بعد كلامها، فقال لها:
- لا تخافى من أحد وأنا معك سأدافع عنك بروحى؛ لكن هل تريدین مرافقتى حقًا، وترك قومك؟
- نعم، لم يعد لى مكان بينهم بعد ما حدث، ولكن عليك الآن أن تعود بجيشك إلى بلادك.
- تعجب من طلبها، وقال:
- ولكن أبى أرسلنى لمساعدة "بنى الأحمر" فى قتال قومك بسبب هجومهم على جنود الملك "مرة الأحمر" والاستيلاء على الأموال والجواهر. فضحكت من رده وقالت:
- لقد خدعكم الملك "مرة الأحمر" وأنا سأخبرك بالحقيقة كاملة. فhez رأسه وظل منصبًا، فأردفت قائلة:
- لنا عيد يقام كل سنة يسمى "عيد القرابين" يجتمع فيه ملوك الممالك السبعة من بنى جلدتنا، ملوك (بنى الأحمر، بنى القماقم، بنى النعمان، بنى قيعان، بنى غيلان، بنى الطماطمة وبنى دهمان) فيأتى الملوك وبنات الأكابر والتجار ويمكثون سبعة أيام وأنا من جملتهم فلما وقعت بيننا العداوة منعنى أبى من الحضور مدة سبع سنين وفى إحدى المرات وبعد انتهاء أيام العيد، انصرف الناس. ظهرت الدهشة على وجه "ساران"، فعقبت قائلة:
- فأرادت "ميرة" ابنة الملك "مرة الأحمر" أن تعود فى البحر، فجهزوا لها مركبًا فنزلت فيه هى وجواربها وأحلوا القلاع وساروا، وإذا بريح عاتية قد هبت فأخرجت المركب عن طريقها ولحظهم العثر قابلهم مركب من قطاع الطرق

ومعهم العدة والسلاح، فانقضوا على المركب وفيه "ميرة" ومن معها، وقصدوا مكان بجزيرة نائية، لكن للمرة الثانية تغير الريح وجهتهم وجذبتهم إلى مضيق مزق قلعوا مراكبهم وقربهم من حراس مدينتنا، فأخذوا المركب وقتلوا الرجال وأسروا البنات وغنموا ما معهم من الأموال والتحف.

فاختار أبى بعض الجوارى وفرق الباقي على حاشيته وأرسل خمس جوارى هدية لوالدك الملك "برقان" وكان من ضمن الجوارى "ميرة" فقبل والدك الهدية وعلمنا بعد ذلك أنه اصطفى "ميرة" من بين الجوارى.

تعجب "ساران" مما سمعه، فأول مرة يعرف أن "ميرة" محظية والده التى أنجب منها هى نفسها بنت الملك "مرة الأحمر" وأردفت قائلة:

- فغضب والدها غضبًا شديدًا وأرسل لأبى يتوعده ويهدده، ويطلب منه إعادة ابنته "ميرة" حتى لا يلحق به العار بين الملوك، وإلا جاء بجيش وحاربنا ولم نكن نعرف أن "ميرة" من ضمن الجوارى الهدايا وزاد الأمر صعوبة عندما علمنا أن الملك "برقان" أنجب منها فأرسل والدى للملك "مرة" يقسم له أنه لا يعرف عن ابنته شيئًا.

قال "ساران" وهو يتعجب من كلامها:

- ولماذا لم يخبر والدك الملك "مرة الأحمر" بحقيقة ما حدث؟

نهضت من جلستها وسارت بعضة خطوات ثم التفتت نحوه، وقالت:

- ليس الأمر بهذه السهولة، فالمالك السبعة لها قانون خاص لا يسرى إلا

على بنى جنسنا، وينص القانون على إنه إذا تزوجت فتاة منا بأى رجل منكم،

فسوف تضيع نصف قوتنا، وإن أنجبت منه سُلبت منا كل قوتنا وصرنا

مثلكم ولا تتميز عنكم في شيء، فيما بالك أن من سببت هذا العار هي سليلة الملوك.

ظهر على وجه الأمير "ساران" عدم تصديق ما تقوله، فأردفت قائلة:

- رأيت عندما سمحت لك بمبارزة قائد الجند وقتله، لقد كنت أود أن أتأكد بنفسى، فوجدتك تقضى عليه بسهولة ولو كان فى كامل قوته ما قدر عليه جيش كامل من بنى جنسكم ولا بد أنك لاحظت أنه كان يرفض المبارزة لأنه على علم بالحقيقة لكنك باغته وقتلته.

وقف الأمير "ساران" واقترب منها، وقال:

- أظن أن أبى لا يعلم الحقيقة ولا يعرف شيئاً عن هذا القانون، وإلا ما كان قدم على الإنجاب من "ميرة".

قالت الأميرة "سيلين":

- أنا متأكدة من ذلك، خصوصاً أن "ميرة" تتكتم على سرها، لأنها تعرف أن حظها ازاد سوءاً بعدما أنجبت أنثى.

استفسر "ساران" قائلاً:

- وهل هناك فرق أن يكون المولود ذكراً أو أنثى؟

أشارت له الأميرة "سيلين" بيدها، فلحق بها وسارا سوياء فى الحديقة، ثم

قالت:

- بالطبع هناك فرق كبير، لأن الشق الثانى من القانون يوضح كيفية إعادة القوة لنا إن كانت المولودة أنثى، وهو إما تتزوج هذه الأنثى من جنسنا مرة أخرى أو تُقتل وتُقدم دماؤها الساخنة قرباناً.

- ظهرت الحيرة على وجه الأمير "ساران"، فنظرت له وأردفت:
- عندما علم الملك "مُرة الأحمر" بالأمر قرر أن يخذع والدك وأغراه بحماية الأموال والجواهر المباركات، وأرسل يطلب منه المساعدة في حربنا، فيأتي جيشكم إلى هنا فيتم القبض عليكم وطبعًا كل هذا التخطيط من حيل جدتي "دنهش" فهي بمثابة الملكة المقدسة للممالك السبعة والكل يأتمر بأمرها.
- ثم ارتفع صوت ضحكاتها وهي تقول:
- الجواهر المباركات معي الآن، وليس لدى مانع من إعطائها لك ولكن عليك أن تسرع إلى جيشك والعودة به قبل أن تجهز لكم جدتي حيلة جديدة.
- اقترب منها الأمير "ساران" وأخذ بيدها وقبلها، وقال لها:
- لقد أسررتني بكرمك، ولكنني أخاف أن أترك فيصيبك منهم أذى إن علموا بما فعلتني معي.
- فقال له وهو ما زال ممسكًا بيدها:
- اذهب أنت الآن إلى جيشك واقبض على رسل "مُرة" ولا تقلق فأنا سأتدبر أمري جيدًا وألحق بكم بعد ثلاثة أيام.
- فارقها "ساران" وخرج من القلعة الشاهقة، بعدما أعادوا له فرسه، وسار به حتى وصل الأشجار الكثيفة، وعندما خرج من الغابة لمح بعض الفرسان تقترب ، فتوقف حتى يستعلم أمرهم، ولما اقتربوا منه عرفوه وعرفهم وكان بينهم الوزير "يوشهور" فترجل "ساران" وهو يتسم، ففعل مثله الوزير واستقبله فائحًا ذراعيه، ثم قال وهو يحتضنه:
- أين كنت أيها الأمير؟! لقد زاد قلقنا عليك، وجئنا للبحث عنك.

فترك الأمير "ساران" عنان فرسه للجنود المصاحبة للوزير ثم أخبره بكل ما حدث له منذ غاب عنهم، وطلب منه القبض على رسل "مُرة الأحمر" وأن يسرع الجيش بالعودة إلى "أقناموس".

أسرع الجيش بالتحرك وبعد أن ساروا عدة أيام وأصبحوا على مسيرة يومين من بلادهم قرر الأمير "ساران" أن يتأخر قليلاً مع مجموعة من الفرسان لحماية مؤخرة الجيش.

ولما اطمأن الأمير "ساران" أنه لم تلحق بهم جنود العدو، أمر الفرسان بالسير للحاق ببقية الجيش، وعندما وصلوا وادى بين جبلين أبصروا مجموعة من الفرسان تعدو خلفهم، وعندما لحقوا بهم وكانوا فرسان ملثمة، أمر كبيرهم الأمير "ساران" بأن ينزلوا عن خيولهم ويسلموا أنفسهم حتى لا يقتلوهم جميعاً. غضب الأمير "ساران"، وقال موجهاً كلامه لكبيرهم:

- كيف تخاطبوننا بهذا الخطاب، وأنتم في بلادنا، هل تظنون أن نترككم تعودون إلى بلادكم!

ثم صاح في فرسانه أن تقدموا، وهجم عليهم واشتد القتال بينهم، وكانت الفرسان الملثمة تفر كلما شعروا بقرب هزيمتهم، فتعجب "ساران" ومن معه منهم، وظلوا هكذا حتى غابت الشمس، فانفصل الفريقان طلباً للراحة على وعد بقاء في اليوم التالي.

مع بزوغ فجر اليوم الجديد واستعداد الشمس لنشر أشعتها على الكون ركب الأمير "ساران" فرسه ومعه فرسانه وصاح في الفرسان الملثمة وقال:

- مثلكم لا يريد القتال فكلما اقتربنا من هزيمتكم تفرون ثم تعودون وانقضى الأمس ولم نظفر منكم بالمبارزة.
- فقال كبيرهم للأمير "ساران":
- يا "ساران" يا ابن الملك؛ أنت سيد قومك وأنا سيد قومى، أقدم لى فى المبارزة، فمن كانت له الغلبة دخل الجميع فى طاعته.
- هز "ساران" رأسه موافقاً على اقتراح الفارس المثلث، وقد امتلأ قلبه غيظاً منه، فتقدم نحوه وبدأت المبارزة بينهما، أظهر فيها "ساران" القوة والمهارة، وعندما أراد المثلث لكز فرسه وجذب اللجام فتعثر الفرس وسقط الفارس من فوقه، فأراد "ساران" القضاء عليه فصاح المثلث وقال وهو خائف:
- بمثلك تفتخر الفرسان الأقوياء.
- لما سمعه "ساران" توقف عما كان ينوى فعله، فكشف الفارس المثلث عن وجهه فعرف الأمير "ساران" أن من كان يبارزه هى الأميرة "سيلين" فألقى سيفه ومد لها يده وساعدها على النهوض، ثم هز رأسه متعجباً وقال:
- منذ عرفتك وأنت لا تكفين عن الأفعال الغربية، لماذا فعلت هذا؟
- اقتربت منه "سيلين" ووضعت يدها على كتفه بدلال، وقالت:
- ولن أكف أبداً، فقط أردت اختبار قوتك وهؤلاء الفرسان المثلثة ما هن إلا بعض الجوارى، وكنت سأهزمك لولا تعثر فرسى.
- تبسم "ساران" من قولها، وقال:
- أهلا بالأميرة "سيلين" فى بلادنا، حسناً فعلت حتى نرد لك جميلك.

تقدم الأمير "ساران" فرسانه وبصحبته الأميرة "سيلين" وجواربها حتى اقتربوا من مشارف المدينة، فأمر أحد فرسانه أن يسرع ويخبر الملك "برقان" بقدومه وأن يرسل موكب استقبال يليق بمقام الأميرة "سيلين" ابنة ملك "بنى دهمان".

وفي الصباح أقبل الوزير "يوشهور" ومعه ألف فارس لاستقبال الأميرة وأخبرها بأن الملك "برقان" أمر أن تنزل في قصر الضيافة لتستريح على أن يتشرف بمقابلتها في المساء.

دخل الأمير "ساران" على والده بعدما أوصل الأميرة "سيلين" إلى مكان إقامتها، فاستقبله والده فرحاً بعودته فأخذه بين أحضانه وهو يربت على ظهره ويقول:

- أنى لسعيد حقاً بعودتك سالمًا، وقد حكى لى الوزير كل ما حدث معكم لكنى لم أفهم جيدًا الأمر المتعلق بـ "ميرة".

فقال الأمير "ساران" لوالده:

- إن الأميرة "سيلين" أخبرتنى أن القانون عندهم لا يسمح بزواج بنات جنسهم من رجالنا، وإن حدث فهذا إضعاف لقوتهم وعليهم الانتقام لرد شرفهم حتى لا يلحق بهم العار وخصوصاً أن "ميرة" من بيت ملوك وأولى الناس باحترام قانون بنى جنسها أن تحافظ على عاداتهم وتقاليدهم.

لم يخبر "ساران" والده بالشق الثانى من القانون حتى لا يقلقه على ابنته "ساريدس" بينما أخبره باتفاقه مع الأميرة "سيلين" أن تنزل في ضيافتهم

وحمايتهم وأنه أعطاهم العهد بالحماية فلولها لكان الآن أسيرًا بينهم يسامون على حريته.

وعندما سمع الملك "برقان" هذا الكلام أعجب بها ويشجاعتها وقوتها وتمنى أن يراها فأمر بدعوتها لتناول العشاء معهم ليشكرها على ما قامت به مع ولده. في المساء أقبلت الأميرة "سيلين" فاستقبلها الملك "برقان" أحسن استقبال وأمر بتجهيز أفخر ألوان الطعام، وجلسوا على المائدة فأثنى على ما قامت به وشكرها، فأبدت الأميرة "سيلين" إعجابها بحكمة الملك "برقان" وحسن ضيافته.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام أمر الملك بالشراب، وسأل الأميرة عن أحوال قومها واتفاقهم لمحاربته.

لما تحدثت أعجب الملك بكلامها وحسنها وجمالها، وتعهد بحمايتها من أى خطر تتعرض له وأنها ستكون ضيفة معززة مكرومة مهما طالت مدة إقامتها بينهم، فقامت وأعطته الجواهر المباركات التى أغراه الملك "مرة الأحمر" بالحصول عليهم عندما يساعده.

وبعدما انصرفت عائدة إلى قصر ضيافتها، ظل يتحدث عن حسنها وجمالها أمام ولده "ساران" و لما زاد فى الإطراء عليها، لعبت الظنون برأس "ساران" وخاف عليها من طمع والده فى الفتيات الحسنات، وهم بالانصراف فمد له والده يده بإحدى الجواهر المباركات وقال له:

- هذه لك يا ولدى فاحتفظ بها وسأعطى واحدة لأخيك "سارى" أما الأخيرة ستكون من نصيب أختك "سماريدس".

فقال الأمير "ساران" متعجبًا:

- ألك ولد غيرى!؟
  - نعم يا ولدى، أخوك "سارى" ولد مع "سمايدس" فى بطن واحدة وله من العمر الآن ست سنوات وقد أخفيتة عن العيون خوفًا عليه.
- فقال الأمير "ساران" وهو يمد يده لياخذ الجوهرة من والده، وقد تغير وجهه:

- أحسنت صنعا يا أبى.
- وأراد أن يستأذن والده فى المغادرة، لكن استوقفه الملك، وقال له:
- مالى أراك وقد تغير وجهك، أنت صاحب الملك من بعدى فلا تجعل فى قلبك ضغينة لأخوتك بل كن لهما العون والسند.
- انصرف "ساران" وهو يتميز من الغيظ لأن والده أخفى عنه هذا السر فترك أثرًا عميقًا فى قلبه، فتوجه إلى غرفته وأغلق الباب وأخذ فى نزع ثيابه وهو غارق فى التفكير فيها حدث فى ذلك اليوم، مرت كل الأحداث بعقله فجلس على فراشه وهو ما يزال يفكر.

ثم نهض من فراشه وتمشى فى الغرفة لحظات وهو غارق فى التفكير كانت الشمس قد مالت إلى الغروب فعزم أن يقضى باقى اليوم مرتاحًا بعد سفره الطويل مع الجيش وقرر أن يذهب لمقابلة "سيلين" فى الصباح ليبحث لها شكوكه وأفكاره، فحاول النوم لكنه فشل لشدة ما جاش فى صدره واستولى عليه الأرق.

فلما أسدل الليل نقابه، ارتدى ملابسه وخرج يتجول فى فناء القصر، كان الجو صحوًا والقمر قد تكبد السناء وظهرت الطبيعة بأبهى ما يكون من الجلال والهيبة،

ويجلو للمفكر في مثل تلك الليالي أن يقف في الفضاء الواسع يناجى نفسه في هدوء وسكينة كأنه يعهد بسره للقمر.

فجلس بالقرب من بوابه القصر الخارجية، وظل صامتًا كأنه يتأمل مناظر الطبيعة وأفكاره تنتقل به من موضوع لموضوع ومن هاجس لهاجس وضوء القمر يكبر أشباح الفكر فتكثر الأوهام.

بينما هو ساكت إذ سمع أصواتًا متداخلة، ثم سمع قهقهة على مقربة منه فالتفت فلم ير أحدًا، فظن أن الصوت من أصوات الجان، لكنه سمع وقع أقدام خلف السوار المقابل له فسكت حتى يتيقن من الحقيقة، فعلم أن الحراس يتسامرون وقبل أن ينصرف سمع رجلًا يقول لمن معه:

- عجبًا لأمر الملك "برقان" لقد تيم بالأميرة التي اصطحبها معه الأمير "ساران" وأظن أنه عقد العزم على ضمها لجواريه.  
فرد عليه آخر قائلاً:

- هذه مبالغة منك كيف يطمع الملك في ضيفة ولده.  
ضحك الرجل وقال:

- هذا الكلام عن ثقة، فقد سمعته إحدى الجواري وهو يبث إحاسيسه نحوها ويطلب من الوزير إيجاد حيله لوصولها، بعدما أسره جهاها.  
لما سمع "ساران" هذا الحوار زادت الشكوك في عقله وعقد العزم على الذهاب إلى "سيلين" ليحذرهما من والده الملك "برقان" فتصنع وصوله المفاجئ فهبت الحرس واقفة عند خروجه من البوابة متوجهًا للقصر التي تنزل فيه "سيلين".

ظل سائراً حتى دخل قصر "سيلين" فلما رآته نهضت واقفه لاستقباله وشكرته على ما فعله معها ودعت له ولوالده الملك، ثم جلست وأجلسته وأمرت الجوارى بإحضار الشراب والفاكهة، ولاحظت الغضب والغیظ على وجهه فسألته عن السبب فأخبرها بأن له أخاً ذكراً عكس ما كان يظن وأن الملك احتفظ بجوهرتين لولديه، ثم أخبرها بخوفه عليها من والده وحكى لها ما سمعه من كلام الحراس، فطمأنته "سيلين" وقالت:

- والدك أكرمنى بضيافته لى، لكن ما له حكم على ولا يقدر أن يأخذنى بغير رضای وموافقتى، أما موضوع أخيك فأنا عرفت منك أنه أوصى لك بالملك من بعده، فلا داعى للقلق.

ثم تنهدت وقالت:

- ما أخاف منه أنا ليس موضوع والدك الملك، إنما خوفي من أن يتفق أبى مع الملك "مُرة الأحمر" فيأتیان إليكم بجيش جرار فلقد أصبح لكل منهما ثأر عندكم.

ذكرها "ساران" بما قالتها، فقال لها:

- لقد علمت منك أن قوة بنى جنسكم قد سلبت فأصبحتم مثلنا فى كل شىء، لما الخوف إذن ونحن نستطيع هزيمتهم بسهولة.

فقالت وهى شاردة الذهن تفكر فى كل ما حدث :

- لقد سلبت قوتهم نعم، ولكن ألا تعلم أن الكثرة تهزم القوة، عموماً سنرى ما يحدث وأتمنى أن يكون خيراً.

فستأذن منها "ساران" وتركها غارقة في بحر أفكارها، بينما هو يصارع أمواج أفكاره.

بمجرد أن فارقتها الأمير "ساران" حتى استدعت جاريتها، وقالت كأنها تتحدث مع نفسها:

- لن أسمح أن يحدث معي كما حدث مع "ميرة" فلست بهذا الغباء ولا بد لي الآن من العودة فوراً قومي وعشيرتي، حتى لا يقع ما يتوقعه الأمير "ساران" فأصبح معيرة بين الجوارى.

- عليك الأمر يا مولاتي وعلينا السمع والطاعة.

فقالت لها الأميرة "سيلين":

- لا بد من مغادرة القصر بأسرع وقت ممكن والعودة إلى ديارنا.

ثم صمتت برهة، واقتربت من الجارية وقالت لها:

- ابحثي لنا عن عبد قوى أمين، يسافر معنا ويحرسنا في الطريق.

انحنى الجارية، ثم رفعت رأسها وقالت وهي تبسم:

- ليس هناك أقوى من "ميشلان" ذلك العبد الأسود الذي عهد إليه الملك

"برقان" بحراستنا، سأخرج إليه وأغريه بالمال حتى يكون طوع أمرنا فلا تقلقي يا مولاتي.

استدعى الملك "برقان" زوجته "ميرة" فلما دخلت عليه رحب بها

واحتضن ولديه وقبلها وأعطى جوهرة لكل منها ففرحا بها، ففطنت "ميرة"

للجوهرتين وعرفت أن الملك أصبح على علم بحكايتها، لكنها ظلت صامته.

فقال لها الملك:

- لماذا لم تخبرينا بحقيقتك حتى نزيد في إكرامك ورفع مقامك وحمايتك من أى خطر قد يحيط بك وأبأولادى.  
فقالت له "ميرة":

- أيها الملك المعظم ، وماذا أريد أكثر من هذا وأنا أعيش تحت رعايتك وحمايتك وقد رزقت منك بأولاد.

فأمر الملك أن تنقل إلى قصر شديد الحراسة، وأن يتعهد الحكماء والأدباء بتربية أولاده وتعليمهم أحسن التعليم، شكرته "ميرة" على اهتمامه بهم، واستأذنت منه متوجه إلى قصرها الجديد بصحبة ولديها، بينما كان عقل الملك "برقان" مازال مشغولاً بأمر "سيلين" بعدما أسره حسنهما وجمالها، فظل يفكر في كيفية تملكها ووصلها بعدما زاد إعجابها وشغفه بها.

فقرر أن يذهب للجلوس معها في قصر الضيافة، ليروى ظمأها لها ويسعد بالقرب منها لعه يجد وسيلة لوصولها، لكن الحارس أخبره بأنها خرجت منذ مدة مع جارية لها يصحبهم العبد "ميشلان" فظن أنها خرجت للتنزه فدخل القصر و طال انتظاره، وعندما لم تعد زاد قلقه وخشى أن يكون أصابها مكروه، فأمر الحراس بالبحث عنها فلم يعثروا لها على أثر.

فنهرهم وقال بصوت عال:

- كيف تخرج الجارية من القصر و لم يعلم بها أحد، فإن كانت مملكتى على هذا الأمر من الفوضى فأنا ضائعة لا محالة.

جاء الأمير "ساران" مسرعًا عندما علم بما حدث، فأخبره والده أن الأميرة التي أستضافوها وأكرموها هربت من القصر دون حتى الاستئذان منهم.

حزن "ساران" وظن أنها فكرت في كلامه وخافت على نفسها فقررت الهرب، وزاد من همومه وأحزانه أنه أصبح على علم بالاهتمام الزائد من والده بولديه، فصار يضمر لها الحقد والحسد، فتكالت عليه الهموم وطرحته في الفراش.

فقال له والده عندما ذهب لزيارته والاطمئنان عليه:

- مالى أراك تزداد وهنًا و ضعفًا! أكل هذا من أجل جارية ليست من جنسنا.

فقال لوالده وهو يتعد بنظره عنه:

- ليس كما تظن يا أبى، لكنها أكرمتنى ودافعت عنى فلولاها لكنت الآن أسيرًا عندهم.

مط الملك شفتيه وقال، بعدما شعر أن ولده يلمح لشيء:

- ونحن أيضا لم نقصر معها وأكرمناها ولم نقدم لها إلا الخير انساها يا ولدى وانض من فراشك.

اعتدل "ساران" من نومه، وقال لوالده بعد تردد:

- أشعر بأن الحسد يكبر بداخلى تجاه إخوتى، و أخاف أن تسول لى نفسى بقتلها، فتقتلنى أنت مقابل فعلتى، فتخسرنا جميعا، فأرى أن تعطنى مدينة على الثغور أقيم فيها.

أيقن الملك "برقان" سر تغير ولده "ساران" فقال له:  
 - يا ولدى يعز على فراقك لكن أنت وما ترى، ولن أرغمك على شيء  
 وليس هناك أكبر من مدينة "زغدانة" اذهب إليها حتى تبرأ من علتك وبعدها  
 تقرر أن كنت ستعود إلى "أقناموس" أم تظل هناك.  
 امثل الأمير "ساران" لأمر والده الملك "برقان" وبعدها مر ثلاثة أيام كان  
 الأمير "ساران" في طريقه إلى مدينة "زغدانة" حيث اختار أن يهرب هناك بأحزانه  
 وهمومه بعدما صار كل مكان في "أقناموس" يذكره بـ "سيلين".  
 وكان والده والوزير والأمرء وأكابر الدولة في وداعه، فاحتضن والده ثم سار  
 بمن معه من الفرسان.  
 استقبل أهالي "زغدانة" الأمير "ساران" بالترحاب والزيينات، وسار في  
 موكب عظيم حتى دخل إلى القصر الكبير الذي يطل على ساحل البحر.

\*\*\*\*\*

مر على هروب الأميرة "سيلين" ثلاثة أيام قضوها في السير ليل نهار كما أمرت حتى يكونوا في مأمن من أن تلحق بهم جنود الملك "برقان" إن فكر في البحث عنها وبعدها حل عليهم التعب أمرت العبد "ميشلان" بنصب خيمة لهم لترتاحوا فيها حتى الصباح وفنذ العبد أمرها ونصب الخيمة وأشعل أمامها النار فقد أتى الليل يحمل معه بعض النسيمات الباردة وبعدها تناولوا الطعام، دخلت الأميرة "سيلين" خيمتها بصحبة جاريتها بينما جلس العبد بالخارج لحراستها وبعدها تأكد من استغراقها في النوم، دخل الخيمة فلعبت الظنون برأسه عندما أغراه جمال الأميرة وهي نائمة فاقترب منها أكثر وكاد يلمس جسدها لولا أن استيقظت فجأة وصرخت في وجهه قائلة:

- ماذا تفعل هنا يا عبد السوء؟!

ثم ألقت في وجهه ببعض الرمال، فتراجع إلى الخلف، ونهض واقفاً وأشهر سيفه وقال وهو مازال يتفحص جسد الأميرة:

- يا سيدتى انعمى علي بوصلك، فقد لقيت من سفرنا هذا نصباً.

أيقظت الأميرة جاريتها، وصرخت في وجه العبد قائلة:

- هل أصابك الجنون يا أحق، كيف تنطق بمثل هذا الكلام، ألا تعرف من

أنا أيها العبد القبيح؟!

قامت الجارية ووقفت في وجهه ودفعته من صدره وهي تصرخ وتقول:

- أنها الأميرة "سيلين" ابنة الملك "ميمون أبان نوح" أيها العبد الغبي.

أخرجت الأميرة "سيلين" خنجر كانت تحتفظ به تحت فراشها، نهضت واففة وقالت وهي تشير ناحية العبد بخنجرها:

- حتى نصل إلى بلادنا لا أريد منك أن تتفوه بمثل هذا الكلام مرة أخرى، لك المال الذي اتفقنا عليه وإلا قتلتك أيها الملعون الحقير.

قالت الأميرة "سيلين" للعبد هذا الكلام حتى يتبعد عنها، وهي تعلم جيدًا أنها لا تقدر عليه فقد كان ضخمًا عريض الصدر له من القوة ما يفوقها لكنها تظل أنثى سلبت قوتها، فلجأت لتهديده فقط لعله يكف عما يقوله.

لكنها لم تكن تعلم أنه عبد عنيد، لما سمع منها هذا التهديد والوعيد غضب غضبًا شديدًا وتقدم نحوها وهو يشهر سيفه، فتقدمت الجارية لتقف في وجهه فلطم خدها لكمة قوية أسقطها أرضًا، وضرب الأميرة "سيلين" ضربة قوية بالسيف فقتلها على الفور فسقطت وتخضبت الأرض بدمائها فأخذت الجارية تلطم وتبكي وتضع التراب فوق رأسها وهي تقول:

- كيف تقتل سيدتى أيها العبد الأسود؟!

فأخذ العبد الأسود ما قدر على حمله من الأموال والجواهر، وخرج مسرعًا من الخيمة فلحقت له الجارية وأرادت أن تمسك به فركلها برجله عندما لمح فرسان أتية من بعيد وخاف أن تكون الفرسان هم جنود الملك "برقان" جاءت للبحث عن الأميرة.

هرب العبد الأسود وترك خلفه الأميرة تسبح في دمائها، والجارية بجوارها تبكي وتصرخ تلطم وجهها، اقتربت الفرسان من الجارية وما أن نظرت إليهم فعرفت أنه الملك "ميمون أبانوخ" والد الأميرة "سيلين" جاء يبحث عنها بعدما

علم بهروبها مع الأمير "ساران" فلما رآها على الأرض والدماء حولها ألقى بنفسه من فوق فرسه، واحتضن ابنته وبكى وصرخ على الجارية فمثلت بين يديه، فجذبها من شعرها وقال لها:

- من فعل هذا بابنتي أيتها الحقيرة؟

قالت الجارية وهي تحاول تخليص شعرها من يد الملك:

- استأجرنا عبدًا من عبيد الملك "برقان" ليحرسنا في طريق العودة لكنه طمع في الأميرة ولما رفضت طلبه قتلها وأخذ ما معنا من أموال وجواهر وفر هاربًا، عندما رآكم قادمون نحونا.

أسودت الدنيا في وجه الملك "ميمون أبا نوح" بعدما سمع كلام الجارية وصرخ بأعلى صوته قائلاً:

- لم يعد هناك إلا العبيد ليطمعون في بنات الملوك، أقسم أنني سأنتقم من "برقان" وابنه "ساران" فهما السبب في قتل ابنتي.

ثم أمر جنوده بحمل ابنته القتيلة للعودة بها إلى ديارهم لتدفن بجوار والدتها الملكة "ست المحاسن".

عندما وصل الملك "ميمون أبا نوح" بجثمان ابنته إلى بلاده ودخل القلعة كان خبر مقتل الأميرة قد انتشر، فجاءت أمه "دنهش" مسرعة تتصنع البكاء على الأميرة الراحلة، وظلت تبكى وتقول لابنها "ميمون":

- لا تحزن يا ولدي، أقسم أنني سأخذ بثأر العزيزة "سيلين" ممن قتلوها.

أمر الملك "ميمون أبا نوح" الجوارى بتجهيز الأميرة "سيلين" للدفن.

- ثم التفت لأمه وقال والدموع تترقرق في عينيه:
- عن أي ثأر تتحدثين يا أماه، دعي الثأر للرجال، سأجهز جيشًا لا قبل للملك "برقان" به وأقضى عليه وأجعله عبدة بين الملوك.
- تعجبت الملكة "دنهش" من كلام ابنها، وقالت له:
- من الواضح أن مقتل العزيزة "سيلين" أفقدك عقلك يا بنى، هل نسيت ما نعانيه منذ أن تزوجت الملعون "ميرة" من الملك "برقان" وأنجبت منه ابنتها تلك الملعونة الصغيرة.
- لم يهتم الملك "ميمون" بما قالته أمه الملكة المقدسة، وقال بحزم:
- لقد أقسمت ولن أراجع فيما عزمته عليه، لا بد من قتل "برقان" وابنه "ساران" أما الملعونة "ميرة" سأعلق رأسها على بوابة قلعة أبيها "ميرة الأحمر" لأنها السبب فيما وصلنا إليه من الضعف والهوان.
- اقتربت منه أمه وأخذت تربت على كتفه وتقول:
- لا تجعلك حالتك تؤثر على عقلك، فلا بد من التروى والتفكير حتى نأخذ بثأرنا منهم، وأي حرب معهم سنخرج منها مهزومين ونزيد جراحنا.
- التفت "ميمون أبان نوح" لأمه وعرف أنها تفكر في حيلة جديدة، فقال:
- وما الحل إذن أيتها الملكة المقدسة "دنهش"؟
- هيا بنا لنحضر دفن العزيزة "سيلين"، وبعده سأخبرك بما أخطط له لكن لا بد أن تنفذ كل ما أطلبه منك، وسترى كيف سأنتقم من "برقان" وابنه "ساران" حتى لا يفكرا مرة أخرى في انتهاك أعراض بناتنا وقتلهن.

كان الملك "برقان" مولعًا بالصيد، ولا يتركه في إقامته ولا في سفره حتى بلغ به حب الصيد أنه لو شاهد سربًا من الغزلان في طريقه وهو سائر مع الجيش، فكان يترك السير ويذهب خلف هذا السرب ولا يعود إلا وقد أصاب من الغزلان شيئًا فيأمر رجاله بحمله.

كثيرا ما نصحه الحكيم "يوشهور" وحذره من نتيجة هذا الخطر الذي يقدم عليه فكان يثنى على رأى الوزير وما يلبث أن يعود سيرته الأولى.

وقد انتقل حب الصيد لولده الصغير "سارى" فكان دوما يصحب والده في الصيد، حتى بدا للحراس أن الولد يشبه والده كثيرا في عشقه للصيد.

في إحدى مرات الصيد لاح للملك "برقان" غزال شرد عن قطيعه، فجرى خلفه والحراس تنتظر ومعهم ولديه "سارى" و"سمايدس".

وإذا بأرنب برى منطلق بين الحشائش في أسفل الجبل، فبصر به "سارى" عن جنب والحراس عنه غافلون، فانطلق "سارى" خلفه ومن ورائه أخته حتى غابا في منعطف خلف الجبل ولم ينتبه لهما أحدٌ من الحراس لأنه صار مألوفاً عندهم ما يقوم به الأمير الصغير.

تزامن في هذا الوقت وجود سبعة أفراد من قطاع الطرق خلف الأشجار الكثيفة، قد لمحوا الطفلين يطاردان الأرنب البرى، فخرجوا لهم فجأة وأحاطوا بهما وتلقف أحدهم "سارى" وأنزله من على فرسه وكتم فاه وصنع أخرمع "سمايدس" ما صنع بـ "سارى" وهددوهما بالقتل أن صدر منهما أى صياح أوحاولا الفرار.

حملوا الطفلين حتى وصلوا سفح الجبل، ومضوا في منعطفات الجبال وسلكوا الأودية الضيقة، حتى وصلوا لكهف لهم في أعلى جبل آخر، كان ينتظرهم فيه بعض قطاع الطرق، كانوا يقطعون الطرق على القوافل فينهبونها، ويقتلون المسافرين ويخطفون الأطفال والنساء لبيعهم لتجار الرقيق الذين يحملون ما غنموا إلى أسواق الرقيق بالمدن المجاورة.

كان "سارى" في تلك المدة يلعن خاطفيه ويسبهم ويعلن أنه ابن الملك وأن من باعها أو اشتراها فسيتم عقابه من الملك، وكان يضرب بيده أو يركل برجله أى أحد من هؤلاء، لكنهم كانوا يعاقبونه بالضرب الموجه ليمتنع عما يفعل.

أما "سماريدس" كانت تواصل البكاء فلا ينقطع دمعها ولا تقرب الطعام حتى نحل جسمها واصفر وجهها فلما خلا ببعضها قال لها "سارى":

- نحن نمتلك من الذكاء والفطنة ما يجعلنا متفوقين على هؤلاء الخاطفين، فنحن أبناء الملوك ولا بد أن نصبر صبر الملوك ولا بد أن نخفى حقيقتنا عن التاجر عندما يأتي لشراءنا وسنصبر حتى نهتدى لحيلة نهرب بها من بين أيديهم.

وبعد مرور أسبوع على وجودهما مع قطاع الطريق جاء أحد تجار الرقيق إلى الجبل واشترهما وأعد العدة للسير إلى المدينة ليبيعهما في سوق الرقيق وما أن وصلوا المدينة ونزلوا في خان هناك واستأجر التاجر حجرة لعدة أيام يواصل بعدها سيره إلى السوق، لكن ظهرت بوادر الحمى على "سماريدس" فجلس أخوها بجوارها حتى شفيت، لكن الحمى انتقلت لأخيها وزادت عليه واشتد به المرض فظلت أخته بجواره، فخشى التاجر على نفسه وتشاءم منها، فتركها على حين غرة وهرب.

أصبحت "ساريدس" في حيرة من أمرها، فلقد صارت وحيدة مع أخيها المريض لا يملكون من المال ما يقيمون به صلبهم، وقد زاد الضعف بأخيها وهي تخدمه و تنفق عليه و على نفسها حتى نفذ ما معها من المال القليل، ففكرت أن تباع الجوهرة التي أخذتها من أبيها وهي صغيرة، لكنها تراجعت عن الفكرة لأن أبيها أوصاه بالحفاظ عليها وعدم التفريط فيها مهما حصل فهي جوهرة مباركة.

حتى مر عام كامل وهي تستجدي الفئات من الناس لتتفق على أخيها المريض وفي يوم قررت أن تبحث عن عمل، فقالت لأخيه لتأخذ رأيه:

- إذا استمر بنا الحال هكذا سنموت من الجوع، ولقد قررت أن أبحث عن أى عمل يساعدنا على المعيشة، حتى لو أخدم في البيوت.  
فقال لها أخوها "سارى" وقد اشتد به المرض:

- ما هذا الكلام يا أختى، هل يصح بابنة الملوك أن تكون خادمة!  
لكنها كانت اتخذت القرار وصممت عليه، فخرجت في الصباح بعدما قبلت رأس أخيها وكان نائماً فلم يتبته لها.

مر النهار ولم تأتى وأخوها يظن أنها نفذت قرارها وخرجت تبحث عن عمل لكنها لم تأتى، فمر اليوم الثانى ولم تعد فاشتد خوفه عليه واشتد به الجوع فتحامل على نفسه وخرج من حجرته وصاح بأعلى صوته ربما يسمعه أحد فينقذه.

\*\*\*\*\*

الطرق خالية من الناس ، والبلاذ غريبة عنها، وهي فتاة صغيرة لا حول لها ولا قوة، سارت وهي دامعة العين تنظر يمينًا ويسارًا لعلها تجد من يتشلها من عثرتها فقد تركت خلفها أحمًا مريضًا لا يقوى على خدمة نفسه وليس عنده من الطعام أو الشراب ما يسد به رمقه.

كانت "سماريدس" فتاة جميلة، نحيلة بعض الشيء، متوسطة الطول، تظهر عليها أثر المعيشة في بيت الملوك، لكن تبدل حالها منذ أن تركت بلادها وفارقت بيت أبيها حتى قابلها رجل عجوز ولاحظ أنها تبكى وتمسح دموعها بطرف شال كانت تضعه فوق رأسها، فاقترب منها وسألها:

- من أنت أيتها الفتاة؟ وما الذى يبكيك؟

قالت له وهي تمسك بدموع عينها خوفًا من الانهيار أمام الرجل :

- أنا غريبة عن البلاد وانقطعت بى السبل، وأخى مريض فخرجت أبحث عن عمل يساعدنا على قضاء حوائجنا.

فرق الرجل العجوز لحالها، وقال لها:

- لا تبكى يا بنيتى؛ فعندى بنت مريضة، وأحتاج لمن يقوم على خدمتها لأنى تاجر ومشغول دائمًا عنها.

فرحت "سماريدس" وظنت أنها وجدت العمل المناسب، فقالت له:

- أنا مستعدة لخدمتها، لكنى لأبد أن أعود ليلا إلى أخى لأنه مريض

ونحن غرباء عن المدينة.

هز العجوز رأسه موافقًا، وأخذ يشير بيده ويقول:

- حسنًا، حسنًا يا نبتي، وليس عندي مانع من أن تنقل أخيك عندنا. تعاملت معه "سماريدس" بحسن نيتها ونقاء قلبها، فهي لم تخبر الحياة ولم تعرف الأخلاق السيئة للبعض، فقد كان الرجل لئيلاً خبيثاً، قاطع طريق ليس لديه بيت ولا بنت مريضة كما ادعى، لكنه عندما شاهدها وحيدة طمع فيها وقرر الفوز بها وبيعها في سوق الرقيق.
- كان بصحبته بعض زبانيته من قطاع الطرق، فحملوا "سماريدس" على الجمل، وهي ما زالت تظن أنه سوف يتوجه بها إلى بيته، لكن بعد مدة من سيرهم فطنت أنهم متوجهون بها خارج المدينة.
- فبكت وصرخت وأخذت تلعنهم وتصيح فيهم عندما وجدتهم قاصدين الجبال فهي تعرف أنها مأوى لقطاع الطرق، حتى قالت لهم وهي فوق الجمل:
- هل من النخوة أن تضحكوا على فتاة وحيدة مثل!
- سحقًا لكم من أناس قدت قلوبهم من حديد.
- عندما قرروا الحصول على بعض الراحة أنزلوها من فوق الجمل، فقال لها العجوز يهددها، والشرر يتطاير من عينيه:
- ما هذا البكاء يا وجه الشؤم، إن لم تكفى عن البكاء ضربتك حتى أقتلك.

فقال له وهي تبكي وتحمى رأسها بيدها خوفًا أن يضرها:

- يا عجوز السوء، كيف أعاملك بحسن نية وأنت تخدعني؟

ضحك العجوز بسخرية عندما سمع كلامها، ثم قال:  
 - حسن نية ! ما أنت إلا جارية تباع وتشتري، فاصمتي وإلا قطعت  
 لسانك.

و عندما وجدها تنظر إليه بغیظ، وتردد لعنهم، أمسك بسوط وانال عليها  
 ضرباً وهى تتلقى الضربات بيدها لتحمى جسمها ورأسها، لكنه كان رجلاً  
 غليظاً فضربها على جسمها و ظهرها، فعلا بكأؤها أكثر عندما تذكرت أخيها  
 المريض، وسقطت أرضاً من شدة الضرب فكف عنها، وقدم لها بعض الخبز  
 فاعفته ولم تمد يدها عليه فقال لها العجوز:

- لقد أثرتى غضبى و غيظى بكلماتك لذلك ضربتك، فاصمتى حتى أرى  
 ما أنا فاعل بك.

و استكملوا رحلتهم وعادت "ساريدس" إلى مكانها فوق الجمل وعندما  
 نهشها الجوع أكلت من الخبر الذى كانت تحتفظ به، استمرت رحلتهم أكثر من  
 أسبوع كامل و هى بين الحزن على حالها والحزن على حالة أخيها المريض الذى  
 تركته ولم تعد تعرف عنه شىء.

عرفت من كلام العجوز مع رجاله أنهم على وشك دخول المدينة فنظر لها  
 الرجل ضاحكاً وقال:

- عندما ندخل المدينة سوف أبيعك لرجل جيد فلا تقلقى.
- فنظرت له وهى فى قمة غضبها منه لما فعله معها:
- خير جميل تفعله معى، فقد كرهت النظر إلى وجهك القبيح.

ازدادت ضحكات الرجل على كلامها، فقال لها بسخرية:

- يا لك من جارية ناكرة للجميل!

ظهر الشحوب على وجهها وتغير من أثر الحزن وكثرة البكاء وتعب السفر، وبدت أكثر نحولا عن ذى قبل لكنها حتما ستباعد طالما وقعت في يد هذا العجوز الغليظ.

دخلوا سوق المدينة فهبط الجمل بها، وأمستك العجوز بيدها وتوجه ناحية المكان المخصص لتجارة الرقيق، فعرضها على جميع التجار، ويرد على أسئلتهم عن عمرها وأصلها فكان يخبرهم بأنها بالغة تقترب من الثامنة عشر، ذات عقل وجمال، لكن مسيرة شهر كامل أثرت عليها.

حتى تقدم منها تاجر رأى أنها جميلة فأخذ يتطلع لها ويفحصها بعينه وقال لها:

- كيف حالك يا بنيتي؟

فرفعت رأسها بعدما كانت تنظر إلى الأرض خجلاً من الوضع الذي صارت فيه فبعدها كانت بنت ملك تأمر فتطاع أصبحت جارية تباع وتشتري كأنها سلعة يتداولها الناس بين أيديهم، ورغم كل ما تمر به لكنها لا تستطيع أن تبوح بحقيقة أمرها وأنها ابنة الملك "برقان" فلن يصدقها أحد بل سيؤدى ذلك إلى السخرية منها وربما اهتمها بعضهم بالجنون، فنظرت ناحية الرجل الذي سألها عن حالها، فوجدته رجلاً ذو هيئة ووقار، تظهر على وجهه الطيبة والسماحة، فاستبشرت خيراً وقالت في نفسها، أظن أن هذا الرجل جاء ليشترينى وعلى أى حال أفضل من هذا العجوز الظالم، فردت عليه بكل أدب ومنطق، فأعجب التاجر ببلاغتها

وفصاحتها، وجمالها الذى يتوارى خلف الحزن الظاهر فى عينيها فاستبشر خيراً بها وهو ينوى أن يبيعها لملك المدينة.

ثم التفت إلى العجوز وقال له:

- أنا أشتري منك هذه الجارية، كم تطلب فيها؟

فقال له العجوز الماكر بعدما لاحظ إعجاب التاجر بها:

- يعز على بيعها لما تتمتع به من جمال وأدب، ولكن هذه مهنتى أبيع جارية ولأبحث عن غيرها.

فطن التاجر أن الماكر يريد أن يزيد فى ثمنها، فقال له:

- أنا أدفع لك فيها مائتى دينار من الذهب.

ضحك العجوز بسخرية وقال للتاجر:

- ماذا تقول يا هذا، لقد كلفنا طعامها فقط مائتى دينار منذ جئت بها،

وفر عليك مالك، فلن أبيعها بهذا المبلغ الزهيد.

وكانت هى تنظر للتاجر كأنها تترجاه أن يشتريها مهما كلفه ذلك الأمر من أموال، فظل السجال بينهما على الثمن حتى اتفقا أخيراً على المبلغ المطلوب، فتسلمها التاجر من العجوز ووضع عليها شيئاً من ملابسه و مضى بها إلى بيته، وأحسن إليها وطلب من جارية عنده أن تأخذها لتغتسل، ثم قدم لها الطعام والشراب وفى اليوم التالى أخذها إلى السوق واشترى لها بعض الملابس والجواهر.

ثم عاد بها إلى بيته وطلب منها أن ترتدى الملابس التى اشتراها لها من السوق وتزين وظلت فى بيته أكثر من شهر وهو يهتم بها، وكل يوم تأخذها الجارية لتغتسل وتلبس أفخر الثياب حتى نبتت النظرة على خديها من جديد واستعادت

حسنها وجمالها، ولكن تبقى غصة في قلبها لفراقها أخيها الأمير "سارى"، لكن ما تفعل وقد فرقت بينهما الحياة فاستسلمت لأمرها لعلها يجتمعان مرة أخرى.

وفى ظهر أحد الأيام عاد التاجر من السوق، وطلب من جارته أن تلبس الفتاة أفخر الثياب وتزينها بأجمل زينة وتضع على الجواهر غالية الثمن.

ثم توجه بها إلى قصر الملك وكله أمل أن تكون صفقته الرابعة ويشتريها منه الملك بأعلى الأثمان، عندما وصلا البوابة الخارجية للقصر أخبر التاجر الحراس بسبب قدومه فأذنه له بالدخول، فسار و"سماريدس" خلفه حتى حديقة القصر، فطلبها منها أن تنتظره، حتى يدخل على الملك ويعرض عليه شراءها.

وقفت "سماريدس" بمفردها في حديقة القصر فأخذت تتطلع للقصر فتذكرت قصر أبيها الملك "برقان" وأعاد لها ذكريات طفولتها وهى تضحك وتلعب وتلهو مع أخيها وتوأما "سارى" فترقرقت الدموع فى عينيها، وخرجت منها تنهيدة توجع معها قلبها على الأيام الخوالي حيث رغد العيش ودفء الأهل.

لما دخل التاجر على مجلس الملك، انحنى وقدم التحية، فقال له الملك:

- ماذا وراك أيها التاجر؟ ماذا ستبيع لنا هذه المرة؟

فقال التاجر وهو يتصنع الابتسامة، حتى يقنع الملك ببضاعته:

مولاي الملك المعظم، جئتكم بأعظم هدية، جارية لا مثيل لها فى الجمال والأدب بالإضافة لعلمها ومعرفتها.

فضحك الملك ثم قال للتاجر وهو يشير له بيده:

- أنت ماهر فى عرض بضاعتك أيها التاجر، أين تلك الجارية حتى نحكم

على صدق كلامك.

انحنى التاجر برأسه وقال:

- إنها تنتظر في الخارج يا مولاي.

فأشار الملك لخدمه وأمره أن يعرضها على كبيرة جوارى القصر لتبدي رأيها فيما يقوله التاجر و بعد مرور ساعة عاد الخادم، وانحنى أمام الملك الذى أذن له بالكلام فقال:

- مولاي الملك، كبيرة الجوارى تخبركم بأنها لم تر مثل هذه الجارية فى حسنها وجمالها وعقلها وأدبها وعلمها، حتى قالت عنها بعض الجوارى أن مثلها لا بد أنها ملكة من بيت ملوك.

تعجب الملك مما سمعه و كان لم يتزوج من قبل، فقال فى نفسه ربما أرسل لى القدر بهذه الجارية حتى أتزوجها وفتسعدنى وتنسينى همومى وأحزانى، ففى لحظة لم يفكر فيها جيدا لأنه يثق فى رأى كبيرة الجوارى، قال وكلام الملوك لا يرد:

- أشهد جميع حضور مجلسى أنى قد أعتقت هذه الجارية وأنوى الزواج منها والدخول بها الليلة.

وأمر للتاجر بثلاثة أضعاف ثمنها وعينه كبير التجار تكريبا لها، فرح التاجر فرحة غامرة وظل يشكر الملك على عطائه الوافر، وأخذ يعدد محاسن الفتاة وأنها تليق بأن تكون زوجة ملك عظيم مثله.

طلب الملك من الخادم أن تعلق الزينات وتقام الأفراح، وأن يأمر كبيرة الجوارى بتجهيز الفتاة للعرس الذى سيقام الليلة داخل القصر، وأن تزينها بأجمل الثياب حتى تليق بكونها أصبحت زوجة ملك المدينة.

فُئذ كل ما أمر به الملك، وفي المساء حضر الوزراء وكبار رجال الدولة إلى القصر ليشهدوا زفاف الملك على الجارية التي اشتراها وقرر الزواج منها. فأعدت الولايم ورقصت الجوارى والكل كان في سعادة وسرور. وبعءما انتهى الحفل، صاحبت الجوارى زوجة الملك إلى غرفتها، التي كانت في أبهى زينتها وجمالها، فجلست على طرف السرير تنتظر مجيء الملك.

\*\*\*\*\*

عندما نفذ الملك "ميمون أبا نوخ" كل ما طلبته منه أمه "دنهش" وأحضر لها أربع بنات من أجمل فتيات بنى جنسهم، فزيتهم بأجمل الثياب وأثمن الجواهر، وارتدت هي ملابس تدل على الوقار والمعرفة وغيرت من هيئتها وشكلها حتى لا يتعرف عليها أحد، وسافرت قاصدة مملكة "أفناموس" وقصر الملك "برقان".

بعد عدة أيام كانت على مشارف المملكة، ثم وصلت قصر الملك وطلبت من الحراس السماح لها بالمشول بين يدي الملك لأمر هام، فرفض الحراس طلبها لكن مع إلحاحها المتواصل، دخل الحارس على الملك ليخبره بأمر تلك العجوز، فسأله الملك قائلاً:

- وماذا تريد تلك العجوز التي تحكى عنها!؟

انحنى الحارس برأسه أمام الملك "برقان" وقال له:

- لا أعرف يا مولاي الملك، حاولنا كثيرًا معها، لكنها تلح في طلبها وتقول أنا تريد مقابلة الملك في أمر هام.

فظن الملك أنها ربما تعرف شيئًا عن ولديه "سارى" و"سماييدس" فسمح لها بالدخول عليه، وما أن دخلت تصنعت الورع والزهد وانحنت وقدمت التحية للملك وخلفها الجوارى الأربعة فعلمن مثلها وقد غطت ملابسهن وجوههن، فقالت العجوز:

- أيها الملك المعظم، لقد جئتك بأربع جوارى تعلمن منى قراءة الطالع ومعرفة الفلك والنجوم، وفضلتك عن سائر الملوك والأمراء، لكن عليهن حكمًا من رجال الغيب، وأخاف أن أموت قبل أن ينفذ هذا الحكم فيضيع علمهن ويذهب تعبى معهن هباء.

تعجب الملك من كلامها، وعندما لاحظت أنه ينظر إلى الجوارى، أشارت لهن بيدها فكشفن وجوههن، لأنها تعلم أن الملك "برقان" مولعٌ بالجوارى الجميلات، فافتتن الملك بحسنهن وجمالهن، وقال لها وهو ما زال ينظر للجوارى:

- وكيف ينفذ هذا الحكم أيتها العجوز؟

فقالت العجوز بخبث:

- يا مولاي الملك، هن بنات أبكار أقر رجال الغيب بأنهن أجمل بنات الأرض، ولا بد أن يشرب أحد الملوك كأس من شراب التوت الممزوج بريقهن كل ليلة جمعة لمدة شهر كامل، وفي نهاية الشهر ينتهى الحكم ويصرن ملك يمين الملك يتصرف فيهن كما يشاء.

تعجب الملك من كلامها، فنظر لوزير الواقف بجواره، ثم قال للعجوز:

- وما فائدة كل هذا؟!

قالت العجوز الماكرة:

- لو شربت من المنقوع الممزوج بشهد ريقهن كل ليلة جمعة كما أخبرتك سترى عافية في بدنك، ويزول همك، وتسمع خبر يسعدك، وتحوز كنوز الأرض، ويزيد عمرك.

تعجب الملك "برقان" من كلامها، فأردفت قائلة وهى تشير لكأس شراب فى يده:

- تأخذ منى كل ليلة ثلاثاء كأس من الشراب، تعتقه إلى ليلة الجمعة، تشربه بعد أن تخرج من حمامك، وتدخل خلوة لا تعاشر فيها النساء، ولا تخرج منها إلا يوم الاثنين التالى، وهكذا حتى آخر الشهر.

- ظل الملك ينظر لها وبدا عليه أنه يفكر في الأمر، ثم قال:
- لا بأس، لن نخسر شيئاً ، ولكن سيكون عقابك شديد إن مر الشهر دون حدوث أى شيء مما أخبرتني به.
- انحنت العجوز للملك، ثم قالت:
- مولاي الملك، اطمئن؛ فأنا فضلتك على كل الملوك والأمراء لأنى أعرف مكانتك بينهم.
- أمر لهم الملك بقصر فخم للإقامة فيه حتى ينتهى الشهر، وخصص بعض الخدم والجوارى لخدمتهم، فقالت له العجوز:
- والآن مولاي الملك، سوف أخرج إلى خلوتي بالجبل حتى أناجى رجال الغيب، وأحضر لك يوم الاثنين ومعى الشراب المطلوب فيظل عندك لتشرب منه ليلة الجمعة.
- في اليوم المتفق عليه جاءت العجوز "دنهش" بالشراب المطلوب فتناوله للملك، وكان قد جهز خلوة في القصر لا يدخلها غيره، وعادت هى للجبل بعد أن أكدت عليه كلامها مرة أخرى، وفي ليلة الجمعة، دخل الملك "برقان" خلوته واغتسل وصعد إلى سريره ثم أمسك بالكأس وشرب منه فراح في سبات عميق.

\*\*\*\*\*

تجمع الناس على صيحة "سارى" الذى وقف يستند على جدار الغرفة ، فطلب منهم أن يساعده حتى يصل إلى السوق لعله يجد أخته "ساريدس" فساعده رجل وعهد به إلى صاحب عربة حملته إلى السوق وعندما وصل هناك ساعده الرجل وأنزله بجوار بعض التجار، فطلب منهم "سارى" طعام لأنه جائع وليس معه أموال، ف جاءوا له ببعض الطعام وأعطوه القليل من المال.

جلس "سارى" فى ركن داخل السوق وافترش الأرض وبدأ يأكل من الطعام الذى أخذه من الناس، وكان هناك رجل يراقبه من بعيد، فرق لحاله فاقترب منه وجلس بجواره وقال له:

- من أنت يا بنى؟ وأين أهلك؟ ولماذا تركوك هكذا؟

نظر له "سارى" بعينه الذابطة، وقال:

- أنا "سارى" ابن .....

لم يكن لى إلا أخت واحدة خرجت تبحث لنا عن طعام ولم تعد إلى الآن. أحس الرجل أن وراء هذا الفتى سر كبير ولا يريد أن يفصح عن حقيقته ، فربت على ظهره وقال له:

- هل تمنع يا بنى أن تأتى معى حتى تعود أختك؟

رفع "سارى" رأسه وكان منهمكًا فى الأكل لشدة جوعه، فقال للرجل والدموع تترقق فى عينيه حتى سقطت منها دمعة على الخبز الموجود أمامه:

- أكون شاكرًا المعروفك أيها الرجل الكريم.

أنهى "سارى" كلامه وانكب على يد الرجل ليقبلها، إلا أن الرجل جذبها بسرعة وقد أثرت فيه حالة "سارى" أشد الأثر، فساعده حتى وقف على قدميه، وأخذه معه إلى بيته، وكان الرجل تاجرًا ميسور الحال، كان بيته واسعًا تحيط به حديقة كبيرة، ظل "سارى" يتطلع للبيت ويتفحصه، حتى استقبله الخادم فأمره التاجر بمساعدة الفتى حتى يغتسل ويبدل ثيابه حتى تجهز له الجارية الطعام والشراب.

بعد أن فرغ "سارى" من تناول طعامه، أخبره الخادم بأن سيده ينتظره في صالة البيت، ساعده الخادم حتى أوصله إلى التاجر الذى استقبله وهو يبتسم فأخذ بيده وأجلسه بجواره، وظل يُسرى عنه فحكى له عن المواقف والنوادر التى حدثت معه أثناء سفره للتجارة.

أحب "سارى" طريقة التاجر الشيقة في قص الحكايات والنوادر، واستنتج التاجر أن "سارى" من أصل طيب وعائلة كريمة، لكن جار عليه الزمن فلم يشأ أن يسأله عن حكايته حتى يشفى تمامًا، ويقص حكايته من غير أن يلح عليه في السؤال.

اقرب الليل من نصفه، فاستدعى التاجر خادمه وأمره قائلاً:  
- هذا الفتى في منزلة ابنى، فلا تعصى له أمرًا ولا تؤخر له طلبًا وعليك بالعداينة والاهتمام به حتى يستعيد عافيته.

هز الخادم رأسه بالموافقة وانحنى لسيدة ثم انصرف، بينما كان "سارى" ينظر للتاجر وظل يشكره بعينه قبل أن ينطق لسانه بكلمة شكر، فشعر التاجر بما يكابده.

فريت على كتفه وقال:

- يا بني، أنا لم أرزق بولد، وقد لمست فيك الأصل الطيب، فسوف تظل معي على الرحب والسعة، حتى تعود أختك وإن أردت أن تبحث عنها فسوف أساعدك؛ لكن عليك الآن الاهتمام بصحتك.

زاد اهتمام الخادم بـ "سارى" بعد أمر سيده، فكان يساعده يوميا في أن يغتسل ويبدل ثيابه وحلق له رأسه، فبدأت نتيجة الاهتمام المتواصل من الخادم تظهر على وجه "سارى" وبدأت العافية تعود إليه بعض الشيء.

و كان التاجر يسهر مع "سارى" كل ليلة بعدما يعود من السوق فيتناول معه طعام العشاء ثم يجلسان فيحكى له التاجر بعض الحكايات والنوادر شيئا فشيئا بدأ "سارى" يشعر ببعض التحسن في بدنه، وبدأ يحدث التاجر عن أخته وعن نيته البحث عنها.

فوافقه التاجر في رأيه و وعده أنه سيأخذه معه في الصباح إلى السوق حتى يسأل التجار عن أخته الغائبة.

وفي الصباح خرج "سارى" بصحبة التاجر، وبحثا عن أخته في كل مكان وسألا كل التجار فلم يعثرا عليها ولم يخرجها عنها بخبر إلا من شخص قال لما عرف أوصافها أنها سافرت مع قافلة إلى المدينة التي كانت على بعد ستة أيام، فصمم "سارى" على السفر والبحث عن أخته، فأخبره التاجر أنه مسافر قريبا إلى المدينة بقافلة تجارة و سيصحبه معه ولن يدعه يسافر بمفرده، لأن السفر إلى المدينة لا يكون إلا بركوب البحر.

\*\*\*\*\*

لم تكن "ساريدس" تعلم أن من أعتقها وتزوجها هو نفسه أخوها الملك "ساران" فهي منذ ولادتها وأبيها يخفيها عن العيون، فلم تر أخيها "ساران" من قبل كما أنها منذ وصلت المدينة لم يُذكر اسمه أمامها ، وهو أيضا لم يرها من قبل وحتى بعدما تم خطفها أرسل له والده الملك "برقان" بذلك ، وقتها حزن لحزن أبيه لكن في نفس الوقت فرح عندما علم أنه لن ينازعه أحد في الملك.

ويوم العرس عندما دخل عليها كانت تجلس على سريرها الكبير وقد طُرحت عليه ستارة ، كشف "ساران" الستارة التي تفصله عنها وعندما انحنى واقترب منها ليقبلها وجد في عنقها الجوهرة المباركة التي أخذ مثلها من والده الملك "برقان" فعدل جسمه واقفاً وقال لها:

- من أين لك بتلك الجوهرة يا جارية؟

أغضبتها نبرة صوته الأمرة، فهبت واقفة وقالت له:

- أنا لست بجارية ، أنا سيدتك وسيدة كل من في القصر، أنا ملكة بنت

ملك وأخت ملوك

قال لها:

- ما هذا الكلام الذي أسمعه؟!

قالت وهي تبكي وبدأت الدموع تتساقط على وجنتيها:

- أنا ابنة الملك "برقان"، وإخوتي "ساران" و "سارى"

عندما سمع "ساران" هذا الكلام ، ارتجف قلبه، وسقط على ركبتيه و وضع

رأسه بينها ، وأعاد عليها السؤال دون أن يعرفها بنفسه وقال:



- هل أنت حقًا "سمادريديس" بنت الملك "برقان"؟  
فقال كبرياء وثقة:
- نعم ، أنا بنت الملك "برقان".  
قال لها حتى يتأكد:
- وما سبب فراقك لأبيك؟ وكيف صرت جارية؟  
فأخبرته بكل ما حدث معها منذ فارقت والدها حتى تركت أخيها "سارى"  
مريضًا، حتى وقعت في أيدي تاجر من التجار باعها له.  
لما سمع "ساران" كلامها وتحقق من صدق حديثها، انهار في البكاء وقال:
- يا ويلى ، كيف أتزوج من أختى !  
أنا ابن الملك "برقان"؛ أخوكى الكبير "ساران".  
لما سمعت كلامه نظرت إليه تتفحصه، ثم بكت وظلت تلطم وجهها  
فقال لها:
- هونى عليك يا أختاه، أنا فى الحال سأرسل رسالة لأبى الملك أبشره  
بأنى عثرت عليك، وأنتك الآن فى أمان عندى.  
ارتدى "ساران" ملابس، ونادى على الجوارى و أمرهن أن يقمن على خدمة  
أخته ورعايتها، حتى يرسلها لأبيها الملك.  
وفى الصباح أقيمت الأفراح فى المدينة، تكريمًا لعودة أخته "سمادريديس" بعدما  
افترقا لمدة خمس سنوات، لاقت فيهم العذاب هى وأخيها "سارى" التى لا  
تعرف عنه شيئًا، وعندما تذكرت أنها تركته وهو مريض فطلبت من أخيها  
الملك "ساران" أن يرسل من يبحث عنه ويعود به.

وطار رسول "ساران" برسالة إلى والده الملك "برقان"، و وعد أخته بالبحث عن أخيها المريض الغائب الذي لا يعرفون من أخباره شيئاً.

وكان الملك "برقان" قد شعر بقوة في بدنه، بعدما شرب الكأس الأول فبدأ يصدق كلام العجوز، ويوم الاثنين جاءت له بالكأس الثاني ففعل به كما فعل مع الأول وهي تخرج للجبل تناجى رجال الغيب وتتواصل معهم كما قالت له.

وبينما كانت عنده أخبرته أنها اتصلت برجال الغيب وأنهم يجهزون مفاجأة للملك، ففرح فرحاً شديداً وكله أمل أن يتحقق ما بشرته به ورجاء أن يعود إليه ابنه "سارى" وابنته "ساريدس"، فقد صار يعتقد في كلام العجوز كل الاعتقاد ويصدقها كل التصديق، وعندما أقبل البشير برسالة "ساران" إلى والده الملك "برقان" وكان قد فرغ من الكأس الثاني وترك خلوة في انتظار العجوز لتقدم له الكأس الثالث.

خبر العثور على ابنته وأنها في أمان عند أخيها زاده تصديق لكل كلام العجوز وقرر تنفيذ كل ما تطلبه منه عسى أن تتحقق البشرى في العثور على ولده الغائب "سارى".

وعندما عادت العجوز من خلوتها، استقبلها الملك وهو باسم الوجه وقال:

- أهلا بك يا وجه الخير

فتعجبت العجوز عندما وجدت الملك في قمة سعادته، فسألته قائلة:

- ماذا حدث أيها الملك المعظم؟!

فقال الملك وهو يشير للخادم بأن يأتي للعجوز بكأس من الشراب:

- لقد عثر ابني "ساران" على أخته الغائبة عنا منذ خمس سنوات.

فرحت العجوز الماكرة وأيقنت بأنها أخيراً سوف تصل لهدفها الكبير وقريباً سوف تكون "سماييدس" فى قبضتها، حتى تنتقم من الملك "برقان" وأولاده، وتعيد القوة إلى بنى جنسها.

فقال بدهاء وخبث:

- لقد تحقق كلام رجال الغيب وأنهم لم يكذبوا حينما أخبرونى بأنهم يجهزون مفاجأة للملك المعظم "برقان".

قال لها الملك "برقان" وهو مازال فى نشوة السعادة بالعثور على ابنته:

- لقد كنتُ فى البداية لا أصدقك، لكن الآن أنا صرتُ أصدق كل كلمة تصدر منك، وأريد مكافأتك وسوف أحقق لك أى طلب تطليه.

انحنى العجوز تحية للملك وقالت:

- ليس لى أى طلبات يا جلالة الملك، لكن هل يسمح الملك فى يطلب من ابنه الأمير "ساران" أن يسرع بإرسال الأميرة "سماييدس" حتى يتحقق الجميع من صدق رجال الغيب.

أثنى الملك على زهداها عندما رفضت أن تطلب شىء لنفسها، وأخبرها بأن الأميرة "سماييدس" فى طريقها الآن لمملكة "أقناموس".

\*\*\*\*\*

صحب "سارى" التاجر إلى مدينة "زغدانة"، التى كان يأمل أن يجد فيها أخته التى خرجت وتركته ولم تعد إلى الآن رغم مرور مدة طويلة على غيابها. طول رحلة السفر والتاجر لم يفارق الأمير "سارى" فقد صار يخاف عليه كأنه ولده، وقد شعر "سارى" بذلك فأصبح يكن للتاجر كل احترام وتقدير، لأنه أنقذه من الموت مريضًا جائعًا.

وصل "سارى" ومعه التاجر الأمين إلى مدينة "زغدانة" وظلوا بها ثلاثة أيام ويحثوا فى كل مكان وسألوا كل من قابلوه عن أخته "ساريدس" فلم يعثر لها على خبر، فقرر العودة بحرًا إلى مملكة "أقناموس" ليحكى لوالده الملك "برقان" ما حدث معه ويطلب منه الإسراع فى البحث عن "ساريدس" التى كان يتمنى أن يدخلها سويًا على أبيهما فيزداد بهم فرح وسعادة. كان السفر إلى "أقناموس" بركوب البحر، فتوجه "سارى" ومعه التاجر الذى كان يرفض أن يتركه بمفرده حتى يطمئن عليه، فعهد بتجارته لبعض الأشخاص فى سوق مدينة "زغدانة" حتى يسافر مع "سارى" إلى مملكة "أقناموس".

توجهها ناحية البحر حتى يبحثان عن مركب تقلها إلى المملكة، وأثناء سيرهم على الشاطئ لفت نظر "سارى" ضفيريّتين من الشعر ملقيان على الرمال بالقرب من البحر، فتذكر أخته حتى غمره أحساس غريب بأن هذا الشعر يخص أخته "ساريدس".

فسأل بعض الصيادين فأخبروه بأن هذا الشعر ينخص جارية جميلة كانت مع بعض التجار وكانت تقاومهم كأنها لا تريد الذهب معهم، فقاموا بضربها بقسوة وقاوموا بقص شعرها عقابًا لها، وعندما حاولنا التدخل لانقاذها، نهرونا وقالوا هذه جاريتنا اشتريناها بأموالنا ولنا الحق في تأديتها كما نشاء.

شعر "سارى" بغصة في قلبه، لأنه بدأ يشعر أن بتلك الجارية التى تحدث الصياديون عنها ربما تكون أخته فعلا واختطفها بعض قطاع الطرق.

أخبر "سارى" التاجر بما أحسه عند رؤيته لضفيرة الشعر الملائقة على ساحل البحر، فطمأنه التاجر أنها مجرد تخيلات وأوهام، وأن أخته لم يصبها أذى وربما يكون هذا الشعر لجارية أخرى كما أخبرهم الصياديون.

صعد "سارى" والتاجر إلى المركب التى ستنقلهم إلى مملكة "أقناموس" فشعر "سارى" بضيقة في نفسه وعظم عليه الظلم الذى تعرض له هو أخته وتداولهم في أيدي النخاسين والتجار.

فأراد الانفراد بنفسه في مكان عند مقدمة المركب، وبدأ يتشاغل بمشاهدة الماء في الظلام، وكان نظره يقع كل مدة على المراكب التى تمر بهم جهة اليمين أو جهة اليسار وتفكيره مازال يدور في فلك البحث عن أخته، أعجبه صوت الملاحين وغناؤهم إلى أن مرت بهم مركب لم يسمع فيها صوتًا ولم يعلم بوجودها إلا من نور ضعيف كان معلقًا على ساريتها، وبعد ما بعدت عنهم أمتار قليلة سمع صحية ورأى شبحًا وقع في الماء، فحدثته نفسه أن هذا شخصًا ألقاه أحدهم في الماء.

فانقبض قلبه بشدة وصاح على التاجر ثم ألقى نفسه في الماء خلف الغريق،  
فصرخ فيه التاجر وانزعج كل من في المركب، وظن التاجر أن "سارى" أقدم على  
الإنتحار تخلصاً من حياته التي لم ير فيها إلا العذاب.

لكن فجأة ظهر "سارى" على سطح الماء وهو يجر بين يديه غريقاً فانقبض  
جميع من في المركب وألقى له الملاح حبلاً ليساعده، فتشبث به "سارى" وجذبه  
التاجر ومن معه وساعدوهم حتى صعدوا إلى المركب.

كان "سارى" يتنفس بصعوبة من المجهود الذى بذله في السباحة، فجلس  
يلتقط أنفاسه وهذا الغريق بجواره منكباً على وجهه.

عمل التاجر على إفاقة "سارى" وتهديته، بينما انشغل الملاحون في معالجة  
الغريق ومعرفة ما إن كان على قيد الحياة أم فارقتها.  
وكان شعر الغريق مقصوفاً، فصاحوا جميعاً:

- إنها الفتاة التى رأيناها على الشاطئ وقام من معها بقص شعرها.

انتبه "سارى" لصيحة الملاحين، وانكب على وجهها يتفحصه، فعرف أن  
الغريق الذى أنقذه ما هو إلا أخته "سماريدس".

فبدأ يتضغط على صدرها وهو يأمل في أن تعود للحياة، حتى انتفضت  
وخرج الماء من فمها، فانفجرت أسارير وجهه بالبشرى وظل يضحك ويبكي  
وكان في حالة من الجنون بالعثور على أخته "سماريدس".

أسندها حتى جلست وهى مذهولة تنظر إليه وتمسح بيدها على وجهه وتبتسم  
لكنها لا تستطيع الكلام.

فأسعفها التاجر ببعض الماء، وجاء الملاح ببعض الطعام، فأكلت وشربت واستعادت وعيها الكامل.

ثم أَلقت بنفسها في أحضان أخيها وهي تبكي وأخيها يمسح على رأسها ويهدئها، والتاجر ومن معه في غاية الدهشة مما حدث، جلس "سارى" وأخته في مقدمة المركب وأخذت تحكى له ما حدث لها منذ أن فارقت في الخان وهو مريض، ووقوعها في أيدي العجوز الخبيث وبيعه لها كجاريه لتاجر آخر، حتى اشتراها أخيها "ساران" الذى هو نفسه ملك "زغدانة" من التاجر وكاد أن يتزوجها ويدخل بها إلا أنه اكتشف حقيقتها في آخر لحظة.

وأن "ساران" أرسل إلى والدهم الملك "برقان" يبشره بالعثور على "سماريدس" فأمر الملك بسرعة إرسالها إليه حتى تفر عينه برؤيتها.

فأسرع أخوها "ساران" بتجهيز موكب لها وإرسالها للملك، وبالفعل سافرت "سماريدس" يجرسها أربعة من الرجال، وبعد خروجهم من قصر "ساران" بزغدانة بثلاثة أيام تكالب عليهم قطاع الطرق وقتلوا ما معها من الرجال وأخذوها عنوة، لكنها ظلت تقاومهم وتلعنهم وتقول لهم حقيقتها لكنهم لم يصدقوها وانها لوالا عليها ضرباً وتعنيفاً ولما لم تسكت عنهم قصوا شعرها وهددوها بالقاءها في البحر.

قال لها أخوها وهو ينظر لها بكل حب وود وخوف:

- لا تخافى، نجوتِ من القوم الظالمين.

ثم بدأ يروى حكايته لها منذ تركته وهو مريض، وأن التاجر وجدته ملقى في السوق لا حول له ولا قوة، فأخذه بيته وأكرمه واهتم به حتى اشتد عوده وقوى ساعده، فقرر البحث عنها و لم يتركه التاجر منذ وقتها، وأنها بحثا عنها في "زغدانة" و لما لم يعثرا عليها، قررا السفر إلى مملكة "أقناموس" إلى والدهم الملك "برقان".

وحدثها عن رؤيته للشعر المقصوص وإحساسه بأنه يخصها حتى صعد المركب ورأى ما كان من الذين ألقوها في البحر فألقى بنفسه خلفها وأنقذها.

\*\*\*\*\*

أحضرت العجوز الكأس الثالث للملك، الذى سعد كثيرًا بعثور ابنه "ساران" على أخته، وهى الآن فى طريقها إلى مملكة "أفناموس"، حتى تسعد أمها "ميرة" برؤيتها، فناولته العجوز الشراب الثالث كالعادة يوم الاثنين وطلبت منه إلا يشرب منه إلا ليلة الجمعة.

ثم قالت للملك:

- أيها الملك المعظم، لقد تحدثت أثناء خلوتى مع رجال الغيب وأخبرونى أنك ستنتصر على عدوك وتملك الأرض شمالاً وجنوباً.

فرح الملك بقولها، فقد بات يؤمن بكلامها، بعدما صدقت فى موضوع ابنته، أخذ الشراب منها وفى ليلة الجمعة دخل حمامه واغتسل وتناول الشراب ودخل الخلوة التى يبقى فيها من ليلة الجمعة إلى يوم الاثنين التالى لايخرج منها ولا يدخل عليه أحد.

بينما العجوز تركته كالعادة وصعدت الجبل بحجة أنها تدخل خلوة تنظر فيها للنجوم وتحسب الفلك وتناجى رجال الغيب.

حتى جاء يوم الاثنين وخرج الملك من خلوته، جاءت الماكرة بالكأس المملوء بشراب التوت وعليه شهد من ريق العذراى، تسلمه منها الملك وهو سعيد؛ فقالت له:

- أيها الملك، هذا آخر كأس شراب لك منى ستشربه مع آخر ليلة جمعة فى الشهر وبعده ستكون الجوارى هدية لك تصنع بهن ما تشاء، لكن يجب على

أخذهن معى هذه المرة حتى أغسلهن بهاء الورد فيطبن لك ويكن تحت أمرك طول عمرك الذى سيزيد خمسون سنة من الآن.

قال لها الملك:

- ومتى تخرجين بهم للجبل؟

قالت:

- عندما تدخل أنت خلوتك ليلة الجمعة، أكون أنا فى طريقى للجبل وهن معى، لعلهن يعدن إليك ومعهن البركات وكنز من كنوز الدنيا يساعدك فى التجهيز لقتال عدوك.

ثم نظرت للملك بمكر وخبث وقالت:

- لو كان عندك أحد تريده أن يحصل على البركات ويغتسل بهاء الورد حتى يسعد بالبشرى أرسله معى.

فتذكر الملك زوجته "ميرة" وما حدث لها فى فقد ولديها، وحالتها السيئة التى تحسنت بعض الشيء بعدما وصل لها خبر العثور على ابنتها لكنها ما تزال تأمل فى عودة ابنها الغائب "سارى"، فقال لها الملك:

- عندى جاريتى وزوجتى "ميرة" خذيها معك لعل حالتها تتحسن قبل وصول ابنتها من السفر.

أحست الماكرة بنشوة وأنها وصلت لغرضها فقالت:

- على الرحب والسعة يا ولدى، أطلب منها أن تستعد للخروج معنا ليلة الجمعة القادمة.

جاءت آخر ليلة جمعة في الشهر، فنفذ الملك "برقان" كل ما طلبته منه العجوز الماكرة واغتسل ودخل خلوته، بعدما ودع زوجته التي ستذهب مع العجوز والجوارى إلى الجبل على أن يعودوا جميعا بعد ثلاثة أيام.

بعدما دخل الملك الخلوة وشرب الكأس الرابعة ونام على أمل أن يحدث له كل ما أخبره به العجوز الماكرة، لكن مرت الثلاثة أيام ولم يخرج الملك من خلوته كالعادة ولم تُعد العجوز بالجوارى وزوجته الملك.

أدى غياب الملك لقلق الوزير "يوشهور" لكنه فضل الانتظار ليوم آخر حتى لا يغضب الملك باقتحام خلوته، لكن مر اليوم الرابع ولم يخرج الملك، فذهب الوزير إلى مكان الخلوة ونادى بأعلى صوته حتى يسمعه الملك فلم يرد عليه أحد، هنا تملك القلق من الوزير، وأمر الحرس بكسر الباب واقتحام خلوة الملك.

وما أن دخلوا من الباب حتى استقبلتهم رائحة نتنة صادرة من اتجاه السرير الذى يرقد عليه الملك، أخذوا في تقليبه فوجده ميتاً منذ مدة اقشعر بدن الوزير من المنظر وطلب بسرعة تجهيز الملك للدفن.

خرج الوزير من حجرة الملك، فأتاه رجل من الحراس بورقة أخبره أنهم وجدوها في غطاء كأس الملك، تناول الوزير الورقة بعدما قرأ ما فيها، قال:

- يا لك من عجوز ماكرة!

\*\*\*\*\*

كانت المركب اقتربت من شاطئ مملكة "أقناموس" حيث يتواجد الملك "برقان" وما أن شاهد "سارى" بيوت ومنازل المملكة حتى شعر بأن النسيم يملأ رئتيه وشعر ببعض الأمان والطمأنينة لوجوده في مملكة أبيه وأجداده. نزل الجميع من المركب، فشكر "سارى" الملاحين على حسن صنيعهم معه وحمل بعض الأمتعة التي كانت معه هو والتاجر وتوجه تلقاء المدينة ويده في يد أخته العزيزة "ساريدس".

على مرمى البصر ظهر في الأفق شيء كأنه معسكر للجيش، وجنود وحراس، فقصده إليه "سارى" وطلب من الجنود أن يأخذوه إلى قائد المعسكر لأن لديه بعض الأخبار المهمة.

أسرع الحراس باصطحابه ومن معه ولم يتعرفوا عليه لمرور الكثير من السنوات منذ أن فارق "أقناموس" سار الحارس حتى وصل إلى خيمة كبيرة وطلب منهم الانتظار، ثم عاد وسمح له بالدخول، وما أن رأى "سارى" الرجل الجالس في الخيمة حتى عرف أنه الوزير الحكيم "يوشهور" بلحيته البيضاء فاقبل عليه مبتسماً وقال له:

- مرحباً بالوزير الحكيم والوالد الكبير "يوشهور".

تعجب الوزير من كلامه، ومن منظره وهيئته الرثة؛ فقال له:

- من أنت يا هذا؟ وماذا تريد؟ وما الأخبار الهامة التي تحدثت عنها

للحارس؟

ضحك "سارى" لكلام الوزير، وقال له:

- أما زلت لا تعرفينى أيها الوزير الفطن! أنا "سارى" ابن الملك الذى اختطف من ما يقرب من خمس سنوات، ومعى أختى "سمايدس" تنتظر بخارج الخيمة.

عندما سمع الوزير الحكيم هذا الكلام حتى هب واقفاً، ورحب به أشد الترحيب وأمر بدخول الأميرة "سمايدس"، وما أن دخلت عليه فأسرع نحوها ورحب بها، وجلس الجميع ومعهم التاجر بداخل الخيمة بعد أن أمر لهم الوزير بأطيب الطعام والشراب.

سأل "سارى" الوزير عن حالة والده الملك "برقان" منذ تم خطفهم، فحزن الوزير عندما ذكرت سيرة الملك "برقان" وتنهد وقال بكل ألم وحزن:

- إن الملك "برقان" قد مات، وما مات إلا مسموماً.

ذهل "سارى" وأخته مما قاله الوزير وأخذوا فى البكاء الشديد حزناً على فراق والدهم الراحل، فطيب الوزير خاطرهما، وما أن سكت البكاء عن "سارى" حتى طلب من الوزير أن يحكى له ما حدث منذ واقعة اختفائهم، فتنهد الوزير حزناً وزفر ألماً ثم قال:

- بعدما انتهت رحلة الصيد وعاد الملك إلى القصر وكان يظن أنكم فى آخر الركب، سأل عنكما فلم يحفل بجواب شافٍ، فأخذ يعنف الحراس واتهمهم بالتقصير فى حراستكما، بل وصل به الحال أنه أمر بقتل البعض وسجن البعض جزاءً لتقصيرهم.

ثم أضاف الوزير الحكيم "يوشهور" قائلا:

- وكان من ضمن الذين تم حبسهم ابن عمكم الأمير "سواتن" لاعتقاد الملك أن يكون له يد في مسألة اختفائكم، وقضى الملك الأيام يستخبر عندكم فلم يخبره أحد شيئا عندكما.

ومر عام وراء عام، حتى جاءت إلينا عجوز ماهرة وادعت أنها على معرفة بعلوم الغيب وكان معها أربع بنات جميلات أسرن قلب والدكم وأخبرته أن الجوارى ملكه بعد انقضاء شهر يشرب فيه كأس من شراب التوت مخلوط بريق البنات الحسان كل ليلة جمعة، لأن هذا حكم من رجال الغيب عليهن، وفي الأسبوع الثانى جاءت رسالة من الملك "ساران" تفيد بعثوره على الأميرة "سماريدس" ففرح الملك كثيرا وزاد تصديقه للعجوز فأغدى عليها الأموال والجواهر ومع آخر كأس أعدته العجوز لوالدك صعدت العجوز إلى الجبال بصحة البنات ومعهن "ميرة" والدتكما بحجة حصولها على البركة في وجودها في الخلوة مع العجوز.

نظر "سارى" لأخته وهو غير مصدق ما حدث، وطلب من الوزير أن يكمل

فقال:

- فلما انتهت أيام الخلوة بعد أن شرب الملك "برقان" الكأس الأخيرة أنتظرنا أن يخرج كالعادة فلم يخرج، حتى مر يوم والثانى فقلقنا عليه وفتحنا باب غرفته عنوة، فوجدناه قد فارق الحياة ووجدنا ورقة ملصوقة بغطاء الكأس مكتوب عليها كلام فهمنا منه.

أن العجوز ما هي إلا الداهية الماكرة "دنهش" التي يطلق عليها  
"نائلة أم الشعور المائلة".

قال "سارى" للوزير، على مسمع من أخته "ساريدس":

- وأين تلك الورقة؟ وماذا كتب فيها؟

أخرج الوزير الحكيم الورقة من جيبه وأعطاه لـ "سارى" الذى بدأ يقرأها  
بصوت مسموع حتى تعرف أخته فحوى الرسالة:

- من الملكة "دنهش" إلى بنى جلدتكم وكل جنسكم:

لقد قتلنا الملك، وهذا جزء كل من يتجرأ على بنى جنسنا، لقد أسقينا كأس  
الردى وعدنا إلى أرضنا ومعنا "ميرة" بنت الملك "مُرة الأحمر" التي أنجب منها  
الملك عنوة، ثم قتل العزيزة "سيلين" بعدما وثقت بابنه "ساران" وتركت  
عشيرتها وبنى جنسها وأتت إليكم، فختتم العهد، لذلك لن يهدأ لنا جفن ولن  
يرتاح لنا طرف حتى ننتقم منكم جميعا ونقتل "ساريدس" ونشرب من دمائها  
الساخنة حتى نعود أقوى مما كنا، بعدما أضعفنا الملك بفعلته، وبالفعل بدأنا في  
ذلك وهى الآن في قبضتنا بعدما علمنا بأنها الآن فى الطريق إلى والدها.

الملكة المقدسة "دنهش"

تعجب "سارى" من محتوى الرسالة، ولم يفهم ما علاقة "ساريدس" بما  
حدث من والده الملك الراحل أو من أخية الملك "ساران"، فسأل الوزير عن  
ذلك، فأخبره الوزير بأنه لا يعرف سبب رغبتهم فى قتل الأميرة "ساريدس"؛  
لكنه حذره من التهوان ولا بد أن نشدد الحراسة على الأميرة لأن حياتها فى خطر  
كما تقوم الرسالة.

قالت "ساريدس" التي كانت تتابع الحوار بين أخيها والوزير:  
 - إذن من قاموا بخطفى و إلقاءى فى البحر وقتل رجال أخى  
 "ساران" هم أتباع هذه الماكرة، وكانوا يريدونى أخذى معهم لكن مقاومتى  
 وخوفهم من المراكب السائرة فى البحر شوش تفكيرهم فأسرعوا بإلقاءى فى البحر  
 حتى يتخلصوا منى.

قال الوزير الحكيم وهو يبرج لحيته الكبيرة، كأنه تذكر أمرًا ما:  
 - بعد موت الملك "برقان" اختلف الناس فىمن يتولى أمور الملك و شئون  
 المملكة، حتى وقع القتل بين الناس لكن منعهم الأكابر و الأشراف ، واستغل  
 ابن عمكم المحبوس "سواتن" موت الملك فأغرى بعض حراس السجن  
 بمناصب كبيرة إن تركوه يخرج وبالفعل خرج وفرح جدًا فى موت الملك، وطلب  
 مننا أن ننصبه ملك علينا لكن كان الرأى أن نسير ونقصد "زغدانة" ونجىء  
 بالملك "ساران" وننصبه ملكًا علينا خلفًا لأبيه الراحل "برقان".

قال "سارى" موجهًا كلامه للوزير:

- وماذا صنعت مع "سواتن"؟

قال الوزير الحكيم:

- لقد هرب خارج المملكة عندما علم بما ننوى بفعله وتنصيب  
 الأمير "ساران" ملكًا خلفًا لوالده الراحل.

تذكر "سارى" كل ما جرى له ولأخته و والده فبكى و أبكى أخته، فقال له

الوزير:

- إن البكاء لن يجدي ولن يفيد، ولا بد أن تقوى قلبك وتشحذ عزيمتك وتستعد لقتال الأعداء وأخذ ثأر والدك.

قال "سارى" وهو يمسح الدموع التى تتساقط من عينيه:

- وبم تشر علينا فعله أيها الوزير الحكيم؟

قال الوزير:

- يا ولدى، أخوكم "ساران" ملك "زغدانة" وتكون أنت ملك "أقناموس" خلفاً لوالدك وترسل لأخيك تعلمه بكل ما جرى وتطلب منه المساعدة فى حرب هؤلاء الأندال.

ثم نادى الوزير على الحاجب وطلب منه إحضار خلعة الملك حتى يرتديها "سارى" ليعلم الجميع أنه أصبح ملك مملكة "أقناموس" ثم أمر بتجهيز خيمة خاصة بالملك الجديد ويكون بها ألد وأطيب الطعام، وأن يصطف طابور الجيش لتحيته.

وبعد ثلاثة أيام وصل "سارى" مملكة "أقناموس" ودخل قصر أبيه الملك الراحل وجلس على كرسى العرش ودخل الأكابر والأمراء والأشراف لتحيته.

لكنه لم ير التاجر الأمين بينهم، فسأله عنه فقال له الحاجب:

- مولاي الملك، إن التاجر يستعد لمغادرة "أقناموس".

فانزعج الملك "سارى" مما سمعه، وأمر الحاجب بسرعة إحضار التاجر للمثول بين يديه، وعندما حضر استقبله "سارى" أحسن استقبال وسأله عن صحة ما سمعه فقال:

- أيها الملك، لقد تمت مهمتى بأن عُدت سالمًا إلى المملكة وأنا سعيد حقًا أن من استبشرت به خيرًا وتوقعت أصله الطيب عندما استضيفته في بيت ما هو إلا ملك ابن ملك، فلا بد الآن من العودة إلى بلادى.
- تأثر الملك "سارى" من كلام التاجر الأمين، وقال له:
- وهل من الشهامة أن تتركينى وأنا أحتاج إليك الآن أكثر من ذى قبل.
- تعجب التاجر من كلام الملك "سارى" وقال له:
- ما الذى يحتاجه ملك عظيم مثلك من مجرد تاجر مثلى!
- اقترب منه "سارى" وقال:
- إن الملك يحتاج لمن يكون بجوار يحسن إليه النصيحة دائمًا أن وجده يجيد عن طريق الخير والعدل.
- ثم التفت للوزير وقال له:
- أيها الوزير الحكيم، من الآن فإن هذا التاجر الأمين هو قاضى قضاة المملكة ويسمح له بالدخول على فى أى وقت يريده.
- فرح التاجر بما قرره الملك، فقد كان فى قرارة نفسه يود أن يبقى بجواره دائما ، ثم أمر الملك "سارى" الحاجب بكتابة رسالة لأخيه الملك "ساران" يحكى له فيها كل ما حدث، ويطلب منه العون والمدد حتى يتوجه لقتال الأعداء لأخذ الثأر، ثم ختم الرسالة وطواها وقال للوزير:
- لا يصح لهذه المهمة غيرك أيها الحكيم ، فعسى أن يكون فى نفسى أخى حاجة ليكون ملك "أقناموس" ، فأبلغه أنه ليس لدى مانع أن يأتى هو هنا وأكون أنا نائبه هناك فى "زغدانة".

فوافق الوزير على طلب الملك "سارى" واستحسن رأيه، وقام ليجهز نفسه للسفر وعرض الأمر على الملك "ساران" حتى يجمع الجنود من كل حدب وصوب ويكون عونًا لأخيه في تلك الحروب الضروس.

\*\*\*\*\*

توقفت الفرس أخيرًا عن الركض، ضبحت وتلاحقت أنفاسها، ونال التعب منها كما نال من صاحبها، نزل من فوقها وقد انتابته نوبة من السعال جعلته يمشو على ركبتيه، ثم استلقى على العشب البارد، يلتقط أنفاسه المتلاحقة، وهو يحدق بالسماء.

ها هو يستغل خروج الوزير "يوشهور" ومن معه قاصدين "زغدانة" لإحضار الملك "ساران" و تنصيبه ملكًا خلفًا لوالده الراحل، وخرج من "أقناموس" على حين غرة من أهلها، خائفًا من أن يتهمه "ساران" بالاشتراك في قتل والده.

وكانت الشمس قد طفلت للإياب فلم ير لها ظلا غير ظله الذى رسمته الشمس فأخطأت فى تصويره ، كأنها حسبته آدم أبا البشر فأوسعت فى رسمه طولاً و عرضاً .

وبدأ يمشى خوفاً وفزعاً لا يعرف له مذهباً، وكيف يعرف وإذا به بين أشجار تشابهت مسالكها، وتشاكلت مذاهبها، حتى انحدرت الشمس إلى مستقرها ومستودعها، وطار طائر الليل من مرقده، ونشر الظلام ستائره السوداء فوق الأفق، حتى وجد نفسه فى حيرة دمعة نزلت على وجنتى أسير.

تعب من الفرار، فطالبه جسمه بالراحة، فاستكان تحت شجرة حتى يبزغ ضوء الفجر، فيجد السبيل للخروج من تلك الغابة الموحشة.

وقرب الفجر سمع صوت حفيف الشجر كأن هناك من يتبع خطواته فهب من نومه مفزوعاً ، يتلفت يميناً ويساراً فلم يجد شىء ، فظن أنها تحييلات الخوف وأوهام الهروب.

لكن الصوت عاد أقوى من المرة الأولى، فدفعه الفضول لمعرفة مصدر الصوت فكمن خلف شجرة قرب الصوت، فرأى شخصًا يخرج من باطن الأرض من خلال باب رفعه بيده ثم أعاده مكان وأخفاه بورق الشجر وانصرف لحاله.

فتعجب مما رآه وصمم لكشف هذا السر، فربما هذه مغارة بها الكثير من الأموال والجواهر التي تساعد في تجنيد الرجال الأشداء لكي يتمكن من هزيمة الملك "ساران" والانتفاض على المملكة فيصبح هو الملك.

تقدم نحو المغارة المزعومة و أزاح التراب و ورق الشجر من فوق الباب السحري فوجد سلالم من خشب نزلها بحذر، فوجد بابًا مفتوحًا فولج به فإذا به يرى مجموعة من الجواهر ففرح بأن ظنه قد تحقق لكنه سمع صوت أنين خافت يأتي من خلف صناديق الجواهر، فسار بحذر ثم اختلس نظرة فوجد فتاة جميلة مقيدة في الأغلال تئن من الألم، فأصدر صوتًا فانتبهت له، فقال لها:

- ماذا تفعلين هنا؟ ومن الذى قيدك هكذا فى السلاسل والأغلال؟

نظرت إليه وكلها خوف، لكنها تحدثت وقالت:

- هل أنت معهم؟ أم أرسلك القدر لى تنقذنى مما أنا فيه؟

فقال بعدما جلس بالقرب منها وأخذ فى فك السلاسل والأغلال:

- لا تخافى، لست مع أحد، أنا كما تقولين أرسلنى القدر لإنقاذك لكن هل

لى أن أسمع حكايتك؟

فقال الفتاة وهى تدلك ذارعها من أثر الأغالل:

- أنا زوجة أحد الملوك قتله هؤلاء وأسرونى وأخذوا كل ما نملك  
وحبسونى هنا مع ما سلبوه من الأموال والجواهر، وإن أنقذت حياتى كان لك ما  
تريد.

قال وفرحة الانتصار ترقص فى مقلتيه:

- هل تعرفين طريق العودة إلى ديارك؟

قالت وهى ما زالت تتوجع:

- نعم، لقد ترك هؤلاء اللصوص بعض الجياد على مقربة من هذه المغارة،  
اذهب وأتى بجوادين نحمل ما نقدر عليه من الأموال والجواهر ونعود إلى ديارى  
وهناك أعطيك ما تطلبه وأكثر ولكن أسرع قبل عودتهم.

فقام على الفور وتوجه لتقاء المكان الذى دلته عليه وعاد ومعه جوادين فحمل  
عليهم الكثير من الأموال والجواهر وأسندها حتى خرج من الباب الضيق  
للمغارة وصعدا على السطح وركبا الجوادين و سار حيث أوضحت له الطريق.  
واصلا المسير لمدة يومين، حتى وصلا على مشارف قلعة شاهقة، فنظرت إليه  
الفتاة وأشارت له بأن هذه القلعة تتبع مملكتهم وما أن وصلا إلى الباب نادى  
الفتاة الحارس ففتح الباب ورحب بها، فتحدثت معه بكلام لم يستطع أن يفسر منه  
شيئا.

انبه بالرسومات الغربية التى تزين جدران القلعة والجواهر المرصوفة على  
الجناين، جاء حارس آخر فأمرته الفتاة بمسك عنان الجوادين وترجلت وأشارت  
له ففعل مثلها، ومدت له يدها فأمسك بها، وتوجه إلى داخل القصر الموجود

بالقلعة، وفي قاعة الاستقبال كانت هي هناك تجلس على كرسي كبير، وما أن دخل عليها ابتسمت وقالت له:

- أهلا بالملك العظيم والفرس الهام "سواتن".

فاندهش عندما نطقت باسمه في حين أنه لا يعرف من هي، وأراد أن يستفسر عن أشياء كثيرة، ففطنت لمقصده، وأشارت له بيدها، ثم قالت:

- ليس قبل أن نكرم ضيفنا، وبعد ذلك نجلس ونتحدث عن كل ما يجول بخاطرنا من أسئلة.

ثم أشارت بيدها فدخلت جارية جميلة، فأمرتها أن تأخذه إلى غرفة ليرتاح فيها من مشقة السفر.

كان في ذهول مما يحدث لكنه استسلم للأمر الواقع وسار خلف الجارية التي صحبته عبر رواق القصر وهو ما زال يتقحص الرسومات التي تزين الجدران، أفاق من ذهوله عندما قالت له الجارية وهي تفتح باب غرفة:

- تفضل هذه غرفتك، حالا يأتى لك الطعام والشراب.

دخل الغرفة وظل يتفحصها، فوجدها غرفة واسعة في منتصفها سرير كبير، تزينه ستارة وردية الشكل ومقابله علق امرأة كبيرة على الحطاب، وبعض الفوانيس على جدران الغرفة.

جلس على طرف السرير و بدأ في التخفف في ملابسه ، و أخذ عقله في التفكير، حتى سمع طرقاً على الباب، ثم دخلت منه نفس الفتاة التي أنقذها، وما أنا رآها هب واقفًا وأراد أن يتحدث، فقالت له:

- عليك أولاً أن تغتسل وتغير ثيابك حتى نتناول الطعام سوياً.



وأشارت له على مكان الحمام وخرجت وهى تنظر له فى دلال وتبتسم وهو ما زال فى ذهوله مما يحدث.

دخل الحمام واغتسل جيدا، وارتدى الملابس التى تركتها له وعاد أدراجه وجلس على طرف السرير، فطالعه صورته فى المرآة الكبيرة، فضرب على ركبته وهو يضحك كالمجنون، كأنه ينتظر المجهول.

\*\*\*\*\*

عكست صفحة البحيرة وجه شمس الظهيرة الحارقة، واختلطت زفرات العصافير بهديل حمامات تتنقل بين أغصان أشجار الغابة، مع خرير شلال صغير يمنح البحيرة مكانًا للحياة، كان وقتها يستعد الوزير "يوشهور" لدخول مشارف مدينة "زغدانة" فهو مبعوث الملك "سارى" إلى أخيه الملك "ساران" ليخبره بما حدث لوالده الملك الراحل "برقان" ويطلب منه الاستعداد لمحاربة هؤلاء الأعداء الذين قتلوا والده غدراً.

عادت فرقة الاستطلاع التي كانت سبقت الوزير لتعلم الملك "ساران" بقدموه، ليخبروه بأن الملك يتظرهم في القصر بعدما يركنوا إلى الراحة بعض الوقت لينفضوا عنهم أثر السير وتعب المسير.

وصل الوزير إلى قصر الضيافة الفخم الذى يقبع على مقربة من ساحل "زغدانة" الجميل، فاغتسل وبدل ثيابه وتناول شيئاً من الطعام، وجhez نفسه للمثول بين أيدي الملك في المساء.

عندما حل المساء وألقى الليل ستائره السوداء على الكون، كان الوزير يقف بباب الملك، فأذن له بمجرد وصوله، ولما دخل وجد الملك جالسا على كرسى مرصع بالدر والجواهر الثمينة كل دره فيه تعكس الضوء كأنها نجمة في سماء صافية، ويقف حواله بعض المماليك وبالقرب من كرسى العرش تجلس الجوارى وتقدم الشراب للملك.

هب الملك "ساران" واقفاً ونزل من على كرسى العرش وأسرع يحتضن الوزير فكان بالنسبة له في منزله الأب لطول عهده بخدمة الملوك.

أمر الملك بصرف الجوارى وقرب الوزير من مجلسه وسأله عن سببه مجيئه، فأخبره الوزير بما وقع في مصيبة مقتل الملك "برقان" مسموماً وحكى له عن عودة أخيه الأصغ "سارى" وأنه أصبح ملك للمملكة بعدما طمع فيها "سواتن" بعدما استغل موت الملك وهرب من السجن.

ثم تطرق الحديث بينها إلى قتل والده فأخبره الوزير بالرسالة التي تركت مكتوبة بجوارجثة الملك القتيل، ولم يفهم أحد علاقة "ساريدس" هؤلاء القوم ولماذا ورد ذكرها في الرسالة دون غيرها؟ ولما يصمم هؤلاء القوم على قتلها. فوقف "ساران" وأخذ يسير في القاعة كأنه يتذكر شيئاً ما ثم التقت إلى الوزير الحكيم وقال:

- يوم أخذتني الصدفة إلى القلعة وتقابلت مع "سيلين" لأول مرة أخبرتني بأن وجود أختي "ساريدس" على قيد الحياة قد سلبهم قوتهم لأنها جاءت نتيجة زواج أبى من بنى جلدتهم وعشيرتهم.

تعجب الوزير الحكيم من كلام "ساران" وقال مستفسراً:

- أخوكم "سارى" ينطبق عليه نفس الكلام، لكن لماذا "ساريدس"!  
قال له "ساران":

- يومها لم أكن أعلم بوجود أخ لى من أبى، كل ما كنت أعرفه أنه لم ينجب من "ميرة" إلا بنتاً.

ثم أردف "ساران":

- يومها قالت "سيلين" أن البنت هي أرض النطفة والحاملة لها، وإن تزوجت "سأريديس" من بنى آدم، سيفقد بنى جلدتهم القدرة على التكاثر بعدما سلبهم مولدها قوتهم وحتى أصبحوا لا يتميزون عنا.

قال الوزير الحكيم:

- وهل بقتلها ستعود لهم كل قوتهم ومميزاتهم؟

أجاب "ساران" وهو يفكر يوم أقدم على الزواج منها:

- أظن يومها أن "سيلين" قالت أن أمامهم اختيارين لا ثالث لهما، أن يتزوجها أحد من عشيرتهم أو تُقتل ويُشرب من دمائها وهي مازالت ساخنة، لكن لو تزوجت من بنى جنسنا أو إن لم يقدرُوا على الشرب من دمائها في لحظة موتها، فسيضيع كل ما يخططوا له.

استعظم الوزير الأمر فقال للملك "ساران":

- أظن أن الأميرة "سأريديس" في خطر كبير، جنسنا كله في خطر.

قال "ساران":

- الأخطر من ذلك أن "سأريديس" هي أصغر أنثى الآن بل الوحيدة التي تحمل الدم الملكي، وليس هناك رجال تحمل الدم الملكي إلا أنا وأخى "سأري"، هي مشكلة ليس لها حل.

أراد الوزير أن يذكره بشيء، فقال له:

- أيها الملك، هل نسيت الأمير "سواتن"، مهما وقع منه لكنه سيظل يحمل نفس الدم الملكي.

- ضحك الملك "ساران" من كلام الوزير الحكيم، وقال له:
- أتريد أيها الأب البار أن نزوج الأميرة "سماييدس" لهذا التافه المسمى "سواتن" ويتحمل مسئولية انقاذ عشيرتنا من الفناء.
- يعلم الوزير أن كلام "ساران" صحيح "سواتن" لا يعرف المسئولية ولا يقدرها، كل همه عشق النساء و شرب الخمر، ولم يكن يوماً جديراً بأن يكون راعى للمملكة وأمين عليها، لذلك لم يتعجب الوزير من كلام الملك "ساران".
- ضحك الوزير بصوت سار تردد صداه في أرجاء القاعة، فاندحش الملك "ساران" مما أصاب الوزير الحكيم، وقال له بدهشة:
- ما الذى يضحك الوزير الحكيم والأب العزيز.
- فقال الوزير وهو لا يكاد يتمالك نفسه من الضحك:
- كان والدكم الراحل "برقان" يريد الدخول بالأميرة "سيلين" قبل هروبها، لو كان حدث و أنجب منها بنتاً لكان الآن بنى جلدتها في قمة جنونهم.
- كلام الوزير جعل الملك يتذكر "سيلين" وكم كانت طيبة وأكرمه ضيفاً واحتمت به من قومها لكنه أخذها عندما تركها فريسة لوالده وهو قد فطن من اللحظة الأولى أن عشقها وقع في قلب والده، وبدلاً من أن يحميها، اكتفى بمجرد تحذريها، لقد عرف الآن أن والده كان السبب في هروبها ومقتلها، وأكد هي فطنت لما قد يحدث فلم تشأ أن تكون مثل "ميرة" وآثرت السلامة... يا لها حقاً من أميرة طيبة!

أخرجه من أفكاره نداء الوزير عليه قائلاً:

- والآن أيها الملك المعظم، أخوكم الملك "سارى" يعرض عليكم مملكة "أقناموس" ويكون هو نائبكم هنا على "زغدانة" إن كان لكم غرضاً في ذلك، لكن قبل كل شيء لابد من تجهيز الجيش لصد هؤلاء الخونة.

قال الملك "ساران" وقد ظهر عليه الحزن عندما تذكر "سيلين":

- ليبقى الوضع كما هو حتى ننتهى من الحرب.

ثم طلب الملك "ساران" من الوزير بأن يسبقه إلى مملكة "أقناموس" على أن يلحق به في مدة لن تتجاوز الشهر يكون أعد فيها العدة وجهاز الجيش لينضم إلى جيش أخيه "سارى" ليزحف الجيشان على "بنى دهمان".

امثل الوزير لأمر الملك "ساران" وغدا في طريقه إلى مملكة "أقناموس" بعد أن انتهت أيام ضيافته في "زغدانة".

بعدما عاد الوزير إلى "أقناموس" دخل على الملك "سارى" الذى رحب به وسأله عن أحوال أخيه، فأطلعه الوزير على كل ما دار بينهم، وفسرله الغموض الموجود في الرسالة التى تركتها "دنهش" بعد مقتل الملك "برقان" وأن الملك "ساران" فى أقل من شهر سيكون هنا بكامل جيشه.

سمع الملك "سارى" كلام أخيه "ساران" الذى نقله الوزير، فازدادت حيرته وخوفه وقلقه على أخته "سماريدس" وقال للوزير:

- كم لاقى "سماريدس" من أخطار وصعاب، والآن يستجد هذا الأمر الذى لم يكن فى الحسبان.

- ربت الوزير الحكيم على كتفه وقال:
- اطمئن أيها الملك، سيتم تشديد الحراسة على الأميرة فلا تخش شيئا.
  - تعجب الملك "سارى" من كلام الوزير ونظر له وقال:
  - وهل كان أبى من غير حراسة؟
  - طأطأ الوزير رأسه إلى الأرض، كأنه شعر بلوم الملك "سارى" له في التقصير في حماية الملك الراحل وقال:
  - عذراً يا جلالة الملك، لم نكن نظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد كما أن الملك افتتن بهذه العجوز الماكرة وكان يصدقها كل التصديق ويكرمها واستحالة أن يتسرب الشك إلى أحد منا أنها تخطط لقتل الملك.
  - أشار الملك "سارى" للوزير حتى يكف عن الكلام وقال له:
  - ماحدث قد حدث، ولكن علينا الآن جميعاً حماية الأميرة والدفاع عنها بأرواحنا.
  - انحنى الوزير وقال:
  - كل ما تأمر به أيها الملك سينفذ، وسأشرف عليه بنفسى
  - فكر الملك هنيهة وقال:
  - تشدد الحراسة على الأميرة في أى مكان تذهب إليه، يقف على بابها غرفتها حراس غلاظ أشداء، لا يدخل لها طعام أو شراب إلا بعد التأكد من سلامته.

ثم تجول الملك في القاعة ، والتفت للوزير وأضاف وهو يشير بيده:  
 - ولا يدخل أى أحد غرفتها إلا بعد التأكد من شخصيته، و يرافقه  
 حارس أو من الأفضل أن تكون مقابلاتها هنا تحت أعيننا  
 وستحاسب أنت شخصياً أيها الوزير عن أى تقصير.  
 أراد الوزير الانصراف، فقال:  
 - اطمئن أيها الملك.

وانحنى للملك وهم بالانصراف لكنه عاد وقال للملك:  
 - هذا بالنسبة لترتيبات حماية الأميرة "ساريديس" لكن ماذا عن الأمير  
 الهارب "سواتن"؟

تعجب الملك "سارى" من كلام الوزير، وقال:  
 - أبى اتهم "سواتن" بالضلوع فى اختطافنا، وهو هرب خوفاً أن ننتهمه  
 بالإشتراك فى قتل أبى، إذن لن نفعل له شىء إلا إذا عاد وبدرمنه ما يعكر صفو  
 المملكة.

قال الوزير: حسناً سيدى الملك، هل هناك من أوامر أخرى؟  
 قال الملك "سارى":

- يُنادى فى الجيش بالنفير والاستعداد للحرب، وكل قائد مجموعة مسئول  
 عن تدريب مجموعته، حتى يكون الجيش على أهبة الاستعداد ريثما يصل جيش  
 الملك "ساران" فتتحرك إلى محاصرة هؤلاء الأعداء، ويتم تجهيز استقبال يليق  
 بالملك "ساران" وسأخرج بنفسى لاستقباله والترحيب به.

\*\*\*\*\*

أرسل الملك "ميمون أبا نوخ" رسالة للملك "مُرة الأحمر" يدعو له لعقد إجتماع هام بينهما وأنه في انتظاره ويرحب به، وما إن وصلت الرسالة حتى سار في مجموعة من حراسه وعندما وصل اجتمع على الفور بملك بنى دهمان الذى استقبله بالترحاب وأخبره بأن جيش مملكة "أقناموس" يستعد لقتالهم ولا بد من اتحادهم في مواجهة هذا الخطر.

وأخبره بأن والدته الملكة "دنهش" نفذت الحيلة وقتلت الملك "برقان" وعادت بابنته "ميرة" وأخذت بثأر الراحلة الأميرة "سيلين".

فرح الملك "مُرة الأحمر" بقدوم ابنته "ميرة" وقتل ملك "أقناموس" ووافق على الاقتراح بأن تكون المملكتان يدًا واحدة ضد جيوش "أقناموس".

وأثناء الاجتماع دخلت عليهم الداهية العجوز "دنهش" فرحب بها الملك "مُرة الأحمر" وشكرها على انقاذ ابنته، فتحدثت قائلة:

- سأشير عليكم برأى يجعلنا نهزم ملك "أقناموس"، ونردهم عن ديارنا.

قال الملك "ميمون أبا نوخ":

- ما الذى تفكرين فيه أيتها الملكة المقدسة؟

جلست "دنهش" على كرسيها المقدس وقالت موجهة كلامها لها:

- نجهز فيلقين من الجنود فى السفن داخل البحر بالقرب من الساحل

خلف الجبل، على أهبة الاستعداد، وعندما نواجه جيش "أقناموس" بياقى

جيشنا وتدور المعركة، تخرج جنودنا من البحر ويكونون خلفهم فنحصرهم بين

البر والبحر وتكون لنا الغلبة والنصر ولا ينج من جيشهم أحد.

استحسن الحضور اقتراح العجوز الداهية "دنهش"، فقال الملك "مُرّة الأحر":

- نعم الرأى، ما نطقت به جلالة الملكة "دنهش".  
 ابتسمت الداهية العجوز لإطراء ملك بنى الأحر، وطلبت منه العودة لمملكته حتى يجمع الرجال ويستعد للمعركة، لكنه استغرب أنها لم تذكر سيرة ابنته "ميرة"، ففاتحها فى الموضوع وسألها عن "ميرة" فقالت بدهاء:  
 - الملكة "ميرة" تعيش معنا معززة مكرمة ونعاملها بكل تقدير واحترام فلا نتحف عليها، وامض إلى تجهيز جيش وسنعد لها حفل كبير بعد النصر على مملكة "أفناموس".

لم يظمن الملك "مُرّة الأحر" لكلام العجوز الماكرة فهو قد خبر خبثها ومكرها، لكن لا يملك إلا أن ينفذ كلامها فالخطب أكبر من المنافسة الآن، ثم استأذن وخرج عائداً إلى بلاده.

ما إن غادر الملك "مُرّة الأحر" القاعة، حتى قال الملك "ميمون أبانوخ" مخاطباً أمه الداهية "دنهش":

- لماذا لم تسمحي بعودة "ميرة" مع الملك "مُرّة"؟  
 فقالت له:

- ستعرف فيم بعد أن قرارى بعدم عودتها الآن كان قراراً صائباً.  
 ضحك "أبانوخ" وهو ينظر لها، وقال:  
 - أتمنى أن أعرف ما يدور برأسك.

فاقتربت منه وقالت وهى تضع يدها على كتفه:

- يا عزيزى ، مهيا حاولت فلن تعرف ما أفكر فيه وأخطط له ، اذهب الآن وأعد ما طلبته منك، فالأيام القادمة ستكون صعبة علينا، فقد وصلنى من عيوننا أن جيش "أقناموس" يستعد بقوة للهجوم على مملكتنا.

قبل أن يخرج تذكر شيئاً، فقال لها مستفسراً:

- وما أخبار ضيفنا العزيز؟

أصابها سؤاله بنوبة ضحك هستيرية، وقالت وهى لا تتمالك نفسها من الضحك:

- لا تقلق يا عزيزى، فهو كما قلت ضيفنا وعلينا إكرامه، وهذا ما تقوم به الآن العزيزة "شاروسة" فهى تلميذتى وتربية يدى فلا خوف عليها، فهى تعرف كيف تتعامل مع الضيوف وستصل لكل ما نطمح إليه وأكثر وقريباً سينفذ الضيف كل ما نطلبه منه.

اقتنع الملك "ميمون" بكلامها، فهى أمه ويثق فيها ثقة عمياء، فتركها وخرج ليعد الجيش للقتال.

\*\*\*\*\*

أعلنت السماء عن ميلاد الهلال فوق رؤوس الأشجار، صاحبتة نجوم السماء تحتفل به، فأنس بوجودها معه، أما هو فكان وحيداً غريباً في بلاد بعيدة بينه وبين بلاده وديان لم تطأها قدمه قبل الآن.

ثلاثة أيام على وجوده في هذا المكان الغريب، كل طلباته مجابة، تأتيه أجود أنواع الطعام وألذ المشروبات لكنه لا يعرف سبباً لوجوده هنا، ولم يطلع أحدًا على ما الذى يريدونه منه، فلم يتحدث معه أى شخص إلى الآن منذ قدم على هذا المكان.

حتى هى التى جاء من أجلها، كانت تدخل كل يوم عليه تفتنه برقتها وجمالها ودلالها لكن لم يتلق منها إجابة شافية عن أى سؤال يدور بخلد وقلما سألها عن شىء تطلب منه عدم الاستعجال فكل شىء فى حينه.

إلى أن دخلت عليه فى يوم، فصمم على معرفة نتيجة ما هو فيه، فجاءت تتهدى فى خيلاء ودلال، تمسك بيدها ذيل فستانها الطويل، والابتسامة تعلق ثغرها المحلى بشهد الكريز وخدها المتشرب بحمرة الرمان وعيونها تلك البحيرة الصافية التى تقتل ولا تحيى، وشعرها المنطلق على ظهرها فى كبرياء، فبدت كأنها حورية أتت من عالم آخر غزلت أشعة الشمس خيوطاً من الضوء خلفها، ورسمت بدلال ظلها الوافر.

فى الأيام الماضية كان يحاول بكل السبل الحفاظ على المسافات بينهما على الرغم من الحرارة التى تلفح قلبه كلما دخلت عليه غرفته، لم يكن الشيطان ثالثهما، فدلالها وقلبه يدفعانه دفعاً على الاقتراب منها، فلم يكن يعلم أشيطانه أم شيطانها يراوده عنها.

كانت زهرة تفوح بعطرها الفريد وهو فراشة تريد الاقتراب وتخاف العاقبة، جمال هادىء يزيد دقائق قلبه وجرأة تسلب عقله وتسلمه للجنون.

ضاع من عقله كل ما جهزة من أسئلة عندما دخلت، فوقف مذهولا من جمالها، فلاحظت ارتبائه فقالت له:

- كيف حال ضيفنا العزيز؟

فاستجمع نفسه وقال بتعلم:

- حال الضيف لا يسر، فهو لا يعلم أين هو، ولا إلى متى سيظل هنا؟

ضحكت بدلال وهي تجوب الغرفة وتهز فستانها بيدها:

- هل من الممكن أن توجّل تلك الأسئلة لما بعد تناول الطعام

قال بعصبية:

- منذ نزلت هذا المكان وليس لى عمل إلا الأكل والشرب، أريد معرفة

نهاية ما أنا فيه.

- هل ضجرت من ضياقتنا لك!

اقترب منها وهو ينظر لها برغبة عارمة:

- فقط أريد أن أعرف مصيرى.

شعرت بأن الطائر المحبوس سأم القفص ويريد الحرية، فأرادت أن تمسك

بالشعرة الفاصلة بين السأم والأمل وقالت:

- بعد قليل سنكون فى حضرة الملكة المقدسة، وستعرف كل شىء وستجد

إجابة لكل ما يدور فى ذهنك من أسئلة.

فأسرع قائلاً:

- ومن هي الملكة المقدسة؟ بل على الأقل من أنت؟  
ابتسمت وقالت وهي تقترب منه في دلال:
- أنا "شاروسة" والملكة المقدسة هي جدتي، وأنت الآن في مملكتنا مملكة بنى دهمان ، ستنال مكافأة انقاذك لى وستكون أكبر مما تتوقع.  
فهدأ روعه بعض الشيء، وقال:
- ولماذا كل هذا الانتظار، ألم يكن من الأفضل أن أعرف كل شيء بمجرد وصولنا هنا وعودتك سالمة إلى ديارك.  
نظرته له ولمست خده بيدها الناعمة فسرت في جسده حرارة الاشتياق،  
فقالت:
- من عادتنا إكرام الضيف ثلاثة أيام قبل أى كلام آخر، فما بالك وأنت أمير من بيت مُلك.  
ناولته كأس من الشراب، وتناولت كأس آخر ولمسته بشهد شفتها فقال لها:
- من أين لكم بمعرفة من أكون! في مملكتنا هناك الكثير يجهلون كونى ابن أخو الملك "برقان".
- هذا عندهم، لكننا نعرف عنكم أكثر مما تعرفوه أنتم عن أنفسكم وسيكون لك معنا شأن كبير، المهم أن توافق على ما تطلبه من الملكة.

\*\*\*\*\*

وقبل مرور الشهر، جاء البشير بقرب وصول الملك "ساران" على رأس جيشه على مشارف مملكة "أقناموس" فأسرع الوزير الحكيم بإخبار الملك "سارى" الذى بدوره أمر بتنظيم استقبال يليق بأخيه الملك يكون هو فى مقدمة مستقبله.

خرج الملك "سارى" ومعه الوزير الحكيم وكبار دولته على بعد مسيرة يوم، ثم نصبت الخيام هنالك لانتظار أخيه، وعند الصباح أقبل الملك "ساران" وخلفه جيش جرار من خيار المقاتلين ما أن لمح "سارى" حتى ترجل عن فرسه ففعل "ساران" ومشى نحوه فلما على مقربة منه، لم يكن من "سارى" إلا أن رمى نفسه على أخيه فضمه "ساران" إلى صدره وأخذ يربت على ظهره بحنان الأخ الأكبر.

ثم تقدم الاثنان معا نحو الخيمة، وجلسا ومعهم الوزير الحكيم وتطرق الحديث لحادثة ملك الملك ومضمون رسالة العجوز الداهية وترتيبات حماية الأميرة "سماريدس" هذا بالاضافة لهروب "سواتن".

انتهى الاجتماع على أنهم سيمكثون بالمملكة يومين وبعدهما سيتوجه الجيش لغزو مملكة "بنى دهمان" و"بنى الأحمر".

عند وصولهم القصر الملكى فى "أقناموس" دخل "سارى" بصحبه أخيه وكانت فى استقبالهما أختهم الصغيرة "سماريدس" التى رحبت بأخيه "ساران" فبادها الترحيب وربت على كتفها وطمأنها أنها فى أمان.



فقال "سارى" وهو يشيرها:

- ستظل "ساريدس" فى أمان هنا حتى نعود من الحرب، وقد كلفت مجموعة حراس أشداء بهذا الأمر.

نظرت له "ساريدس" باستغراب ومازال "ساران" ينصت لحوارهما:

- ما هذا الكلام يا "سارى"، لا بد أن أكون معك فى الحرب، هل نسيت أن أبى الراحل علمنى الفروسية والضرب بالسيف والسهم كما علمك تمام، بل أحيانا كنت أتفوق عليك.

ضحك "ساران" على كلامها الطفولى الذى تظهر فيه رائحة الغيرة وقال:

- صغيرتى العزيزة، أخوك لم يقصد بل هو يخاف عليك ليس إلا.

فنظرت إلى "سارى" وقالت بدلال وقد أمسكت بذراع أخيها "ساران":

- يخاف عليا من ماذا، أنا سأدخل عامى العشرين قريبا، إنما هو يخاف أن

أتفوق عليه كالسابق.

ضحك الجميع على كلامها إلى أن قال الملك "ساران" لهما:

- بعد كل الأخبار والمعلومات التى وصلتنى قررت اصطحاب

"ساريدس" ليس لتحارب، بل سأكون مطمئن عليها أكثر وهى بالقرب منا.

لم يستطع "سارى" الاعتراض على كلام أخيه، فامثل لأمره وقال:

- حسنا يا أخى، لك ماتريد.

شعر "ساران" بالتوافق والحب مع أخوته ولام نفسه عندما فكر يوما أن

يقتلها، وأيقن الآن بعد موت والده الملك أنها كل ما تبقى له فى هذا العالم، فعليه

من الآن حمايتها والاهتمام بهما، انفرج وجهه بعد العبوس

وقال لأخته:

- والآن على الأميرة الصغيرة أقصد الكبيرة "ساريدس" الاستعداد للمسير في فجر بعد غد.

كلامه أسعدها فقبلته وهي تغيظ في أخيها "سارى" الذى كان يضحك على تصرفها وانصرفت وخلفها الجوارى الملازمة لها كظلها كلما ذهبت إلى أى مكان. قابلها الوزير وهي خارجة من القاعة فبادلها التحية، ودخل على الملك وأخيه وكان قد استدعى للمناقشة في خطة الهجوم الكاسح المراد القيام به، رحب به الملك وقاموا جميعا لمنضدة عليها خريطة مجسمة للمكان المتوقع للمعركة أعدت بأوامر من الملك "ساران" باعتبار خبرته الحربية تفوق خبرة "سارى"، وقف الملك وهو يشير إلى بعض المناطق على الخريطة ويقول:

- سنقسم الجيش لمجموعات، يقود الميمنة الملك "سارى" وسيتولى الوزير الحكيم أمور الميسرة، وسأقود أنا القلب، على أن تبدأ مجموعة القلب القتال ثم تبنى التراجع فيطمع العدو فينا ويخيل إليهم أنه حقق النصر، وعندما ما يتقومون في الهجوم على القلب المتراجع تنطبق عليهم الميمنة والميسرة. استحسّن الوزير الحكيم الخطة، لكنه قال مستفسراً أكثر:

- خطة ممتازة أيها الملك، ولكن لماذا وقع الاختيار على هذا الوادى الضيق بين الجبلين.

قال الملك "ساران" وهو يدور حول الخريطة المجسمة:

- أيها الوزير الحكيم، يقع الجبلان ناحية الشمال وناحية الجنوب ونحن سنكون في جهة الشرق حتى يضطر العدو لمهاجمتنا من ناحية الغرب وسيكون

البحر خلفهم، والشمس تسطع في أعينهم وهذا كله له تأثير بلا شك على الجنود.

قال الملك "سارى" الذى كان يتابع شرح أخيه باهتمام وترقب:

- كيف الحال إن جاء لهم مدد من البحر ولم نشعر به إلا وهو التف من خلف الجبل وحاصرنا من الخلف.

ابتسم "ساران" لأخيه الصغير وقال:

- هذا هو الجزء الثانى من الخطة، سنعد مجموعة من الفرسان الأشداد لكنها لن تشترك فى بداية الحرب وتكون على أهبة الاستعداد لصد أى هجوم متوقع من البحر أو التدخل لمساعدة أى جزء من الجيش يظهر عليه التعب، لأنهم سيكونون بالطبع أكثر راحة من المشاركين منذ البداية. تدخل الوزير وقال:

- وصلتنا أخبار من فرق الاستطلاع أن الملك "مرة الأحمر" جهز جيشاً جراراً وسيقابل مع جيش الملك "ميمون أبانوخ" بالقرب من ساحل البحر حيث سينزل الجنود من السفن.

قال الملك "ساران" بثقة:

- وهذا هو المطلوب أن تكون المعركة الفاصلة بالقرب من مملكة "بنى دهمان" حتى أظفر بالخبيثة "دنهش" وأعلقها من شعورها المائلة جزاء لها على ما فعلته بأبى الملك.

قال الملك "سارى":

- هل سنأخذ معنا "سمايدس" حقاً، أم كنت تطيب خاطرها.

- بالطبع ستكون "ساريدس" معنا، أبعد كل ما عرفناه نأمن عليها هنا بمفردها ونحن بعيدون عنها.

قالها "ساران"، ثم توجه بالكلام للوزير الحكيم وقال:

- أريد أن يكون الجيش جاهز للتحرك في فجر بعد غد، فلا داعي للتأخر أكثر من ذلك، فلا تنسوا أن الجيش محتاج للراحة كل أسبوع من المسير. انحنى الوزير وقال:

- سمعًا وطاعًا يا جلالة الملك، سيكون كل شيء كما خططنا له ثم استأذن بالخروج فأذن له الملك، الذى انفرد بأخيه وقال له:

- لا تحف يا "سارى" على "ساريدس" سأجعلها في مؤخرة الجيش ويكون معها بعضًا من الجوارى والحراس الأشداء ولن أسمح لها بالاشتراك في النزال كما تظن.

وفي الموعد المحدد انطلق الجيش في طريقه يتقدمه الملك "ساران" وعن يمينه الملك "سارى" وعن يساره الوزير الحكيم "يوشهور" وبالقرب من المؤخرة كانت الأميرة "ساريدس" في زى الرجال تمتطى جوادها وتسير بخيلاء وسط حراسة مشددة، و كانت فرحة بأنها تعيش الآن بين أخواتها الملوك بعدما عانت لسنوات ذل الرق والمهانة.

ظل الجيش سائرًا و كل ليلة جمعة ينزلون في مكان مناسب فتضرب الخيام طلبًا للراحة، لأن الجيش جحافل لا تعد ولا تحصى، وعندما أصبحوا على مسيرة خمسة أيام من المكان المحدد للمعركة أمر الملك "ساران" بالنزول للراحة، وأرسل فرقة من الاستطلاع لمعرفة أخبار العدو.

وعندما نزل الجيش ونصبت الخيام، أرسل "ساران" في طلب "سماريدس" لتقضى معهم الليلة بالخيمة المخصصة للملك، وعندما جاءت بوجهها البريء الذى يشع رقة وجمالا، ابتسمت وهى تجلس بالقرب من أخيها الأكبر و ظلوا يتسامرون حتى قرب الفجر، حكى لهم "ساران" الكثير من الحكايات خصوصا المتعلقة بالأميرة "سيلين" وكيف كانت تتسم بالطيبة على عكس قومها، وذكر أيضا اصرارها أن تترك وطنها وتأتى معه إلى "أقناموس"، ولولا خوفها من الملك "برقان" ما كانت لتهرب وتتركه حينها قالت "سماريدس" فجأة وهى تبتسم:

- يخيل إلى أن أختي الملك "ساران" كان قد وقع في حب "سيلين".

تنهد الملك "ساران" عندما تذكرها وقال:

- لقد كانت مختلفة عن كل بنى جلدتها ، لأن منهم الطيبون كما منهم الأشرار وهى تربت في كنف جدها لأمها الملك الطيب "شمهورش" قاضى الجن، وصاحب التاج الأبيض، ملك بنى النعمان فهو لا يشترك في الحروب لكبر سنه، وقد تتلمذت "سيلين" على يديه بصحة الكثير من الطلاب الذين يعلمهم فضائل الخير والأخلاق.

ثم أردف قائلاً:

- كما أنها أخبرتنا بخطة الملك "مُرة الأحمر" للإيقاع بها عندما طلب من الملك "برقان" ارسال الجيش لمساعدته في حرب واتضح انها كانت خدعة حتى يقضى على الجيش، بسبب زواج أبى من أمكم "ميرة" رغم أن أبى لم يغصبها على شىء كما ادعى والدها.

قال "سارى":

- هل هناك فرق فى أن تكون تزوجت أبى بموافقتهأ أورغمًا عنها  
صاح "ساران":

- طبعًا، تفرق كثيرًا، لأنه فى عرفهم أنهم أقوى منا، ومعنى إرغامهم على  
شئ فهذا عكس اعتقادهم.

قالت "سارىدس" براءة:

- معنى ذلك أننا الآن ذاهبون لقتال جدنا الملك "مُرة الأحمر"!

أراد "ساران" التهوين عليها بعدما رأى نفس السؤال فى عين "سارى":

- هؤلاء القوم لا عهد لهم، ولن يفرق مع الملك "مُرة" إذا كنتما  
أبناء "ميرة" ابنته أم لا، فهم بطبعهم خونه وماكرون، فلا تحسبا لهذا الأمر  
حساب، وبعدها يتم لنا النصر سنعيد الملكة "ميرة" لتعيش معنا مرة أخرى.

قالت "سارىدس":

- علمت أنهم يريدون التخلص منى وهذا كل همهم.

وضح لها "ساران" الأمر وقال:

- لا تخافى، فكل همهم منذ بداية الخلق التخلص منا جميعًا وسنظل معهم  
فى حروب حتى النهاية.

\*\*\*\*\*

أقبلت جحافل قوات بني الأحمر وقوات بني دهمان، وعندما اكتملت الصفوف وضاعت لهم الأرض بما رحبت، واصلوا سيرهم حتى نزلوا بالوادي القريب من البحر فأقاموا معسكرهم هناك، فلبثوا ثلاثة أيام وفي فجر اليوم الرابع استيقظوا على اندفاع فرسان مملكة "أفناموس" نحوهم كالسيل الجارف تزينهم دروعهم البيضاء.

عندما تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين في العين كان أول من اشترك في القتال الملك "ساران" الذي كان يقود القلب، فاخرق الصفوف وهاج في الألوف وقاتل أبطال ولم يزل يصول ويجول ولما شعر بأن التعب بدأ يظهر على مجموعته، بدأ في التراجع حسب الخطة المرسومة.

بدأ قلب الجيش في التظاهر بالهزيمة والتراجع للوراء، فكر عليهم جيش الأعداء وحملوا عليهم حتى أصبحوا بين الجبلين فحمل عليهم الملك "سارى" بجنود الميمنة والوزير الحكيم بجنود المسيرة، فارتبكت قوات بني الأحمر وصاروا يبحثون عن الفرار من سيوف جنود "أفناموس".

ظل القتال بين الكر والفر حتى وصل مدد "بني دهمان" عبر السفن في البحر وعندما وصل الخبر للملك "ساران" أمر المجموعة الثانية بالدوران حول الجبل واحراق وخيام العدو، انتهى اليوم الأول من القتال وقد حقق "ساران" وجيشه انتصارًا ساحقًا بفضل خطة التي فصلت بين خطوط العدو.

لم ينم "ساران" و"سارى" فى هذه الليلة بل ظلوا يتفقدون الجنود ويثوا فيهم القوة والشجاعة، أما "ساريدس" فكانت مهمتها الإشراف على الخيام التى يعالج فيها المصابون، فدخل عليها أخويها وهى تعتنى بالمرضى والمصابين فشجعاها وشدوا من عزمها.

أما الملك "مُرة الأحمر" فبرر الهزيمة أمام الملك "ميمون أبانوخ" وأمه وكبار قادة الجيش، حين قال:

- كنا بلغنا هدفنا وكدنا نتصر عليهم ، لكن أعجبتنا كثرتنا  
فقال "دنهش" بحسرة وألم:

- هذا الشيطان الماكر الملك "ساران" لا بد من قتله فهو يمثل كل قوتهم  
وإن استطعنا التخلص منه حققنا ما نريد.

تدخل الملك "ميمون أبانوخ" وقال حتى يطمئن أمه:

- فى الغد نعيد ترتيب وتنظيم الجيش فما حدث ليس إلا مجرد بداية  
والحرب لم تنتهى، وإن كان لديهم الشيطان "ساران" فلدينا الشيطان  
"ساروخ" أفضل من يرمى بالنبال ويضرب بالسيف ويطعن بالرمح،  
يبارز "ساران" ويقتله ويخلصنا منه.

فى صباح ثانى يوم للمعركة، خرج الخبيث "ساروخ" وكان يشع المنظر وجه  
كبير أشبه بالحمار وجسمه مشعر كالقرد، كان المعلون يمتطى جوادًا أسودًا ،  
وعليه ثوب أحمر، ويحمل فى يده رمحًا له ثلاث حراب حتى بدأ مثل أبيه إبليس  
اللعين، ثم نادى بصوت المنكر وقال:

- لا يخرج لبارزتى إلا الملك "ساران" إن كان عنده المقدرة.

فزع الجنود من صوته الخبيث، وحدث هرج ومرج بين الجيشين واصطفوا على الجانبين ينتظرون رد الملك "ساران" حتى قال "سارى":

- أنهم يريدونك أنت وأن أخاف عليك من هذا الملعون.

قال "ساران" وهو يتسم حتى يطمئن أخيه:

- لا تقلق يا أخى، فإن قوتهم الآن مثلنا أو أقل، إن لم أخرج له سيظن إننى

خفت منه وسينتقل هذا الخوف للجيش فيضعف من عزيمتهم.

خرج "ساران" كالأسد الجسور وكان راكبًا على ظهر جواد يشبه العزال

الشارد بخفته فلمح هذا الملعون يقف وسط ميدان المعركة وفي يده رمح، لما

أبصر "ساران" لطم على ركبته وصدره العريض وزأرحتى يخيف "ساران"، ثم

ألقى الرمح ذا الثلاث حراب إلى أعلى وتلقاه بيده الأخرى، ثم رماه بكل قوته في

اتجاه "ساران" فخاف الجميع على الملك "ساران" فلما اقترب الرمح منه اختطفه

من الهواء، فهلل الجنود لملكهم وقوته.

أمسك "ساران" بالرمح وهزه في يده وألقاه في الجو ثم تلقاه باليد الأخرى،

ثم صاح بقوة وعزم ورمى الرمح في اتجاه هذا الملعون، فأراد "ساروخ" أن

يمسك بالرمح كما فعل "ساران" ومد يده لتختطفه من الهواء، فأسرع

"ساران" بحربة أخرى وضربه بها فجاءت الضربة في منتصف رأس

الملعون "ساروخ" وهوى على الأرض والدماء تنهمر من رأسه كالنافورة.

رفع "ساران" يده ملوحًا بالنصر، ففرحت الجنود والعساكر وارتفعت

روحهم المعنوية وظلوا يصفقون لملكهم العظيم وينادون باسمه.

عندها التحم الجيشان ووقع من وقع تحت حوافر الخيل، وقتل من قتل بالرمح أو بالسيوف، وامتألت الأرض بالقتلى وعظمت الجراحات، وصار لا يعرف الجريح ممن مات، وظلوا بين كر وفر إلى إن انتهى النهار وأقبل الليل بستائره السوداء معلناً الهدنة بين الفرقين إلى الصباح التالي.

وفي الليل اجتمع الملك "ساران" كالعادة مع أخيه الملك "سارى" والوزير الحكيم، ليناقشوا باقى خطط الأيام القادمة، فدخلت عليهم الأميرة "سماريدس" وهم على هذه الحالة، فأقبلت بوجهها الذى يشع نوراً وابتسامتها تعلقو ثغرها، استقبلها أخوها "ساران" بنفس الابتسامة فأسرعت نحوه، وقالت:

- سيبقى ما فعلته بالملعون "ساروخ" حديث الناس على مر العصور

شكرها "ساران" على كلامها واطمأن عليها وسألها على حالة الجرحى وأكمل كلامه لأخيه والوزير وقال لهما:

- هم الآن يظنون أننا لن نعيد الخطة الأولى لذلك سبناغتهم ونكررها، يسير الوزير الحكيم بمجموعة الفرسان ناحية البحر بحيث يكونون على مقربة من مكان إنزال سفنهم للجنود، وإذا دارت رحى الحرب ورأيتم عسكرنا يتقهر للخلف وجاءوا هم وزحفوا نحونا سيخرج باقى جنودهم من السفن حتى يحاصرون جيشنا من كل الجهات، وقتها احرقوا السفن حتى لا يعودوا إليها واحصروهم من الخلف.

فى الصباح دار طاحون المعركة وبعد مرور بعض الوقت تأخر "ساران" ومعه أخيه وتقهر الجيش وأظهروا الانهزام للأعداء، فزحفت عليهم جنود "بنى دهمان وبنى الأحمر" وتمهيتوا للضرب والطعن فيهم، ونادى قائدهم:

- جنود "أفناموس" جنحوا للفرار فلا تركوهم إلا قتلى أو حرجى  
 فرحت الماكرة "دنهش" بما وصلها من أخبار انتصار جنودهم، فبدأت تحت  
 الجنود على الأخذ بثأر "ساروخ" وثأر "سيلين".  
 وفجأة....

انقلب الحال واستدار الملك "ساران" وحمل ومن معه على العدو وقطع  
 عليهم طريق العودة حتى يحصروهم الوزير من الخلف، وأثناء المعركة وإذا  
 بفارس ملثم يصول ويجول ويقطع الرقاب وفتح بين عسكر الأعداء ميداناً  
 أوسعهم ضرباً وطعنًا ، حتى رهبه الأعداء وصاروا يتحاشون طريقه، فقد كان  
 يمسك سيف بيمينه ورمح بيساره وكان بارعاً حقاً في القتال، استغرب الجميع  
 وظلوا يتسألون فيما بينهم عن هذا الفارس الملثم المغوار، وخاف  
 الملك "ساران" أن تكون خدعة، فاقرب منه وسأله:

- من أنت أيها الفارس الملثم؟!  
 فكشف الفارس اللثام عن وجهه وهو ينظر للملك "ساران" ويقول:
- هل عرفتني أيها الملك المعظم؟  
 لم يستطع الملك "ساران" أن يتحدث من هول المفاجأة، فسكت هنيهة ثم قال:
- سواتن!!!  
 فقال "سواتن" عندما لمح الكثير من الأسئلة على وجه الملك:
- دعنا من الاستغراب الآن، وهيا بنا نكمل المعركة.

ثم استكمل الضرب والقتل في صفوف الأعداء، وتوجه ناحية "سارى" وقال: أيها الملك إنك تخاطر بنفسك، فما زلت صغير السن، فالصق جوادك بجوادى فأنا لا آمن عليك من الأعداء.

فقال له "سارى" بعصبية دون أن ينظر له:

- أنا لا أخاف النزال و لن أترك مكان المعركة لأكون بجوارأخى

الملك "ساران".

بدأت بشاير النصر، فركن جنود الأعداء للفرار يقصدون سفنهم الموجودة داخل البحر، حتى سبقهم الوزير ومن معه وأشعلوا فيها النيران فأصبح جنود العدو كالفئران الحائرة التى لا تجد لها ملجأ فقد وقعت في المصيدة، فقتل منهم الكثيرون وأسر الكثيرون.

وانقضى النهار وأقبل الليل وكان "ساران" يبحث عن "سواتن" فأبلغه

أحدهم أنه أصيب في كتفه بسهم، وهو الآن في خيام الجرحى.

على الفور ذهب "ساران" إلى خيمة الجرحى، فوجد "سواتن" مستلقى على

ظهره وبجواره الأميرة "سماريدس" تطمئن عليه، فاقترب منه ونظر له وقال

بحدة:

- أين كنت يا "سواتن"؟ ولماذا هربت؟ ولما عدت؟!

\*\*\*\*\*

عندما وصلت أخبار الانتصار إلى الملكة "دنهش" قالت بغرور:  
 - أنا أعلم أن ابني "ميمون أبانوخ" لا يكون من المنهزمين ولا يخاف من  
 جيوش "أفناموس".

ثم أمرت أن تزين البلد، فأظهروا السرور، وأتت "شاروسة" باسمه الثغر  
 وهي تحمل زجاجات الخمر، وقامت بصب كأس لها وكأس للماكرة  
 "دنهش" التي سألتها:

- هل عندك ثقة في "سواتن" أن ينفذ ما اتفقنا عليه؟

ضحكت، ثم ارتشفت من الخمرة رشفة، وقالت:

- كل الثقة يا عزيزتي، لا تقلقى وستثبت لك الأيام أننا نسير على الطريق  
 الصحيح، فإن كنا رمز للشر والخطيئة التي قام بها أبانا لكن من بنى جلدتهم ما  
 هو أكثر شرًا وخطيئة منا، لكنهم دوما يدعون المثالية في العلن، ويفعلون الخطيئة  
 إذا خلوا إلى شيطانهم.

وبينما هم وسط الزينات والأفراح، حتى صرخ بهم غراب الحزن وأقبلت  
 عليهم بعض السفن التي استطاعت الفرار من الحرب وعلى متنها الملك "مُرّة  
 الأحمر" والملك "ميمون أبا نوخ" وهما يجران أذيال الهزيمة المنكرة، فانقلب  
 الضحك إلى بكاء، وأصاب الحسرة الملعونة "دنهش" وزاد من حزنها عندما  
 عرفت أن "ساران" قتل فارسهم "ساروخ" فظلوا يوجهون الاتهامات لبعضهم  
 البعض، كل منهم يلقي باللوم على الآخر. فصرخت فيهم "دنهش" وهي في قمة  
 غضبها حتى صارت عينها كجمرة نار ملتهبة فقالت:

- أين باقى العساكر؟  
قال "مرة الأحمر" وما زال بلبس الحرب الرث ووجهه الذى أثر عليه حريق السفن:

- لم يتبقى منهم إلا القليل، خدعنا "ساران" وقلب خطتنا التى كنا نستعد للقيام بها وجهاز رجاله فاشعلوا النار فى مراكبنا وهجم علينا من الخلف بعدما خدعنا وأظهر الهزيمة والفرار.

ضحكت "دنهش" بسخرية وقالت وهى تلوح بيدها:

- هذا الملعون يخدعكم لثانى مرة بنفس الخطة، ألم تتعلموا من المرة الأولى. أراد ابنها "ميمون أبا نوح" أن يتكلم ويبرر ما حدث، فأشارت له أن يصمت وظلت تجوب القاعة بظهرها الأحذب، فقد كانت داهية من الدواهى وكاهنة من الكهان على علم بكل أنواع السحر وخصوصا السحر الأسود فقالت له بعد أن فكرت لحظات:

- ما دام الملعون "ساران" موجود لن نهمهم، وصدقت كلامكم أن "ساروخ" سيقدر عليه ويخلصنا منه وكانت النتيجة أنه قتل "ساروخ" وخسرنا نحن أشجع وأقوى فارس لدينا.

قال ابنها "ميمون" وهوى بظأ رأسها للأرض:

- وما العمل الآن يا أمى!؟

قالت ردا على سؤال ابنها:

- منذ بداية الخليقة لم نستطع هزيمتهم إلا بالحيلة والخديعة ولنا في آبانا العظيم القدوة، هل نسيتم ما فعله آبانا بأبيهم وكيف خدعه وجعله من العاصيين حتى طُرد من الرحمة وصرنا سويا في الخطيئة.

قال الملك "مُرة الأحمر":

- ما الذى تفكرين فيه أيتها الملكة الأم؟

وقبل أن ترد على سؤاله، تدخل ابنها الملك "ميمون أبا نوح" وصرخ فيه وقال:

- كل هذا بسبب ابنتك "ميرة" التى سلمت نفسها للملك "برقان" وانجبت منه بنتاً، هى السبب بكل ما نحن فيه الآن.

صرخت فيه أمه أن يصمت، وقالت وهى تدور فى القاعة:

- ليس هذا وقتاً للثرثرة وتبادل اللوم، إن كان وجود "سمايدس" على قيد الحياة قد سلب الكثير من المميزات التى كنا بتفوق عليهم بها، لكن ما زال عندنا الخديعة والدهاء حتى نصل لما نهدف إليه، أما "سمايدس" نفسها فسوف يحن وقتها ونتخلص منها ومن العار الذى لحق بنا، وأنا أعمل على ذلك لكنى لست مسئولة عن كشف كل خططى أمامكم، تركت لكم الحروب ففشلتهم فيها.

لنا الكثير من العيون فى صفوفهم ، وقرىبا سأجد الحيلة وأصل إلى الملك "ساران" وأقتله بيدي كما قتلت والده من قبل.

\*\*\*\*\*

فزعت "سماريدس" من صوتها أخيها "ساران" وهو يصرخ في "سواتن" وينهال عليه بالأسئلة، فقالت له:

- ماذا حدث يا أخي، الوقت ليس مناسباً للنقاش، إلا ترى أنه مصاب ونزف الكثير من الدماء.

كان الشرر ما زال يتطاير من عيني "ساران" لكن كلمات أخته هدأت من روعه بعض الشيء، فأخذ ينظر لـ "سواتن" معاتباً، بينما "سواتن" لم يستطع الرد عليه.

فجلس "ساران" بجواره وسأل عن حالته، فأخبرته "سماريدس" أنه بدأ في التحسن، فأمسك بذراعه ليرى مدى جرحه فوجده مازال يتألم من كتفه فقال له:

- وهل يتألم رجل حرب مثلك من جرح بسيط؟!

فحاول "سواتن" أن يعتدل في جلسته، فساعدته "سماريدس"، ثم قال:

- رفقا بي أيها الملك، رفقا بي يا بن عمي.

فتعجب "ساران" من كلامه وقال وهو يضحك بسخرية:

- الآن فقط اكتشفت أني ابن عمك ويجري في عروقنا الدم نفسه فلماذا

إذن هربت عندما علمت بقدمي، بعدما قتل الملك وكنت تريد الاستيلاء على الملك، بل حاولت إحداث بعض المشاكل بين الناس لولا حكمة الوزير وبعض كبارالدولة.

فظهر الاضطراب على "سواتن" لكنه حاول أن يتهاسك ورد قائلاً:  
 - لم يحدث ما تقول، أنا فعلاً هربت لأنى اتهمت ظلياً فى الاشتراك فى  
 خطف "سارى وسماييدس" ودفع بى عمى إلى السجن وزاد خوفى من أن أتهم  
 بقتل الملك، لذا قررت الهرب.

ظهر على وجه "ساران" عدم تصديقه للكلام، فسأله:

- وأين كنت؟ ولماذا رجعت إلينا مرة أخرى؟

بحث "سواتن" فى عقله على إجابة مقنعة، فقال:

- ظللت أجوب البلاد حتى استقر بى المقام فى بلدة صغيرة بالقرب من  
 البحر، تعرفت فيها على بحار وفى يوم من الأيام كان عائداً من رحلة تجارية  
 إلى "زغدانة" وأثناء حديثنا عرفت منه أنك ذهبت إلى "أفناموس" لقتال  
 مملكة "بنى دهمان" فقررت أن أنسى كل ما حدث وأن أقف بجوار أبناء عمى فى  
 هذه الحرب.

ضحك "ساران" بسخرية على كلام "سواتن" وقال:

- حقاً ! أنت بالفعل شجاع يا "سواتن"

نهرته "سماييدس" وقالت:

- يكفى هذا يا أختى، لا بد أن أساعده وأبدل له ضمادة الجرح.

فنظر له "ساران" نظرة الغير مصدق لكل ما قال، ثم إدار وجهه للخارج  
 ومضى وهو ناظم على "سواتن" و ما أن خرج تناولت "سماييدس" يد ابن عمها  
 وأخذت تتفحص الجرح وهى تقول:

- أظنه جرح بسيط لكن يحتاج لبعض الراحة.

كانت تنظف مكان الجرح بالماء، و"سواتن" ينظر إليها بشغف وعندما شعر أنها لاحظت نظراته إليها، فقال وهو يبتسم:

- لم أكن أعرف أن لى ابنة عم بهذه الرقة والجمال.  
كلماته جعلت وجهها يحمر خجلاً، فقد كانت "ساريدس" آية في الرقة والجمال، وجه مستدير كالقمر، خدها أملس مشرب بحمرة، عيونها زرقاوان، وأنف صغير للغاية تحته شفاه تشعرك بلذتها عندما ترآها كأنها خلقت من الشهد، بالإضافة لصوتها هذا الصوت الساحر الذى يأترك من أول كلمة ينطق بها.  
ازاحت "ساريدس" بيدها شعرها من على وجهها الرقيق ونطق ثغرها بابتسامة حياة وقالت له:

- وأنا لم أعرف أن لى ابن عم يتألم من حرج صغير كما وصفه الملك "ساران".

ثم ضحكت عندما رأت لاحظت تغير ملامح وجهه، وقالت له:

- هل يغضبك المزاح؟!

اعتدل في جلسته وهو ما زال ينظر لها وقال وهو يشير نحوها:

- كيف لى أن أغضب من كلمة نطقها ملاك برىء، لى أن أندم حقاً أننا لم نتقابل قبل الآن، أنا لا أجد كلمات تساعدنى فى وصفك.

كلماته كانت تقع عليها فتزيدها حيرة وخجل وحياء، وأيضا أعجبت به منذ سمعت بما فعله فى المعركة وزاد إعجابها عندما دخل عليها مصاباً يحمله بعض الجنود لكنها عندما تفحصته بنظرها فعرفت أنه صاحب جسم قوى مفتول،

طويل القامة، بشرته بيضاء قليلا، تتجلى الوسامة على وجهه، عندما صمتت، أشار بيده في وجهها وقال وهو يضحك:

- إلى أين ذهبتِ وتركتيني؟  
ضحكت وقالت:

- تذكرت تلك الأيام الصعبة التي كنت فيها جارية أُباع وأُشترى وكيف كان القدر رحيماً بي في النهاية عندما أنقذني أخى الملك "ساران".  
ظهرت الجدية على وجهه وأراد أن يشاركها ذكرياتها، فقال لها:

- هل تمانعين أن تحكى لى كل ما وقع معك منذ البداية، وأنا أيضا يجب أن أحكى لك كل ما حدث معى.

استحسنت "ساريدس" كلامه، فهي بلا شك فرصة لتتعرف عليه أكثر فهو يظل ابن عمها أولا وأخيرا، فابتسمت وقالت له:

- احك أنت أولا، لكن لا تنس أن الملك "ساران" ممكن أن يدخل علينا في أى وقت.

فنظرفزعاً ناحية مدخل الخيمة، فضحكت من تصرفه، وقالت:

- ألهذه الدرجة تخاف من الملك "ساران"!  
فخجل من نفسه لكنه قال:

- ليس كما تظنين، الأمر أننا في حرب ويجب أن نذهب للنوم مبكراً.

- اطمئن يا بطل! العدو انسحب بقواته، و"ساران" أمر الجيش بالراحة لمدة ثلاثة أيام قبل أن يستأنف الزحف لمحاصرة هؤلاء الخونة والملك في خيمته الآن يناقش أمر الهجوم مع الملك "سارى" والوزير الحكيم.

ظهر السرور على وجه "سواتن" فقال لها:

- أنا سعيد الحظ أننا سنظل نتحدث سويا حتى مطلع الفجر، وسوف أبدأ لك الحكاية منذ أن هربت من السجن فور أن علمت بمقتل عمى الملك.  
ذكر سيرة والدها الملك الراحل جعلتها تشعر بالحزن وظهر على وجهها لكنها قالت له:

- لتبدأ الحكاية من فورك قبل أن يسرقنا الوقت.

بدأ "سواتن" يقص عليها قصة وكيف أنه خاف بعد قتل الملك "برقان" بهرب من السجن بمساعدة بعض الحراس، فقد أوهمه البعض أن الملك "ساران" في الطريق إلى "أقناموس" وسيقوم بقتل كل ما له يد في مقتل والده.  
وأخبرها كيف خاض الوديان والجبال والغابات حتى وصل لمكان كثيف الأشجار ورأى مجموعة من الجياد تقف وليس بجوارها أشخاص، وسظل يحكى لها وهي مهتمة مصغية له، رغم أنه كان يجاهد نفسه بذكر تفاصيل لم يحدث منها شيء، حتى لا تكتشف كذبه، لكنه سكت فجأة عندما تذكر ما فعله حقاً وبدا عليه الندم وأنه استعجل باتفاقه مع تلك العجوز الماكرة فتذكر تفاصيل لقائه مع الجميلة "شاروسة" التي أسرته بحسنها وجمالها ودلالها، وسرح فيما حدث بينهما، حتى عندما أبلغته بأنه سيقابل الملكة "دنهش" وعندما دخل عليها ووجدتها تجلس على كرسي كبير وحوالها الكثير من الجوارى الجميلات التي تسلب العقل، وقتها بادرتة قائلة:

- مرحبًا بالملك المعظم "سواتن".

استغرب من أنها تناديه بهذا اللقب وهو مجرد أمير مطرود من مملكته فأردفت

قائلة:

- ألا تريد أن تصبح ملك "أقناموس".

- وكيف هذا؟

ضحكت وقالت بمكر ودهاء:

- ليس هذا فقط، بل ستكون زوج الأميرة الجميلة "سهايدس" لكن

أولا عليك بتنفيذ ما نطلبه منك حتى نساعدك لتصبح ملكا.

من دهاء الماكرة أنها ألقت إليه بالطعم حتى يطمع، ولا يفكر في أى أسئلة

أخرى لكنه فطن وليس سهلا أن يمر عليه هذا العرض السخى دون معرفة

تفاصيل، فقال:

- من أنتم؟ وما مصلحتكم في مساعدتى حتى أصبح الملك؟ وما المقابل؟

قامت "دنهش" من على الكرسي واقتربت منه وهى تضحك وتقول:

- أنت فعلا تمتلك الذكاء مثل باقى قومك، لكنى سأخبرك بكل شىء.

ثم غمزت بعينها لـ "شاروسة" التى بدروها فهمت واقتربت منه ووضعت

يدها على كتفه بدلال لاثوثر عليه، فأكملت العجوز كلامها وقالت:

- أنت الآن فى مملكة "بنى دهمان" وأنا أم الملك "ميمون أبا نوح" وبيننا

وبين مملكة "أقناموس" حروب كثيرة لأسباب مختلفة، وقد قتلت الملك "برقان"

لأنه تعدى علينا.

عندما ذكرت أنها من قتلت الملك "برقان" انتفض "سواتن" من هول المفاجأة، فهو هرب من قبل معرفة القاتل، إلا أن "شاروسة" ربت على كتفه، فقالت العجوز:

- هل حزنت على مقتل عمك الذى حرمك من الملك وأمر بإلقائك فى السجن، سنعيد لك مقامك بشرط أن تساعدنا فى قتل الملك "ساران" وتصبح أنت الملك، بعدما تتزوج من "سهايدس".  
قال لها متسرعا، كأنه فعلا كان يطمع فى الملك:  
- يتبقى للملكة ملك آخر.

ضحكت وقالت:

- أتقصد هذا الصغير "سارى"، لا تخف سنتولى أمره أن عارضك باختصار سنقدم لك كل العون وشرطنا هو المساعدة فى قتل "ساران".  
تذكر "سواتن" أمرا، فقال لها:

- أنا هربت من السجن، فبأى وجه أعود لهم، حتى لو عدت سيقتلنى القوم على الفور.

وضحت العجوز له الأمر، فقالت:

- من السهل أن تبرر لهم سبب هروبك، وتقول لهم أن هربت خوفاً من اتهامك بالاشتراك فى قتل الملك، والجميع الآن يعرف أن من قتل الملك هى أنا الملكة المقدسة "دنهش".

- هذا سبب هروبي، إذا ما سبب عودتى لهم؟

- من لحظات كنت أقول عليك فطن، ستقول لهم أنك علمت بالحرب الدائرة فقررت العودة لمساعدة أبناء عمك، وتحتلق لهم أى قصة إن سألوك أين كنت الأيام الماضية ومن أين علمت بالحرب.
- عندما لاحظت تردد فى الموافقة، أردفت قائلة:
- ألا يستحق كرسى العرش التضحية؟!، ألا تستحق الجميلة "سمايدس" التعب من أجل الفوز بها.
- ظهر عليه أنه بدأ يحلم بلقب الملك فقال:
- وكيف أساعدكم فى قتل الملك "ساران"؟
- ابتسمت الماكرة "نائلة أم الشعور المائلة" وقالت:
- "ساران" وجيشه الآن بالقرب من مملكتنا ، والمطلوب منك أن تسهل لنا التسلل إلى المعسكر، والوصول لخيمته وقتله.
- وكيف أسهل لكم الدخول.
- بعد ثلاثة أيام من الآن ستخرج من المعسكر فى منتصف الليل دون أن يعلم أحد و تسير حتى موضع الأشجار الكثيفة ومعك ملابس لرجلين من ملابس جيش "ساران" وهناك ستقابل رجلان أرسلهم لك، وبعد أن يرتديا ملابسكم ، ستعرفهم الطريق لخيمة "ساران" ودع الباقي عليهم.
- أخذ "سواتن" يفكر فى كلامها، ثم قال:
- وماذا سيحدث بعد ذلك؟

اقتربت منه ووضعت يدها على كتفه وهي تقول:

- جيشكم يستمد قوته من قوة الملك "ساران" وعندما نقوم بقتله سيصبح من السهل هزيمة الجيش وقتل "سارى" فى الحرب، ولن يتبقى من الأسرة إلا الأميرة "سماريدس" وأنت ابن عمها ونفس الدم الملكى فطبيعى أن تتزوجها وتصير الملك.

وقبل أن يزيد فى الأسئلة أشارت العجوز إلى "شاروسة" بيدها أن تأخذه وتعدده للعودة إلى حيث الجيش، كانت تريد بهذا أن تستطيع "شاروسة" بدلالها وجمالها أن تقنعه أكثر بالموافقة، فخرج وذهب مع "شاروسة" إلى الغرفة التى قضى فيها الأيام السابقة وهناك.....

فظنت "سماريدس" بأن "سواتن" غلبه النوم بسبب تعبها، فنبهته قائلة:

- ما هذا الصمت الطويل، ظننت أن النوم غلبك.

فانتبه "سواتن" من تذكر اتفاق مع العجوز، ونظر إلى "سماريدس" وقال:

- هذا ما حدث معى منذ هروبى من السجن، والآن أخبرينى بما حدث

معك وكيف أصبحت جارية!؟

\*\*\*\*\*

القمر وحيداً يتوسط كبد السماء التي خلت من النجوم إلا بعضها أبى إلا أن يكون مصاحباً للقمر في رحلة الليلة، داخل خيمة الملك "ساران" الذي توسط الجلسة وعلى يمينه الملك "سارى" وعلى يساره الوزير "يوشهور" وكانت المناقشة حول ضرب حصار على "بنى دهمان وبنى الأحمر" بعد فرارهم من المعركة وتحصنهم بالمدينة.

تحدث الحكيم "يوشهور" وسأل الملك "ساران" عن "سواتن" فقال:

- لست أردى ما أصنع معه، هل أسجنه كما فعل أبى أم أتركه وأنا لست مرتاحاً له.

قال "سارى":

- هل فعل ما يُعاقب عليه؟؛ لقد أبلى بلاء حسناً في القتال حتى أصيب

قال الوزير:

- هل سألته يا جلالة الملك، لماذا هرب ولماذا عاد؟

تنهد الملك "ساران" وقال وقد بدت الحيرة على وجهه:

- نعم سألته، ولكن لم أفهم مما قاله شىء، غير أنه هرب خوفاً من العقاب،

وعاد للمساعدة عندما علم بالحرب التي نخوضها.

قال الوزير وهو ينظر للملك:

- لا تنس يا مولاي أمر أختكم "سماريدس"، العدو لن يهدى حتى تكون

الأميرة تحت أيديهم بالزواج أو بالقتل، ونحن نستطيع المحافظة على الدم الملكى

بأن تتزوج الأميرة "سماريدس" من "سواتن"

انتفض الملك "ساران" وهب واقفًا وقال:

- لست أوافقك الرأي أيها الوزير، وأخبرتك قبل ذلك أن "سواتن" من الممكن أن يتحالف مع الشيطان الأكبر طالما كان في مصلحته لذلك أعلنها صراحة أمامكم، أنا لا أثق في "سواتن" وعندما نعود للملكة سيكون لي معه تصرفاً آخر.

ثم جلس الملك بعدما هدأت ثورته وقال للوزير:

- بالنسبة للدم الملكي، فأنا لدى الحل، فقد سمعت أبى يوماً يتحدث عن كتاب ملكى موجود في مكتبة القصر يسرد نسب أسرتنا العريقة، وأن هناك بعض الملوك يربطنا بهم نفس الدم، بعد انتهاء الحرب سنرسل لهم الهدايا ونطلب الزواج من بناتهم، وقتها ممكن أيضا أن تتزوج "ساريدس" منهم وبهذا نكون وجدنا حلاً للمشكلة دون الاستعانة بـ "سواتن".

وافق الملك "سارى" والوزير الحكيم "يوشهور" على رأى الملك "ساران" وقاما طلبًا للراحة بعض الوقت قبل أن تعلن السماء عن مولد فجر يوم جديد، فأذن لهم الملك "ساران" بالانصراف، أما هو فقام إلى فراشه واستلقى على ظهره وقد أعاد حديث الزواج إليه ذكرياته مع الأميرة "سيلين"، فقد كان شغف بها حبًا على الرغم من علمه باستحالة الارتباط بها بعدما قصت عليه قوانين بنى جلدتهم وكيف تأثروا بزواج والده الملك "برقان" من "ميرة" وكانت النتيجة ما هم فيه الآن من كل هذه الحروب المتواصلة والتي ستتواصل إلى ما لا نهاية وتذكر مقولتها: أنتم عدو لنا ونحن عدو لكم.

دخلت الخيمة بكامل زينتها وهي تبتسم برقة كالعادة، حتى اقتربت منه فاعتدل في جلسته وقال لها بعفوية:

- أحبك

فضحكت ضحكة زلزلت كيانه وهزت أرجاء الخيمة، ثم قالت:

- أنا أيضا ، أحبك..... ولكن..... أنت مخلوق من غير بنى جلدتنا

ومهما نفعل لن يتركونا نتزوج.

وقف و أمسك بيدها، ونظر لعينيها التي بدأت الدموع تتساقط منها

وقال:

- سنترك هذا العالم ونهرب إلى أبعد مكان، ونعيش سويا طول العمر

- أنا معك في كل مكان حتى لو افترقنا، ستجديني دوما معك لكن عليك

ألا تنساني.

ومدت يدها له، فابتسم ومد لها يده، وفجأة اختفت، بحث عنها في الخيمة لم

يجدها فقد كان يتحدث مع سراب ، فاستلقى على فراشه وهو يردد:

- لن أنساكي ... لن أنساكي مهما حدث.

\*\*\*\*\*

مع نسفات الفجر الناعمة شعر بنشاط يدب في أوصاله، فقرر أن يخرج من خيتمه ليستقبل تلك النسفات المنعشة لعلها تمنحه بعض القوة ينسى بها الألم الذى ما زال يشعر به، سار في اتجاه الأشجار فسمع صوت خرير مياة تتساقط محدثة صوت نغمات رتيبة لكنها محببه إلى النفس، اقترب من الصوت فوجده شلال صغير يتساقط من أعلى.

مد يده فلمس الماء فوجده باردًا، تشجع وتحفف من ملابسه وخطى حثيثًا ووقف تحت الماء المتساقط، ثم تفقد جرحه فوجده نظيف بفعل المياة الباردة، أغمض عينيه وترك المياة تتداعب جسده وراح يتذكر كل ما مر به منذ موت والده، وقام عمه بتربيته مع ولده لأنها كان في نفس السن تقريبًا، لكن تبدلت الأحوال وبدأ الوشاة الوقيعة بينه وبين عمه، حتى وصل به المطاف إلى السجن. عاد من ذكرياته إلى حاضره حينما سمع صوت أقدام تسير فوق الحشائش، فانتبه وفتح عينيه وبدأ يتلفت يمينًا ويسارًا لكي يعرف من أين يأتي هذا الصوت، وفجأة شعر بحجر صغير يلقى نحوه فسقط في الماء اندهش وخرج من تحت الماء وبدأ يبحث فلم يجد أحدًا. وفجأة.....

جاءه صوتها الرقيق وهى تضحك وتقول:

- ما أشجعك أيها الأمير! أنت حقًا فارس شجاع.

التفت ناحية الصوت، فلمحها تتعلق بغصن شجرة، فأشارها بيده، ثم ضحك وقال:

- إلى متى ستظلين صغيرة؟

ثم اقترب منها ومد لها يده ليساعدها على النزول، فكادت أن تسقط فتلقاها بين يديه فتلاقت عيونهما لحظات، فأجبرها حياؤها أن تبتعد بعينيها، فسارت حتى وجدت صخرة بقرب شلال المياة فجلست عليها وقالت وهى تتحاشى نظراته:

- ماذا تفعل هنا في هذا الوقت المبكر؟

جلس بجوارها وهو يمسك قميصه في يده، وتصنع أنه يقوم بارتدائه فقد شعر بأن قلبه يضرب صدره بقوة أثرت على لسانه فتعلم وهو يقول ردًا على سؤالها:

- أشتكى حالى لطيور الصباح، فقد سُرِقَ قلبى ولم أعد قادرًا على إعادته.

فهمت ما يرمى إليه، فقالت وهى تلعب بخصلات شعرها وتنظر للأسفل

بحياء:

- وماذا قالت طيور الصباح عن شكواك؟

قال بخبث وهو يحاول أن يمسك يدها:

- كانت ستقول الكثير، لكنها هربت عندما قمت أنت بإلقاء حجر في

الماء، فماذا أفعل الآن، وإلى من أشتكى؟

ضحكت وقالت:

- لم أكن أعلم أنك تصاحب الطيور وتشكى لها، سأتركك الآن عسى أن

تعود إليك فتكمل حديثك معها.

وهمت وافقة، فجذبها من يدها برقة، وقال لها:

- أنت هكذا دائماً، ليلة أمس تركتيني دون أن تقصى على قصتك كما كان الاتفاق بيننا، والآن تودى أن تركيني للمرة الثانية
- ثم عقد حاجبيه كأنه تذكر شيئاً، فقال لها:
- ولماذا أنت الأخرى جئتِ إلى هذا المكان مبكراً، ألك أيضاً أصدقاء من الطيور تشتكين لها.

ضحكت وقالت:

- لا؛ استيقظت مبكراً، فقررت أن أمر على خيمتك لأطمئن عليك فلم أجدك، فسرت إلى هنا حيث أستنشق هواء الصباح كالعادة منذ نزلنا هذا المكان قبل مجيئك.

نظر لها بعض اللحظات وهو صامت، ثم قال:

- الآن عليك أن تحكى لى قصتك كما اتفقنا.

ظهر الحزن فى عينيها، عندما تذكرت ما حدث بها، وبدأت تقص له كل شىء منذ خرجت للصيد مع أخيها وهؤلاء القوم الذين خطفوها وتركها لأخيها المريض وحكايتها مع التاجر الذى باعها لأخيها "ساران" وهى لا تعرف أنه ملك "زغدانة" وكيف تقابلت مع "سارى" مرة أخرى.

كانت كل كلمة تحكيها تقربها منه، فقد صارت تمتلك قلبه، لكنه يخشى أخيها فهو يشعر أن "ساران" لا يجبه بسبب اعتقاده بأنه يسعى للملك كما كان الملك "برقان" يعتقد ذلك من كثرة أقوال الوشاة.

- انتهت من سرد قصتها له ثم أخذت تنظر حولها، ووقفت فجأة، وقالت:
- لنعد الآن إلى المعسكر حتى لا يلاحظ "ساران" غيابنا.
- عندما اقتربا من خيام المعسكر ودعها على أمل لقاء قريب بينهما.
- صباح جديد بلون الشمس التي نشرت شعورها على الأفق فصبغت كل الأشياء بلونها المفضل، وتوارى الليل ووقف يتابع من بعيد، حيث نودى فى الجيش بالاستعداد للتحرك نحو معسكر الأعداد.
- وقف الملك "ساران" يتابع التجهيزات وبجواره أخيه الأصغر ووزيره الذى قال:
- نحن الآن على أهبة الاستعداد يا مولاي، وسنضرب عليهم حصارًا شديدًا وقد علمت من عيوننا أن جيشهم يعسكر على بعد يوم من قلعتهم الحصينة.
- قال "ساران":
- لن أرتاح حتى أكسر شوكتهم وأدمر قلعتهم وأقطع رأس تلك الأفعى الرقطاء "دنهش".
- ثم التفت "ساران" لأخيه الملك الصغير "سارى" وقال:
- ستظل أنت يا "سارى" عند الراية لتكون بعيدًا عن القتال، فأنت منبقى لنا من أسرة الملوك، وإن حدث لى
- شئ تكمل أنت المسيرة وتطرد هؤلاء الطغاة وتنتقم لشعبنا.
- اقترب منه "سارى" وقال بود:
- كيف هذا أيها الملك، اسمح لى يا أخى أن أحارب إلى جوارك.

ربت "ساران" على كتف أخيه وهو يقول:  
 - ما زلت صغيراً أيها الملك الهمام، كما أن بقاءك للملكة أعظم عندي من الانتصار على هؤلاء القوم، أتريد أن تنتهي أسرتنا إن حدث لك مكروه.  
 لم يجد "سارى" ما يرد به، فانصاع لأمر أخيه وقال:  
 - سمعاً وطاعاً أيها الملك المعظم.  
 ثم اتجه الملك بالكلام للوزير الحكيم وقال له:  
 - ستقود أنت أيها الوزير الميسرة وسأكون أنا في القلب، و"سواتن" يكون في الميمنة.

وأردف وهو يتلفت يميناً ويساراً كأنه يبحث عن شيء:  
 - مالى لا أرى "سواتن" أم كان من الهاربين؟  
 فقال له الوزير "يوشهور" وهو يشير ناحية الخيمة:  
 - الأمير "سواتن" هناك يا مولاي يتحدث مع الأميرة "سماريدس"  
 فتعجب "ساران" مما سمعه من الوزير وقال:  
 - سماريدس! ارسل من يستدعيها حالا.  
 أرسل لها الوزير جندياً، فجاء على الفور وامثلاً بين يدي الملك، الذى قال بلجهة ساخرة:  
 - أرى أن الأمير "سواتن" قد لا يفضل القتال لذا هو يتأخر ليكون في موكب النساء.  
 فهم "سواتن" ما يرمى إليه الملك فقال له:

- "سواتن" لا يخش الحرب والنزال سيدى الملك، بل سأكون فى مقدمة الجيش أول من يبارز الأعداد.
- هز الملك رأسه وهو يبتسم باستهجان، ولم يعقب على كلام "سواتن" بل قال مخاطبًا أخته الأميرة "ساريدس":
- ستلزمى مكانك الذى خصص لك، حتى نطمئن عليك، ومهما حدث لا تتركى مكانك، وإن احتجتى لشيء اطلبه من الفرقة المكلفة بحمايتك.
- شعرت "ساريدس" بأن أخيها الملك "ساران" لا يجب "سواتن" ولا يطمئن له لكنها لم تبدى أى اعتراض على ما أمرها به واتجهت عائدة إلى حيث تنتظرها جوارياها، وهى خائفة أن يقع صدام بين "ساران" و "سواتن".
- كان "سارى" يتبعها بنظره حتى أصبحت على مسافة بعيدة منهم، فقال لأخيه:
- رفقا بـ "ساريدس" يا جلالة الملك.
- رد عليه "ساران" بحدة قائلاً:
- كيف تقول هذا أيها الملك! وأنت تعرف أننا نحارب من أجل المحافظة على حياتها، لا تقلق فأنا أعرف كيف أراضها بعد أن تنتهى من الحرب.
- كان "سواتن" يقف بالقرب منهما، لكنه لم يفهم ما قصده "ساران" فظل صامتًا، حتى قال له الملك "ساران" وهو يربت على كتفه:
- والآن أيها الفارس الشجاع ستكون بجوارى فى ميمنة الجيش، حتى نرى قوتك وشجاعتك فى النزال.

- ستندم أشد الندم يا "سواتن" على خيانك لى.
- قالتها "دنهش" متحدثة لنفسها وهى تجلس بمفردها تفكر فى حيلة جديدة للتخلص من الملك "ساران" لأنه كما تردد دائما سر قوة جيشه وإن قتل أصبح من السهل القضاء على الجيش، أخرجها من وحدتها دخول ابنها "ميمون أبا نوح" الذى قال:
- والآن ما الحل يا أمى، وقد فشلت حيلتك، وجيش "ساران" الآن على بعد مسيرة يومين وحتما ستكون هناك مواجهة وصدام معهم.
- وقفت "دنهش" وصرخت فى وجه ابنها وقالت:
- لن أعدم الحيلة أبدا ولن أرتاح حتى أقتل هذا الملعون "ساران".
- ضحك "ميمون أبا نوح" بسخرية وقال:
- ليس هناك وقت لتدبير حيلة أخرى، فقد أزف الوقت ولم يبق لنا إلاخوض الحرب مهما كانت النتائج.
- قالت العجوز الماكرة:
- قلت لك نتحصن كلنا داخل الأسوار ولا داعى لخروج الجيش لملاقاتهم كنا سنكسب بعض الوقت لتدبير حيلة جديدة.
- اقترب منها وقال:
- من الغباء التحصن داخل المدينة وأن نتخذ من أسوار القلعة حماية لنا، فأن هزمنا "ساران" داخل المدينة قتلنا جميعا، لكن الآن لنا فرصتين نحارب فى الخارج وأن انهزمنا ندخل المدينة ونحتمى بالأسوار.

قالت الماكرة وهي تجوب الغرفة كأنها تخطط لشيء ما:  
 - اذهب أنت وجيشك فقاتلا، أما أنا سأظل هنا أخطط وأدبرحتى أجد  
 الطريقة التي تجعل رأس "ساران" حتى قدمي هنا في القلعة.  
 اقترب منها وأخذ يربت على كتفها وهويقول:  
 - اطمئني يا أمي، فقد جهزنا كل شيء وأعدك أن تكون رأس "ساران"  
 هديتي لك.

ابتسمت الأم وقالت لابنها:

- وماذا عن جيش الملك "مُرة الأحمر"؟  
 - بالطبع سيكون معنا في الحرب وقد اتفقت معه على خطة لو تمت كما  
 دبرنا لها سننتهي من الحرب في أسرع وقت.

اندهشت العجوز من كلام ابنها كبير عائلة الميامين:

- خطة ! ما هذه الخطة ولماذا لم تخبرني بها، أم لم أعد محل ثقتك أيها الملك  
 الأعظم!

فأمسك "ميمون" بيدها وقبلها وقال:

- عفوا أيتها الملكة المقدسة "دنهش" لم أقصد هذا بالطبع، اتفقت مع  
 الملك "مُرة الأحمرة" أن أطلب مبارزة الملك "ساران" وأقتله وبذلك نكون حققنا  
 ما نصبوا إليه.

لم يعجبها ما قاله ابنها فصرخت في وجهه قائلة:

- ماذا تقول! ألا تعرف من هو "ساران"؟ ألم يقتل "ساروخ"  
 أمام عينيك؟ أين أنت يا "ميمون" من قوة وشجاعة "ساروخ"!

ثم أردفت فائلة وهى فى شدة غضبها:

- ولماذا لا يخرج "مُرة" لتلك المبارزة، لماذا يا بنى تعرض حياتك للخطر، لم يبق لى إلا أنت بعد موت العزيزة "سيلين" التى قُتلت أيضا بسبب المعلنون "ساران".

حاول الملك "ميمون" تهدئة والدته فقال لها:

- لا تخافى يا أمى، فأنا أعرف كيف أقتل "ساران" وإن كان هو أقوى وأشجع منى كما تقولين، فسأقتله بالحيلة كما تعملنا منك أيتها الملك المقدسة، فلا تخافى ولا تحزنى وقرنى عينا.

لم تجد الداهية "نائلة أم الشعور المائلة" مفرا من موافقة ابنها على ما قاله، فاحتضنته وأخذت تمسح على رأسه وتقول:

- أتمنى لك النصر يا بنى العزيز.

ابتسم لها "ميمون"، فوجهت له بعض التوجيهات والنصائح يلتزم بها فى قتاله مع الملك "ساران"، فانحنى وقبل يديها واستأذن منها وخرج إلى حيث ينتظره الجيش خارج أسوار المدينة.

\*\*\*\*\*

دقت ساعة الحسم وها هو جيش "أقناموس" نصب الخيام بالقرب من معسكر الأعداء، وفي الوقت الذى كان فيه الجيش يستعد، جلس "ساران" فى خيمته يرتب لخطة الهجوم فقال، وهوشير لخريطة أمامه:

- سأكون فى قلب الجيش، ويكون "سواتن" فى اليمين، والوزير الحكيم "يوشهور" فى اليسرة، أما الملك "سارى" كما اتفقنا سيكون تحت الأعلام والرايات حتى يكون بعيداً عن مواطن الخطر.

وهم على هذه الحالة أقبل الحارس واستأذن فى الدخول فأذن له، فدخل الخيمة وقدم التحية للملك الذى بادره متسائلاً:

- ماذا وراك أيها الحارس؟

فقال الحارس وهو ينحنى أمام الملك:

- أتى رسول من عند الأعداء يا سيدى؟

فقال الملك "ساران":

- وأين الرسالة؟

- ليست رسالة مكتوبة يا سيدى، هو يريد المشول بين يديك

استغرب الملك مما سمعه وقال للحارس، خذ منه السيف وادخله، انحنى الحارس للملك وخرج وبعد لحظات عاد وهو يصطحب رسول الأعداء وظهر من هيئة الرجل أنه كبير السن تظهر عليه علامات الهيبة والوقار، فقدم التحية للملك فقال له الملك بعد أن رد تحيته:

- ما الرسالة التى تحملها لنا أيها الرجل؟

ابتسم الرجل بدهاء وقال:

- أريد أولاً من الملك المعظم "ساران" أنى يعطينى عهد الأمان
- وبعد أن تعهد له الملك "ساران" بالأمان ، قال الرجل مخاطباً الملك:
- الحرب لا تجر إلا الخراب يا سيدي الملك، وقد نصحت الملك الأعظم "ميمون" أبا نوح "بأن من الصواب حقن الدماء والاكتفاء على مبارزة فارسين فوافق على نصيحتي، وهو يقول لكم:
- أنه يفتدى جيشه بدمه ويطلب منكم أن يفعل الملك "ساران" مثله ويفتدى جيشه بروحه.

نظر الملك "ساران" لمن حوله، ثم التفت للرسول وقال:

- وماذا بعد؟
- أكمل رسول العدو كلامه فقال:
- أن قتلت الملك "ميمون" كان لك ما تريد، وأن هو قتلك فينهى الجيش الحصار، ويعود من حيث أتى.

أسرع "سارى" بالرد وقال لأخيه "ساران":

- هذه خطة ماكرة يا أخى فلا توافق عليها.
- فطلب "ساران" من أخيه أن ينتظر، ثم قال موجهًا كلامه للرسول:
- عد إلى من أرسلك وقل له لست أحرص على دماء جيشك من الملك "ساران" لذلك فقد وافقناه على طلبه وتكون المبارزة في صباح الغد.
- ففرح الرسول بموافقة الملك، وقدم التحية له وخرج عائداً إلى قومه.

أما الملك فوجه كلامه للحضور وقال:

- الملك "ميمون" يريد أن يقلب على الجيش و يدعى أنه يريد حقن الدماء  
فإن رفضت ظهرت أمام الجميع أنى لا أحب السلام الذى فطر عليه بنو جنسنا،  
عكس هؤلاء القوم الذين فطروا على حب الدماء.

قال الحكيم "يوشهور":

- معك كل الحق يا مولاي الملك، فهؤلاء القوم لا عهد ولا أمان لهم منذ  
أبانا الكبير عندما خدعه أبيهم، حتى عندما قتل الأخ الأول أخيه الأول كانوا هم  
السبب أيضا.

قال الملك "سارى":

- لكنى أخاف عليك يا أخى، فقتلك هو غاية ما يتمناه هؤلاء وستكسر  
شوكتنا إن حدث لك مكروه.

ابتسم الملك "ساران" وقال لأخيه:

- وأين أنت أيها الملك الصغير وقد عقدنا العزم بأنك ستكون حامل لواء  
جنسنا من بعدى فلا تحزن ولا تبتئس بما يفعلون، هل لنا من النصيب مفر نلجأ  
إليه.

ثم أمر الملك الجميع بالخلود إلى الراحة حتى صباح الغد، حيث سيكون  
النزال بينه وبين ملك بنى دهمان الملك "ميمون أبانوخ".

توجه الجميع إلى الخيام طلباً للراحة بعد مشقة السفر، فإذا بـ "سواتن" عندما  
دخل خيمته قد لمح خيال يقف خلفها ويهمس باسمه، فانصت للصوت جيدا

فعرف أنه صوت الأميرة "سماييدس" فخرج مسرعاً قبل أن ينتبه أحد وجذبها من يدها وعاد إلى الخيمة وقال لها:

- أَلن تكفى عن أفعال الصغار هذه، كيف تأتي في هذه الساعة وقد سمعتِ بأذنيك ما قاله "ساران" عنى!

ضحكت بصوت مرتفع ثم وضعت يدها على فمها حتى لا يسمعها أحد وقالت:

- هل تخاف على نفسك أيها الفارس الشجاع أم تخاف على؟

عقد "سواتن" حاجبيه، وقال لها:

- بالطبع أخاف عليك، وأخاف أن يرانا "ساران" نتحدث سوياً، فقد شعرت بكرهه لى.

أسرعت "سماييدس" بالرد فقالت:

- أنت مخطيء في إحساسك هذا، فقلب أخى "ساران" لا يعرف الكره لكنه يخاف على جداء، لذلك يغضب إن خالفت أوامره ، لأن ذلك يعرضنى للخطر.

جلس "سواتن" على فراشه وجعل ظهره لها وقال بأسى:

- أنت صغيرة ولا تعرفى شيئاً، فقد زرع عمى الملك الراحل "برقان" في نفس "ساران" الكره من ناحيتى وافهمه بأنى أنتظر أى فرصة للوثوب على كرسى المملكة.

قالت "سماييدس" بدلال:

-أولاً أنا لستُ صغيرة كما تدعى، ثانياً أنت ابن عمى وأقرب الناس إلى.....

ثم صمتت بعدما كسا الحياء محياها، فتحاشت النظر في عينيه، فاقترب منها ورفع رأسها بيده حتى تلاقت العيون، وقال لها:

- لما لم تكمل كلامك، أنا أقرب الناس إلى ماذا؟

ازداد احمرار وجهها الطفولي وشعرت بدقات قلبها تدق كطبول الحرب ولسانها يريد أن ينطق فشجعه قلبها وعقلها، فقالت بعد حين:

- ألم تعرف بعد يا "سواتن" أنك أقرب الناس إلى قلبي!

انتشى قلبه بكلماتها وأراد أن يحتضنها، لكنه أحس بحركة حول الخيمة فهب واقفًا، فضحكت من تصرفه، وأسرعت نحو الخارج وقالت هي مازالت تضحك:

- حسنًا يا قلبي، لقد عشقت فارسًا شجاعًا.

أخذت قلبه معها قبل أن تخرج وتركته وحيدًا، فاستلقى على فراشه وأخذ يستعيد كلامها ويتسمم، وقد شعر بأنها امتلكت عليه كل أحاسيسه ومشاعره، ثم تجهم وجهه فجأة عندما تذكر اتفاقه مع تلك الملعونة "دنهش" وعرف أنه أصبح الآن عدوًا لها بعد أخلف وعده معها ولم يخرج إلى الغابة ومعه ملابس بعض جنود الجيش كما اتفقا.

فاعتدل على جنبه واستعد للنوم وهو يردد:

- فلتذهب "دنهش" إلى الجحيم، ليس لي الآن إلا "سمايدس"

ثم راح في نوم عميق وعلى وجهه ابتسامة عاشق وجد الحب أخيرا ولن يتنازل عنه.

كان يجلس على كرسى كبير مزين بالورود والرياحيين، وحوله الخدم والجواري تنظر له وهم في غاية الفرح ومن بعيد أتت محفة محمولة على أكتاف الرجال وهي تجلس فوقها في أبهى زيتها تبتسم له، فوقف عندما لمحها ونزل من على كرسيه وسار ناحيتها ركع الرجال بالمحفة فناولته يدها فأمسك بها وأخذها واتجه ناحية الكرسى مرة أخرى وأجلسها بجواره وهم يتبادلان النظرات والإبتسامات والجواري أمامها يغنون ويرقصون والكل كان في سعادة وبهتفان باسمها واسمها.

وعلى حين غفلة....

نظرت له، ففزعت من منظره وصرخت وهي تضع يدها على فمها وتقول له:

- ما هذا يا "سواتن"؛ إن جسدك يقطر دمًا!

أفزعه كلامها، فنظر إلى جسده فوجد الدماء تتساقط منه كشلال هادر فأخذ في تحسس جسده فوقعت عينه نحو الأسفل فوجد الدماء ملأت الساحة كأنها نهر يجري، والجميع من حوله يتأسفون على منظره.

انفض من نومه، وهو يتنفس بصعوبة وأدرك أنه كان يحلم.

\*\*\*\*\*

وفي الصباح كان الموعد المتفق عليه بين الملك "ساران" ملك مملكة "أقناموس" والملك "ميمون أبا نوخ" ملك مملكة "بنى دهمان" وكبير عائلة الميامين.

اصطف الجيشان وشكل حلقة كبيرة ستكون مكاناً للمبارزة، وخرج من وسط جيش بنى دهمان فارس مثلم وسار حتى أصبح في وسط الحلقة وصاح بأعلى صوته وهو يكشف عن وجهه:

- من يعرف قوتي وقد استسلم للقضاء فقد نجى منى، ومن لم يقر بشجاعتى وقوتي فسوف يعلم ماذا سيجره عناده عليه عندما فكر فى مواجهتى فى النزال.

فأخذ جيشه يهته باسمه وهم يصيحون ويصرخون، أما "ساران" فخرج من وسط جيشه وهو يمتطى فرساً بلون القمر، يتهدى فى مشيته حتى أصبح فى مقدمة جيش فالتفت ناحية "ميمون" وقال:

- اليوم سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، فلقد عاثوا فساداً فى الأرض وخربوها وأغوا بنى جنسنا وبات كل همهم أراقة الدماء. صاح "ميمون أبا نوخ" وقال:

- وما أغونياكم ولكن كتم فى ضلال ميين. فتقدم نحوه "ساران" بفرسه فى شجاعة وحمل عليه، فقابله "ميمون" بشجاعة وظل الاثنان يصطدمان كأنها جبالان، فكانا يتقاربان ويتباعدان وظلا فى كر وفر، والجيشان كما هما ينظران ويتظران الفائز من هذا النزال العنيف.

توقف "ميمون أبان نوح" عن القتال كأنه يلتقط أنفاسه من شدة ما لاقى من قوة وبأس الملك "ساران" وقال بصوت عال:

- رفض أبانا الكبير السجود لأبيكم، وقد تعملنا الدرس ولن نسجد لكم أبداً أيها العبيد، فكيف نسجد لكم وجنسنا أفضل من جنسكم.  
رد عليه الملك "ساران":

- رفض أبوكم السجود لأنه من العصاة وأنتم كذلك من المطرودين من الرحمة، والحرب بيننا وبينكم مستمرة لأنكم عدو لنا، وإن كنا عبيد كما تقول فنحن عبيد الكبير اختصنا بجزء من الرحمة و اختصنا بالخلق والخلق، لكنكم أشباه القردة.

أثارت كلمات "ساران" الغضب في نفس "ميمون" الذي استغل انشغال "ساران" في الكلام ورماه بحربة على حين غرة، فانتبه "ساران" بسرعة ومال برأسه إلى الخلف حتى يتفادى الحربة لكنها أصابته في صدره فصاح بصوت مرتفع من شدة الألم وكاد أن يسقط من على فرسه، لكن أسرع نحوه أخوه "سارى" والوزير و"سواتن" الذين كانوا في مقدمة الجيش يشهدون النزال، فرجعوا به إلى خيمته.

فالتحم الجيشان بعدما حدث واشتد القتال بينهم، وكان "سواتن" الذي أخذ مكان الملك "ساران" في القلب يقاتل بكل شجاعة وقوة وبالقرب منه الوزير يزود عن جيشه، بينما جلس "سارى" بجوار أخيه المصاب.

مالت الشمس إلى الاصفار معلنة عن ذهابها لنامها اليومى، فأعلنت الهدنة حتى اليوم التالى، فعاد "سواتن" إلى الخيمة ليطمئن على حياة الملك "ساران"

وكان معه الوزير "يوشهور" فوجدا الملك "ساران" مستلقى على ظهره يتفقده الطبيب الذى صحب الجيش وفى ركن من الجيش تجلس "ساريدس" تضع رأسها بين ركبتيها وهى تبكى وتتحبب بينا بدا على "سارى" الذهول مما حدث. أراد الوزير الوقوف على حالة "ساران" وعندما سأل فقال الطبيب:

- سيدى الوزير الحكيم، حالة الملك المعظم "ساران" ليست على ما يرام، فقد اتضح لنا من الكشف أن الحربة كانت مسمومة وأخشى أن تسبب مضاعفات للملك لا نقدر على مواجهتها.

اتجه "سارى" نحوه الطبيب، وجذبه من ذراعه وقال له معنفاً:

- لا بد أن تجد الدواء الذى يشفى الملك وإلا قطعت رأسك

حاول الوزير تهدئة الملك "سارى" فقال له:

- لا تقلق يا مولاي ، فالملك "ساران" لديه من القوة أن يتغلب على ما أصابه.

تدخل الطبيب فى الحوار وقال:

- لقد أعطيت للملك بعض الترياق الذى أتمنى أن يوقف انتشار السم فى

الجسم، فطمئن يا مولاي الملك.

انصرف الطبيب ولحق به الوزير عند باب الخيمة، وهناك تنحى به جانباً وقال له:

- شعرت من حديثك أيها الطبيب أنك تخفى شيئاً ما.

فقال له الطبيب وهو يمسك بلحيته البيضاء:

- لن أخدعك سيدى الوزير الحكيم، ولكن من الواضح أن جلالة الملك

تعرض لسم من نوعاً خاص أخشى أن تكون له عواقب وخيمة.

فانزعج الوزير من كلام الطبيب وقال مستفسراً:

- عن أى عواقب تتحدث أيها الطبيب؟!

فقال له الطبيب شارحاً الحالة:

- أن لم يستطع الترياق وقف نشاط هذا السم اللعين فأن الملك سيتعرض لنوبات من الهياج الشديد وبعض الأعراض الأخرى مثل فقد الشهية تماماً مما يسبب هزال شديد فى الجسم وقد يؤدي للوفاة.

أمسك الوزير بيد الطبيب وقال له محذراً:

- تكتم على الخبر ولا تحدث به أحد حتى نرى ما تخفيه الأيام.

انحنى الطبيب بالتحية للوزير واستأذنه فى الانصراف، فعاد الوزير إلى الخيمة التى يرقد بها الملك "ساران" مصاباً وقد تجمع حوله أخوته "سارى" و"ساريدس" ومعهما ابن عمها الأمير "سواتن" الذى حزن بشدة لمنظر حبيبته "ساريدس" وهى تجلس عند قدم أخيها وقد احمرت عينيها من كثرة الدموع المتساقطة.

وقف الملك "سارى" ونظر للوزير وطلب منه أن يلحقه بالخارج لأمر هام، فأشار الوزير برأسه موافقاً ولحق به، سارا سويا حتى بعد عن الخيمة بمسافة مناسبة، ثم توقف الملك "سارى" واستدار ناحية الوزير وقال له:

- والآن، أيها الوزير الحكيم والأب البار، لابد أن أكمل الحرب حتى يشفى أخى من علته.

قال الوزير متسائلاً:

- ماذا تقصد يا مولاي؟



قال "سارى" وقد بدا على وجه الغضب والتصميم:

- سأقود الجيش وأبارز "ميمون أبا نوح" وأقتله وأخذ بثأر أخى  
أسرع الوزير بالقول:

- مستحيل!!، يا بنى أنت ما زلت صغيرًا ولن تقدر على الملعون  
"ميمون" وكما تعرف أنك أمل بنى جنسنا جميعا، ولن نحتمل أن تصاب كما  
أصيب الملك "ساران".

أخذ "سارى" يتطلع للفضاء من حوله، ثم قال للوزير:

- وماذا يستفيد جنسنا من ملك جبان، يخاف أن يواجه الأعداء ويفر من  
أمامهم.

- ولكن يا مولاي.....

قطع الملك "سارى" كلام الوزير وقال له:

- هذا قرارى النهائى ولا رجعة فيه، سأخذ بثأر أخى أو أقتل دونه

لم يجد الوزير كلام يرد به على قرار الملك "سارى" ولم يملك إلا أن يمثل  
لقراره، لكنه نصح الملك بألا يأمن غدر "أبا نوح" كما فعل مع  
الملك "ساران" وأصابه على حين غرة، فطمأنه "سارى" أنه اكتسب من الحياة ما  
يجعله قادرًا على استخدام الحيلة وصد أى غدر أو خديعة، وفي نهاية حديثهما  
طلب "سارى" من الوزير بأن يطلع أحد على قراره خصوصًا الأميرة  
"ساريدس".

عاد "سارى" إلى خيمة أخيه، وعندما دخلها فإذا به يرى "ساريدس" تبكى بحرارة و"سواتن" يحتضنها ويربت على كتفها، وما أن رأى هذا المنظر حتى صاح قائلاً:

- ساء!

اضطربت بشدة عندما سمعت صياح أخيها ومناداته لها كما تعود منذ كانا صغاراً، فانفلتت من بين أحضان "سواتن" وتراجعت للخلف وهى تمسح دموعها بيدها وقالت:

- ماذا هناك يا "سارى"، ماذا حدث؟

فتغاضى "سارى" عن سؤالها ونظر إلى "سواتن" وقال له:

- اذهب إلى خيتمك يا "سواتن"، فغدا سيكون يوماً صعباً علينا

طأطأ "سواتن" رأسه كأنه يتحاشى النظر فى وجه "سارى" خجلاً من الوضع الذى رآه فيه حين كانت "ساريدس" بين أحضانه حتى وأن كانت تبكى ويواسيها.

ما إن خرج "سواتن" حتى طلب "سارى" من أخته أن تذهب إلى خيتمها فرفضت وصمتت أن تظل بجوار "ساران"، فنزل عند رغبتها وتركها وذهب ليرتاح قليلاً.

\*\*\*\*\*

أضاءت الشموع جنبات القلعة، وعمت الأفراح المكان، وامتلأت الكؤوس بالخمور من كل نوع احتفالاً بمقتل الملك "ساران" كما ظن الملك "ميمون أبا نوخ" وأمه الملكة "دنهش" فأقاموا الأفراح وسهروا حتى الصباح بين رقص وغناء وشرب ومضاجعة الجوارى والغواني.

وقفت الماكرة "دنهش" على رأس المائدة وقالت وهى تحمل كأس الخمر فى يدها:

- الآن نحتفل بقتل الملك "ساران" اللعين، وغدا سنشرب نخب انتصارنا على العدو وستكون "ساريدس" بيننا بجوار زوجها التى اخترته لها من بنى جنسنا، حتى نستعيد قوتنا المسلوبة.

قال الملك "ميمون أبا نوخ" وهو يضحك ويترنح من السكر:

- ومن يكون هذا المحظوظ يا أمى، الذى سيكون على يديه فض بكاره تلك الملعونه التى جلبت العار على بنى جنسنا.

تبادلت العجوز الضحكات مع ابنها وقالت:

- وهل يوجد غيرك أيها الملك المعظم من يستطيع اخضاع "ساريدس" وإعادة نسلها إلى بنى جنسنا مرة أخرى.

لم يتمالك "ميمون أبا نوخ" نفسه من الضحك وقال:

- لعلى أرى الآن جيش العدو منكس الرؤوس وهم يجمعون أشياءهم استعداداً للرحيل والعودة إلى ديارهم.

أخذت "دنهش" تجوب القاعة وتصيح قائلة:

- لم ندخل معهم في حرب إلا وانتصرنا عليهم، فقد انتصر عليهم أبونا الأكبر وأخرج أباهم من الرحمة، وانتصرنا عليهم يوم أن قتل الأخ أخوه، ومنتصر أيضا عليهم كلما أوعزنا لهم القتل والخيانة.
- ثم تذكرت شيئا آخر فقالت وقد تجهم وجهها الخبيث:
- لن أدع "سواتن" يفوز بها، وكما خدعنى سأقتله بيدي.
- لم تسمع رد من ابنها "ميمون" فالتفت تنظر إليه فوجدت أن الشراب هزمه فراح يغط في نومًا عميق، فاتجهت نحوه وهى تضحك وأمسكته من شعره ورفعت رأسه ثم تركتها فسقط مرة أخرى على المائدة، فاتجهت إلى الداخل وهى مازالت تضحك بخبث.
- في الصباح كان الملك "ميمون أبا نوخ" ما زال نائما على المائدة كما تركته أمه منذ سويحات قليلة، وإذا بحارس يأتى مسرعا وينادى عليه لكى يستيقظ، ففتح الملك عينيه بصعوبة ورفع رأسه والتفت إلى الحارس وقال لها بعصبية:
- أيها الغبى، ألم تر أنى نائمٌ، لماذا ترفع صوتك هكذا.
- طأطأ الحارس رأسه وهو يقول:
- عذرًا يا مولاي المعظم، جئت أخبرك بأن جيش العدو.....
- فقاطعه "ميمون" وهو ما زال بين نوم و يقظة ويفرك فى عينيه:
- أعلم يا غبى أن جيش العدو يستعد للرحيل.

قال الحارس:

- لا يا مولاي المعظم، فجيش العدو في أرض المعركة وهناك فارس يقف في المقدمة ينادى عليك ويطلب منك المبارزة.

انتفض الملك "ميمون" من مكانه و هب واقفا وصاح في الحارس:

- ماذا تقول أيها الغبي، متى حدث هذا؟

- منذ قليل يا مولاي المعظم.

جاءت الملك المقدسة "دنهش" مسرعة على صوت صياح ابنها ودخلت القاعة

انحنى الحارس تحية لها، فنظرت لابنها

وقالت:

- ماذا هناك يا "ميمون"؟

فأخذ الملك "ميمون" يشير ناحية الحارس وهو يقول لها:

- هذا الغبي يقول أن هناك فارسًا في جيش العدو يطلب مبارزتي

فجلست "دنهش" على كرسي و اسندت يديها على المائدة وقالت:

- لا بد أنه الأخرق "سواتن" يريد أن يظهر البطولة أمام حبيبته

الجميلة "ساريدس"، فقد علمت أنه مولع بحبها.

تدخل الحارس في الحوار وقال:

- عذرًا أيتها الملكة المقدسة، ليس هو الأمير "سواتن" فقد رأيته عندما

كان هنا وأعرفه جيدًا، لكن هذا الفارس هو الملك الصغير "سارى" وقد سمعت

الجنود يهتفون باسمه.

- استفاق الملك "ميمون أبا نوح" فوقف وسار إلى حيث تجلس أمه وقال وهو يعدل من هيئته الرثة من أثر سهرة الأمس:
- ومن يكون هذا "السارى"؟
- قالت العجوز الماكرة:
- إنه أيضا ابن "ميرة" شقيق المعلونة "ساريدس".
- فقال "ميمون" بغیظ وهو يضرب المائدة بيده:
- تبا لـ "ميرة" وما جلبته لنا من العار، حين عشقت "برقان" وأسلمته نفسها عن طيب خاطر.
- قالت له أمه فى غضب:
- دعك من هذا الهراء الآن، واخرج لهذا الطفل واقتله، حتى يرحلوا صاح الملك "ميمون" قائلاً لأمه:
- ما هذا الكلام يا أمى، أخرج الملك "ميمون أبا نوح" كبير عائلة الميامين لمبارزة طفل أخرق، سأرسل له جندياً من عندى يقتله وينتهى الموضوع.
- ثم أخذ سيفه ولبس خوذته وخرج مسرعاً وهو فى قمة الغضب والغیظ وركب فرسه وما أن خرج من أسوار القلعة حتى سمع الجنود تهتف باسم "سارى" ويصُره عن جنبٍ وهو يبتاهى بفرسه وسط الجنود.
- فصاح "ميمون" وهو يتخرق صفوف جيشه نحو المقدمة:
- من أنت أيها الصغير ألا تخاف مبارزة الملوك الكبار، الأفضل لك أيها الأحق أن تغرب بعيداً عن وجهى وإلا أخرجت لك أصغر جندى فى جيشى يقتلك كما قتلت أخاك بالأمس.



فقال له "سارى" ردًا على كلامه:

- الملك لا يبارزه إلا ملك يا "ميمون"، وإن كنت تخاف مبارزتى فاعترف أمام الجميع حتى أصفح عنك.

اغتاظ الملك "ميمون" من كلام "سارى"، فجذب حربة من أحد جنوده ورمها في اتجاه "سارى" وهو يصيح ويقول:

- كيف أخاف منك أيها الغبى الصغير، بالأمس قتلت من هو أكبر وأشجع منك، واليوم يأتى فسل مثلك يوجه لى مثل هذا الكلام.

تذكر "سارى" حالة أخيه المصاب، فقال بحزن بدا على ملامحه:

- أنت لم تهزم الملك "ساران" إلا بالعدو والخيانة، ولن أسمح لك بتكرارها معى، تقدم لمبارزتى إن كنت تقدر على ذلك.

أثارت كلمات "سارى" الغيظ والحمية فى نفس الملك "ميمون أبانوخ" فتقدم نحوه مسرعًا وهو ينعته ويقول:

- ستندم على كلامك هذا أيها الحقير.

فاستقبله "سارى" بمهارة متفاديا ضربة سيفه، ثم اعتدل بفرسه وأصبحا فى المواجهة وظل كلاهما يضرب الأخر بسيفه، وكان "سارى" أكثر تحكّمًا فى فرسه فراح يقفز به يمينًا ويسارًا والجنود تصيح وتحمسه، حتى ظهر التعب والإرهاق على وجه "ميمون" نتيجة افراطه فى السهر وشرب الخمر بالأمس، ف شعر "سارى" بحالته، فتراجع بفرسه للخلف كأنه يفر من ميدان المعركة، ثم ابتسم لجيشه وفجأة استدار ناحية "ميمون" وهجم عليه وضره ضربة أطاحت برأسه وأسقطته من فوق فرسه، وما أن رأى جيش "ميمون" ما وقع للمكهم حتى

صاحوا جميعاً وحملوا على جيش "سارى" واشتدت المعركة بينهم واستمر الضرب والطعن وتخضبت الأرض بالدماء.

وكان الوزير الحكيم "يوشهور" يحمس الجنود ويصيح قائلاً:

- خذوا بثأر الملك "برقان" والملك "ساران"..... تقدموا للأمام و"سواتن" وسط الجنود يجول بجواده فيضرب يميناً ويساراً، وعندما زاد عدد القتلى في جيش العدو لم يجدوا أمامهم إلا الفرار إلى داخل القلعة وهم يجرون أذيال الهزيمة ويحملون معهم قائدهم القتييل الملك "ميمون أبانوخ"، ثم أغلقوا الباب خلفهم.

أما جيش "سارى" فظلوا يهتفون باسمه ويهتثون بعضهم بالانتصار على جيش العدو، لكن "سارى" لم يهتم بالنصر وأسرع إلى خيمة أخيه لكى يطمئن عليه فوجده ما زال غائباً عن الوعي وبجواره الطبيب وبعض الحرس، وكانت "ساريدس" تجلس في ركن الخيمة وما أن رأت "سارى" أسرع نحوه وهى تبكى من الفرحة لأنه أخذ بثأر أخيها وقتل المعلون "ميمون أبانوخ".

\*\*\*\*\*

- أقسم أنى سوف أنتقم منهم وأحرق قلوبهم جميعًا.  
 قالتها العجوز الماكرة "دنهش" عندما وصلها خبر مقتل ابنها "ميمون"  
 عندها تحولت لشخص آخر، بدا وجهها خيف، فاحمرت عينيها كأنها جمرتان من  
 نار، وانتخفت شفتاها، وكبرت أسنانها، وتبعثر شعرها التي كانت دائما تهتم به،  
 فظهرت كأن عمرها زاد مائة عام.  
 وظلت تحطم بيدها أى شىء فى طريقها وهى تجوب القاعة الكبيرة وتصرخ  
 وتلطم وجهها، ثم تصرخ وتشد فى شعرها بقوة، ثم يتتابها لحظات من الجنون  
 فتضحكت وتقول لـ "شاروسة" التي كانت تواسيها:  
 - ابنى قتل ! لا، لا لم يقتل "ميمون" لم يقتل، "ميمون" سيعود وسأزوجه  
 من "سماريدس" ويثأر من بنى جنسهم جميعا، لن يتنصر الإنسان علينا مهما فعل.  
 و"شاروسة" تربت على كتفها، وتقول والدموع فى عينيها:  
 - هونى عليك يا أيتها الملكة المقدسة، سيأتى اليوم الذى ننتقم منهم فيه  
 وتعود إلينا قوتنا وسطوتنا عليهم.  
 تصرخ "دنهش" وتقول:  
 - بأى شىء أهون على نفسى، ونحن تلقينا أكبرضربة منذ نجونا من  
 الأسر الذى فرضه علينا سليمان.  
 ثم أتجهت ناحية "شاروسة" وتصنعت التماسك والقوة وقالت:  
 - لن نصبر عليهم مرة أخرى، أريد أن يكون هذا المعلون المسمى  
 "سارى" تحت قبضتى فأقتله بيدي وألوك قلبه بأسناني، وأشرب من دماء  
 الملعونة "سماريدس".

كانت توجه كلامها للحضور، وتشير للحارس بتنفيذ أوامرها، لكنه قال لها وهو يظأط رأسه خجلاً:

- ولكن سيدتى الملكة المقدسة، هناك شىء آخر أود إخبارك به نظرت له بحنق وغيظ وأشاحت فى وجهه وقالت:

- ليس هناك أهم من الأخذ بثأر الملك الأعظم "ميمون أبان نوح" شعرت "شاروسة" بأن هناك أمر جليل يريد الحارس التحدث فيه، فقالت:

- ما الأمر أيها الحارس، تكلم.

فتعلم الحارس كأن الكلمات تأبى أن تخرج من فمه، لكنه تمالك نفسه وقال بصوت متقطع:

- لقد أرسل لنا الملك "سارى" رسالة على رأس سهم سقط خلف الأسوار يطلب منا أن نخلى القلعة وإلا سيدخلها عنوة ويقتل كل من فيها، وقد سمح لنا بيومين فقط حتى نخلى القلعة.

ما أن سمعت "دنهش" ما قاله الحارس، حتى انتابتها حالة من الهياج الشديد فصارت تصرخ وتضرب وتحطم وتقول:

- من هذا "السارى" حتى يفرض شروطه علينا!

- عفوا يا سيدتى، كان هذا الإتفاق مع الملك المعظم "ميمون"

أصابها التعب، فألقت بجسدها النحيل على أقرب كرسى لها، وهى تتنفس بصعوبة، فانحنى برأسها على المائدة وهى تضع يدها فوقها، فقالت "شاروسة":

- وما الحل الآن أيها الحارس؟

- أرى يا سيدتى أن نخلى لهم القلعة، ونلجأ إلى بنى الأحمر، وأظن أن الملك "مُرة الأحمر" سيرحب باستضافتنا، فهو يكن كل تقدير واحترام للملكة المقدسة، كما أن ابنته الأميرة "ميرة" هنا فى استضافتنا منذ شهور.
- هبت "دنهش" واقفة عندما ذكر الحارس اسم الأميرة "ميرة" وكأنها نسيت أنها ادخرتها ليوم كهذا، فصرخت فى وجه الحارس قائلة:
- اسرع وجئنى بالأميرة "ميرة" حالا.
- انحنى الحارس لتحياتها ومضى لتنفيذ الأمر، وأصاب "شاروسة" الذهول من طلب العجوز فقالت لها:
- لماذا أرسلت أيتها الملكة الأم فى طلب "ميرة"؟
- تعجبت الملكة من سؤال "شاروسة" فمطت شفيتها وهى تقول لها:
- أليست "ميرة" والدة الملعون "سارى" وأخته "ساريدس" ، إذن ستكون هى حيلتنا القادمة للقضاء عليهم جميعاً.

\*\*\*\*\*

كان يغط في سبات عميق بعد المجهود الذى بذله فى الأيام الماضية يتقلب على فراش داخل خيمة يقف الحراس على مدخلها.

أصوات ارتطام وتحطيم وتكسير وصراخ كانت كفيلة بإيقاظه مفزوعاً فنادى على الحارس، الذى أسرع بدخول الخيمة وانحنى أمامه، فقال له الملك:

- ما تلك الأصوات التى سمعتها منذ لحظات.

قال الحارس:

- لا أعرف يا جلالة الملك، لكنها صادرة من ناحية الخيمة التى يرقد بها جلالة الملك "ساران".

ما أن عرف مصدر الأصوات، هب من نومه يجر حذاءه فى قدمه وجرى مسرعاً نحو الخيمة التى يرقد فيها الملك "ساران"، وما أن وصلها كان صوت الصراخ والتحطيم مازال موجوداً، وما أن دخل الخيمة حتى وقع بصره على منظر غريب فقد رأى أخيه الملك "ساران" يجثو على ركبتيه ويضرب ويحطم كل ما يقابله داخل الخيمة و"ساريدس" تحاول تهدئته والإمساك به حتى يتناول الدواء من يد الطبيب وكلاهما فشلا فى السيطرة على الحالة التى انتابت الملك "ساران"، فجرى نحوه وأمسكه به من ذراعيه جيداً فهبطت حركة "ساران" وتلاحقت أنفاسه وأثر عليه التعب فجعله يخنق للهدوء، واستطاع الطبيب أن يسقيه الدواء.

نظر "سارى" للطبيب وقال وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة:

- ماذا حدث أيها الطبيب، ما هذه الحالة التى ظهرت على الملك.

- طأطأ الطبيب رأسه إلى أسفل وقال:
- عذرا يا مولاي، لكن السم الذى أصابه جلالة الملك "ساران" نوع نادر وغريب، أحيانا يسبب حالة من الصرع والهياج.
  - أثناء حديث "سارى" مع الطبيب، دخل الوزير "يوشهور" وخلفه "سواتن" وبدأ عليهما أنها أتيا مسرعين فلم يبدلا ملابس النوم، فقال الوزير:
  - ماذا حدث يا جلالة الملك.
  - نظر له الملك "سارى" وهو يشير نحو أخيه، الدموع تترقق في عينيه، يقول:
  - أصيب الملك "ساران" بحالة من الصرع والهياج الشديد ولم يهدئ إلا بعد أن سقىناه الدواء بصعوبة.
  - نظر الوزير للملك المريض فوجد صدره يعلو ويهبط وتتلاحق أنفاسه وعينه مفتوحة ومثبتة على سقف الخيمة، فقال للطبيب:
  - إن الملك مستيقظ وينظر لأعلى.
  - قال الطبيب:
  - نعم يا سيدى، لكنه لا يعى ما يدور حوله، فقد خدره الدواء بعض الشيء لكن من الممكن أن تعود له نفس الحالة مرة أخرى.
  - فقال "ساريدس" والدموع تسح من عينيهما سح غروب:
  - إلى متى سيظل أخى على تلك الحالة، إنه لم يتناول أى طعام منذ أصيب حتى تبدل حالة وأصابه الهزال.

أجابه الطبيب قائلاً:

- مولاتي الأميرة، للأسف جربت أكثر من ترياق وأكثر من تركيبة للدواء لكن هذا السم شديد المفعول، ويتشرب في الجسم ببطء، وله العديد من الأعراض الخطيرة، فأرجو أن نكون دائماً هنا ولا نترك الملك يصارع الأعراض بمفرده، لعلنا نستطيع التوصل للدواء الشافي.

اقترب الملك "سارى" من أخيه، وأخذ ينظر له بشقفة ويقول:

- من يصدق أن هذا الغائب عن الوعي هو نفسه الملك "ساران" الذى صارع وحوش الإنس وصرعهم، وصارع وحوش الجن وهزمهم. لا بد أن كل هذا كله كان من تدبير الماكرة "دنهش"، أقسم أن أعلقها من شعورها كما قال أخى.

بكت "سماريدس" عندما سمعت هذا الكلام من أخيها، واقتربت من الملك "ساران" وجلست بجواره ودققت النظر فيه فوجدتها ما زال شاخص البصر للساء، فانحنت عليه وهى مازالت تبكى وتنوح، وهى على تلك الحالة شعرت بأنه يتحرك ويريد أن ينهض من نومه، فرفعت رأسها عن صدره، فانتبه الجميع ونظروا له فإذا به يعتدل جالساً، وأخذ يدور ببصره فى جميع أرجاء الخيمة، وينظر لكل منهم نظرة طويلة كأنه لا يعرفهم بل بدا من ملامحه أنه يراها لأول مرة فى حياته.

فأخذت "سماريدس" تربت على كتفه فالتفت لها ولم يتحدث، فاقترب منه "سارى" وقال له بدفء:

- كيف حالك يا أخى؟

ظل الملك "ساران" ينظر إليهم وهو في حالة من البلاهة واللامبالاة، ثم قال بصوت مجهد ولسان متعلثم:

- من أنتم؟ ومن أتى بى إلى هنا؟

تعجب الجميع من حالة الملك وأسئلته، فازداد بكاء "ساريدس" فأخذت تربت عليه وتقول وهى تشير نحو الجميع:

- نحن إخوتك ورعاياك أيها الملك الشجاع "ساران".

فأراد الملك "ساران" النهوض فساعده أخته وأخيه على الوقوف، فأخذ يدور فى الخيمة، والتفت لهم فجأة وصرخ فيهم وقال:

- من أنتم؟ أنا لا أعرفكم.... أنتم الأعداء وتريدون قتلى، اغربوا عن وجهى، اتركونى.

ثم انتابته حالة من الهياج الشديد فأخذ يضرب ويركل برجله كل ما يقابله ، فحاول أخوه "سارى" الإمساك به وتهديته، فأفلت منه وصاح بقوة:

- أين "سيلين" حبيبتي؟ قتلتموها أليس كذلك؟

ليس لى إلاهى، كانت تحبنى بصدق، لكنكم حرمتونى منها أيها الأوغاد، سأقتلكم جميعا وأنقم منكم أيها الأشرار.

ما زال جميع الحضور ينظرون للملك "ساران" فى ذهول وشفقة من حالته، فاقتربت منه "ساريدس" واحتضنته بقوة وهى تبكى وتصرخ:

- أخى، حبيبى، ماذا حدث لك، نحن لا نريد قتلك ولم نقلها أرجوك يا أخى عد إلى صوابك.

أخذ "ساران" يتطلع إليهم بعض اللحظات ولم تستطع قدماه أن تحمله فساعدته أخته على أن ينام مرة أخرى على فراشه، فصاح "سارى" بحزن:  
- أرايتم حالة الملك، هل نتركه على تلك الحالة حتى يموت، لا بد أن نجد الدواء الشافى لحالته مهما كلفنا الأمر.

و فجأة قبل أن يرد أحد على كلام "سارى" سمعوا "ساريدس" وهى تصرخ بكل قوة، فالتفتوا جميعا ناحيتها وذهلوا عما شاهدوه.

\*\*\*\*\*

داخل القاعة الكبيرة بالقلعة الحصينة، جلست العجوز الماكرة "دنهش" على كرسيها الكبيرة في وسط مائدة الاجتماعات وبالقرب منها تجلس "شاروسة" تتحدث معها وتواسيها بعد مقتل ابنها الملك "ميمون" على يد "سارى"، وحوطهم بعض الحراس يجمعون بعض الأشياء التي سيأخذونها معهم، بعدما فرض عليهم "سارى" إعلان الإستسلام وترك ديارهم واللجوء للملك "مُرّة الأحمر" ملك بنى الأحمر.

دخل الحارس يعلن عند قدوم الملكة "ميرة"، بعدما أرسلت العجوز "دنهش" في طلبها، أذنت لها العجوز بالدخول، فدخلت تجر فستانها وخلفها بعض جواربها، فنظرت لها "دنهش" في حزن وغضب، ثم وقفت واقترب منها وقالت بسخرية:

- مرحبًا بالملكة "ميرة" سليلة بنى الأحمر وزوجة الملك العظيم "برقان" والدة المعلون "سارى" والمعلونة "سماريدس".

فهمت "ميرة" ما ترمى إليه العجوز الماكرة، فقالت ردًا على سخريتها:

- ماذا تقصدين بهذا الكلام أيتها الملكة؟

قالت الملكة "دنهش" بأسى:

- أقصد أن ابنك "سارى" قتل العزيز "ميمون"، ولن أتركه يفلت بفعلته

هذه وسيأتى اليوم الذى أنتقم منه.

فصاحت "ميرة" في وجهها قائلة:

- ابنك الملك "ميمون" هو الذى بدأ بالقتل، وكان ابني الملك "سارى" يأخذ بثأر الملك "ساران".

اقتربت منها "دنهش" وأمسكت بذراعها وقالت بغیظ:

- لك الحق أن تدافعى عن ولدك الملعون "سارى" ولما لا وأنت السبب في كل ما نحن فيه، عندما سلمت نفسك للملك "برقان" وجلبت لنا العار، حتى وصلت الحماقة بابنك أن يفرض شروطه علينا ويطردها من ديارنا التى قضينا فيها عمرنا كله.

ضحكت الملكة "ميرة" بسخرية وهى تتجول بالقاعة، ثم استدارت نحو "دنهش" وقالت لها وهى تشيح بيدها وتصيح:

- ومن الذى أهدانى كجارية للملك "برقان"، أليس هو ابنك "ميمون" السبب في ذلك؟، ماذا كنت أصنع وأنا جارية في قصر ملك أراد أن يختلى بى، هل كنت أملك الرفض؟، أم ليس للجارية إلا السمع والطاعة.

دافعت "دنهش" عن ابنها الراحل "ميمون" فقالت:

- ابني لم يكن يعرف أنك وسط الجوارى التى أرسلها للملك "برقان" لكن على الأقل أنت تعرفين وكان من الممكن أن تصرحى للملك بحقيقتك فيتركك تعودين إلى وطنك، لكنك تعلقتى به وأحببت كونك جارية، بل الأكثر من ذلك سمحتى لنفسك أن تنجى من "برقان" وأنت تعرفين جيداً نتيجة ذلك على بنى جنسنا.

تعمدت الملكة "ميرة" الضحك بسخرية لتغيظ العجوز الماكرة، ثم قالت متعجبة:

- نتيجة هذا على بنى جنسنا، أرى أن الملكة المقدسة تقصد الانتقاص والإضعاف من قوتنا الشريرة، وهل التقليل من الشر يعتبر خطأ في رأى الأم المقدسة "دنهش".

جذبتها "دنهش" من ذراعها، حتى أصبحت في مواجهتها:

- أيتها البلهاء الغبية، وهل تفوقنا على بنى جنسهم على مر العصور إلا بفضل تلك القوة التى كانت اختبار وتحدى لنا، فتلك القوة هى التى تمنحنا البقاء والقدرة على إغوائهم.

مطت "ميرة" شفيتها متعجبة من كلام "دنهش" وقالت:

- وهل الإغواء والتحرير على الفساد ميزة تتفاخرين بها أيتها الملكة ال..... مقدسة.

اقتربت "دنهش" من المائدة وضربتها بيدها ثم نظرت نحو "ميرة" وصاحت في وجهها وهى تشير بيدها:

- أرى أن دروس الملك "شمهورش" قد أفسدتك على بنى جنسك تباله من عجوز خرف أفسد علينا بناتنا، فما أسمع منك الآن سمعته قبل ذلك من العزيزة "سيلين" التى قُلت أيضا بسبب غباؤها.

ثم اقتربت من "ميرة" وتصنعت الود وقالت وهى تربت على كتفها:

- العزيزة "ميرة"، أرجو أن تساعدنا على تخطى هذه المحنة.

\*\*\*\*\*

كانت "سماريدس" تصرخ بصوت عال، فالتفت نحوها أخيها "سارى" الذى كان يعطيها ظهره ويتحدث مع الوزير والطبيب فى حضور "سواتن" عن الحالة الغريبة التى يمر بها الملك "ساران"، فإذا به يراها تمسك وجه "ساران" بين يديها وهى تبكى وتصرخ وتقول:

- أخى حبيبي ماذا حدث لك!

فاقترب "سارى" فوجود الرعشة أصابت أخيه "ساران" والدماء تتساقط من عينيه ، ففزع مما رآه وجرى نحو أخيه وأمسك به وهو يصرخ ويصيح وينظر للطبيب:

- لا بد أن نجد حلا، لا بد أن نجد دواء، لن أترك أخى على هذه الحالة.

وقفت "سماريدس" وأخذت تلطم وجهها وتصرخ، فاسرع "سواتن" وأمسك بيدها وحاول تهدئتها ، بينما اتجه الطبيب نحو الملك "ساران" وأخذ يتفقد عينيه ليعرف ما سبب تلك الدماء المتساقطة منها، بينما وقف "سارى" والوزير ينتظران ما سيقوله الطبيب، وما أن انتهى الطبيب وقف واتجه نحوهما وقال وهو ينظر للأرض:

- للأسف يا جلالة الملك، حالة الملك "ساران" تزداد سوء، وأرى أن

السم لم يكن عاديا بل كان سحرا، ولن يبطل مفعول هذا السحر إلا من قام به وإلا ستكون النتيجة للأسف هى موت الملك لكن بعد أن يستنفذ السحر كل طاقته ومقاومته.



- انتبه الجميع لكلام الطبيب، فنظر الملك "سارى" للوزير وقال:
- ماذا يقصد هذا الطبيب، أيها الوزير الحكيم "يوشهور"؟
- حاول الوزير التخفيف عن الملك "سارى" فقال له:
- مولاي الملك، أن تعلم جيدًا أن العدو اشتهر بالسحر منذ الأزل وتعرف كيف يستخدم مسه وسحره في الضرر، والطبيب يقصد أن جلالة الملك "ساران" تعرض للمس والسحر عندما أصابته تلك الحربة الملعونة.
- صرخ الملك "سارى" وقال:
- أنا لا أحتاج إلى شرح، فقط أسأل عن حل.
- قال الطبيب:
- لقد قتل المعلنون "ميمون أبا نوخ" وهو من ألقى الحربة المسمومة قاطعة الوزير الحكيم "يوشهور" قائلًا:
- وهل "ميمون" يستطيع فعل شيء بمفرده، إنها كل ذلك من تدبير وترتيب الملعونة العجوز "دنهش".
- نظر "سارى" لأخيه الراقد في فراشه يصارع المرض، فوجده قد استكان بعض الشيء وما زالت "ساريدس" بجواره لا تفارقه لحظة، و"سواتن" يقف مستمعًا للحوار، فقال "سارى" بسخرية ردًا على كلام الوزير:
- وهل الملعونة "دنهش" ستوافق أن تساعدنا في إبطال مفعول السحر وعلاج الملك "ساران" وقد قمنا بقتل ابنها "ميمون".

فكر الوزير الحكيم "يوشهور" ثم قال:

- قد توافق إذا ساومناها على البقاء في القلعة مقابل الحصول على ترياق لهذا السحر.

أجاب الملك "سارى" بسرعة فقال:

- أنا مستعد أن أفعل أى شىء مقابل أن أرى أخى مرة أخرى وقد استعاد عافيته وقوته.

قال الوزير وقد بدا عليه الحماس للفكرة:

- وماذا نتظر؟ علينا إرسال رسالة على وجه السرعة لهذه الملعونة نعرض عليها الصلح وفك الحصار مقابل أن ترسل لنا الترياق.

قال الملك "سارى" للوزير:

- فى هذه الحالة لا تنفع الرسائل المكتوبة، لابد من إرسال شخص قادر على التفاهم مع الملعونة وليس هناك أفضل من الوزير الحكيم يقوم بتلك المهمة الصعبة.

كان "سواتن" يقف معهم لكن قلبه كان مع "سامريديس" وكل فترة ينظر إليها ليشعرها أنه يحس بها تكابده، وأنه يتألم لألمها، فانتبه للحوار وقال متشجعاً:

- بل أذهب أنا لهذه العجوز الماكرة وأعرض عليها الأمر ولن أعود إلا والترياق الشافى معى أو أقتل دونه.

قال جملته ونظر إلى "سامريديس" فوجدها تنظر إليه و كأنها ترجاه أن يفعل هذا الأمر من أجلها ومن أجل حبها الذى لم يطلع عليه أحد غيرهما إلى الآن.

\*\*\*\*\*

وما أن جاءه الأمر حتى جرى مسرعاً نحو فرسه الواقف بالقرب من الأسوار الخارجية للقلعة، امتطى الفرس واتجه ناحية الباب الكبير للقصر القابع في الجزء الجنوبي من القلعة، استأذن بالدخول فأذن له، فسار عدة أمتار في الطرقة المؤدية لقاعة الاجتماعات حتى وصل إلى الباب فاستقبل الحارس واستوقفه حتى يستأذن له في الدخول على الملكة المقدسة، وبعد لحظات عاد وسمح له بالمرور، وما أن دخل وقدم التحية للملكة حتى نظرت له وقالت:

- ماذا وراءك أيها الفارس؟

انحنى الفارس ثم استقام وقال:

- مولاتى الملكة المقدسة، هناك رسالة من الملك "سارى"

قالت "دنهش" بسخرية:

- ماذا يريد هذا المعلون منا، بعد أن فرض علينا ترك أرضنا وديارنا.

ثم أشارت للفارس بيدها وهى تقول:

- هات الرسالة لنعرف لنقرأ ما بها.

انحنى الفارس مرة أخرى وقال:

- عفوا يا سيدتى، فهى ليست رسالة مكتوبة، بل أتى رسول من عند

الملك "سارى" يطلب المثل بين يديكم الكريمة.

قالت "دنهش" متعجبة من كلام الفارس:

- وأين هذا الرسول؟ ادخله على الآن، فقد أذنت له، حتى نعرف ما يريد

هذا الخبيث "سارى".

- سمعاً وطاعة مولاتي المقدسة.
- خرج الفارس وترك "دنهش" تخمن ما الذى يريده "سارى" وهل هناك شيئاً آخر بعد فرض شروطه عليهم، واستعدادهم للرحيل فى خلال يومين على الأكثر، بينما كانت "شاروسة" تطمئنها وتقول لها:
- لعله أرسل إلينا يطلب أموالاً وجواهر مقابل أن يتركنا نعيش هنا فهؤلاء يجبون المال حباً جمّاً ويفضلونه عن أى شىء آخر.
- نظرت لها "دنهش" ببلاهة وقالت ساخرة منها:
- عن أى مال تتحدثين يا "شاروسة"، هل بقى معنا ما نعطيهم لهم .
- استمرت المناقشة و التخمين بين "دنهش" و "شاروسة" عن سبب قدوم رسول من عند الملك "سارى" حتى جاء الحارس ليبلغهم بأن الرسول يقف على الباب يطلب الإذن بالدخول، فأشارت له "دنهش" بأن يدخله فى الحال.
- ما أن دخل الرسول حتى هبت "دنهش" واقفة وصرخت فيه قائلة:
- كيف تجرؤ أن تأتي هنا مرة أخرى بعدما خنت الإتفاق الذى كان بيننا؟
- ألم تخف على نفسك أن أعطى الأمر الآن بقطع رأسك أيها الخائن؟
- وقف صامتاً بينما جرت نحوه "شاروسة" ووقفت بالقرب منه تنظر إليه وعيونها تنطق بالكثير لكنها فضلت الصمت حتى لا تغضب الملكة المقدسة "دنهش"، فأبتعد بعينه عنها وقال بحزم:
- لم آت إلى هنا للحديث فيما مضى، ولكن لتحدث فيما هو أت.

- ضحكت "دنهش" بسخرية وقالت:
- وما هو الأتى أيها الأمير "سواتن"، هل جئت لتزف لنا خبر ارتباطك بالأميرة الجميلة "سماريدس"، وتطلب منا أن نحضر زفافكما؟
- فالتفت "سواتن" إلى "شاروسة" التي ظهرت الغيرة على ملامحها، فعاد يوجه حديثه إلى العجوز الماكرة، فقال:
- لم يحدث شيئاً من الذى تتحدثين عنه، بل جئت حاملاً لكم عرضاً أتمنى أن تفكرى فيه جيداً قبل أن أعرف ردك.
- جلست العجوز على الكرسي الكبير، وأخذت كأساً وتناولت منه بعض الشراب، ثم قالت وهى تتعمد عدم النظر لـ "سواتن":
- هل تبقى فى جعبتكم عروضاً أخرى بعدما قتلتم ابني الملك "ميمون" وفرضتم شروطكم علينا، وتطالبوننا أن نترك أرضنا وديارنا.
- اقترب "سواتن" منها وقال:
- جئت اليوم لأصحح بعض تلك الشروط وأهمها أننا لن نطالبكم بعد الآن بترك أرضكم ودياركم.
- جرت نحوه "شاروسة" وقالت متسرفة:
- هل سنعيش كلنا هنا وأنتم معنا، أم ماذا تقصد بكلامك؟
- صرخت فيها "دنهش"، وأشارت لها أن تصمت، ثم توجهت بالحديث إلى "سواتن" وقالت له بحدة:
- أكمل العرض أيها الأمير، ماذا تغير من أمس إلى اليوم لتتنازلا عن شروطكم بهذه السهولة.

تردد "سواتن" في الإجابة، لكنه استجمع شجاعته وقال لها:  
 - سنترككم في بلادكم ونرحل عنها مقابل أن نحصل على ترياق يشفى  
 الملك مما أصابه.

ظهرت ملامح السعادة على وجه العجوز الماكرة "دنهش" وقالت:

- وهل أصيب الملك "سارى" ويحتاج لدواء يشفيه؟

هز "سواتن" رأسه بالنفى، وقال:

- بل المصاب هو الملك "ساران".

ألقت "دنهش" بالكأس على الأرض وصرخت في وجهه:

- هل الملك "ساران" مازال على قيد الحياة، ألم يقتله ابني الملك

المعظم "ميمون أبا نوخ"؟، ما الذى تقوله أيها الخرف.

فهم "سواتن" من كلامها، أنها كانت تظن أن الملك "ساران" مات قتيلا

بعدهما تلقى الحربة في صدره، فرد على كلامها وقال:

- الحربة أصابت الملك "ساران" ولم يمض بل هو الآن يعانى من أعراض

خطيرة قد تودى بحياته إن لم نجد له الترياق الشافى.

تعجبت العجوز من كلامه وصاحت وهى تبتعد عن "سواتن":

- كيف لهذا المعلنون تحمّل السم داخل جسده كل تلك المدة، هذا السم

يقتل جمل ضخيم في غضون ساعات قليلة.

كانت "شاروسة" تتابع الحوار وتختلس النظرات لـ "سواتن" فقد افتتنت به

في المدة التى قضاها بينهم، لكنها لا تستطيع أن تصرح بشيء في وجود هذه

الماكرة، وكان هو أيضا ينظر إليها كل فترة كأنه يحثها أن تقنع الملكة بقبول العرض الذى يقدمه لهم، وظل هو يحاول فقال:

- طالما الملكة عندها علم بأمر السم، فالتأكيد أنها تعرف الآن ما يسببه هذا السم من أعراض خطيرة للملك "ساران".  
قالت الملكة "دنهش":

- وهل يخفى على الملكة المقدسة شىء، بالطبع أعلم الأعراض جيدا لكن ما لا أفهمه كيف ظل "ساران" إلى الآن على قيد الحياة.

شعر "سواتن" أن الحوار سيمتد و هو فى عجلة من أمره ويريد أن يعود بالتريق المناسب لحالة الملك "ساران"، فقال:

- لم أسمع رد الملكة فى العرض المقدم من الملك "سارى" باعتباره صاحب الكلمة الآن فهو وريث العرش.

صرخت "دنهش" فى وجه وهى تشيح بيدها:

- كيف تجرؤ أن تطلب منى أن أساوم على دم ابنى، وأعطى لقاتله ترياق يشفى أخيه المريض.

نظر "سواتن" إلى "شاروسة" ففهمت أنه يطالبها بالتدخل، فقالت:

- صبرا أيتها الملكة الأم، فالملك العظيم "ميمون أبا نوح" مات وانتهى الأمر ومهما فعلنا لن نعيده إلى الحياة مرة أخرى، وليس من العقل أن نترك ديارنا ونلجأ لأرض أخرى نعيش فيها كالغرباء والحل بسيط وفى أيدينا، مجرد قطرات من ترياق نشترى بها حريتنا.

ما إن انتهت "شاروسة" كلامها، حتى نظرت لها الماكرة، ثم اتجهت نحو المائدة فملأت كأسها بالشراب وجلست صامتة كأنها تفكر في أمرًا ما فجعلتها لا تخلو من المكائد والحيل، ثم نظرت إليهما وقالت بخبث:

- حسنا أيها الأمير "سواتن"، لكن هل سينفذ الملك "سارى" ما أطلبه منه، لكى ينقذ أخيه.

أسرع "سواتن" بالرد قائلاً:

- بالطبع، وإلا لماذا أرسلنى إليكم.

هزت "دنهش" رأسها وأشارت لـ "شاروسة" وقالت:

- خذى الأمير "سواتن" لغرفة الضيافة، حتى أحسب النجوم وأتحدث مع رجال الغيب، وفى الغد يحمل ردى إلى الملك "سارى".

\*\*\*\*\*

مر الليل طويلا على "سماييدس" وهي تجلس بجوار أخيها "ساران" الذى يصارع المرض، فلا تمر ساعة حتى يصاب ببعض الأعراض الخطيرة فتارة يصاب بهياج شديد وتارة أخرى تنزف عينيه دمًا، وهو بين كل هذا لا حول له ولا قوة، أصابه الهزال وخارت قواه، فأصبح كالخرقة البالية فوق الفراش.

وها هي "سماييدس" تضع على رأسه بعض الماء البارد بعدما أصيب ببعض أعراض الحمى فارتفعت درجة حرارته وبدأ يهذى ويقول:

- لماذا فعلت هذا يا أبى، لماذا أنجبت أولادًا غيرى حتى يطعموا فى المملكة، لا بد من قتلهم، لا بد من قتلهم جميعًا، ابعدهم عنى يا والدى فأنا لا أحبهم.

رغم مرارة الكلمات على قلب "سماييدس" إلا أنها لم تشعر يومًا إلا بكل حب وود تجاهه، فكانت تقول لنفسها هذه تحاريف الحمى، حتى همس "ساران" مرة أخرى وقال كأنها يتحدث مع والده الملك "برقان":

- أنت لا تحبنى يا أبى، أنجبت من يشاركنى الملك ولم تكتفى بذلك بل طمعت فيمن أحبها قلبى وكنت تريد أن تتزوجها، نعم لقد أحببتها، أحببت "سيلين"، أنت من قتلتها يا أبى ولن أسامحك أبدا.

كانت "سماييدس" ما زالت تصب على رأسه الماء البارد وتبكى من كلامه التى عرفت منه أنا أخيها تألم كثيرًا لفراق حبيته "سيلين"، فتذكرت "سواتن" الذى تأخر عن العودة وخافت أن تكون العجوز الماكرة أصابته بسوء،

- فنادت على الملك "سارى" الذى كان يجلس خارج الخيمة يناقش بعض الأمور مع الوزير، فجاء مسرعا وخلفه الوزير، وقال لها بقلق:
- هل حدث شيئًا يا أختى، ما حالة الملك الآن.
- قالت وهى تمسح على رأس أخيها:
- أظن أن الحمى أصابته فقد كان يهذى ببعض الكلمات، ويتحدث عن حبه لـ "سيلين"، لكننى خائفة على "سواتن" لذلك استدعيتك.
- فجلس "سارى" بعد أن اطمأن على أخيه، فأجاب الوزير قائلاً:
- لا تخافى يا مولاتى الأميرة فلم يمر وقت طويل، وكما تعرفين الموضوع ليس بهذا السهولة، فالعجوز الماكرة لا تحب الخسارة وبالتأكيد ستحاول أن تستفيد من عرضنا لأقصى درجة.
- فنظر لها "سارى" متعجبًا من كلامه، وقال:
- وهل ما نعرضه عليها ليس مكسبًا لها، فبعد انتصارنا الساحق عليهم سنتركهم ونعود إلى بلادنا، بعد كل هذا العناء فى الحرب.
- قال الوزير الحكيم "يوشهور":
- ليس الأمر كما تظن أيها الملك، فالعجوز "دنهش" لا يهملها الأرض ولا الحرب، لكن ما تهتم به هو كيف تقضى على بنى جنسنا.
- قال "سارى" وهويتجول فى الخيمة ويشير بيده:
- إذن أنت لا تثق بها أيها الوزير الحكيم، فمن الممكن ألا توافق، أو من الممكن أن ترسل لنا ترياق يزيد من آلام الملك، ومن الممكن أيضا أن تقتل "سواتن"، و.....

قاطعته الوزير قائلاً:

- دعنا لا نستبق الأحداث يا مولاي، فقد قرب بزوغ الفجر وإن لم يعد الأمير "سواتن" سيكون لنا تصرف آخر.

عاد "ساران" لهذيانه مرة أخرى، فأرادت "سماييدس" أن تبعد "سارى" لا يسمع كلام أخيه فيعرف أنه لا يحبّه وكان يتمنى أن يقتله حتى لا يطمع في الحكم، فقالت:

- اذهب يا أخى لتتل قسطاً من الراحة، فأنت لم ترتح منذ عدة أيام.

- كيف أرتاح وأترك أخى هكذا، لن يغمض لى جفن حتى يعود "سواتن" ومعه الترياق الشافي.

ثم شعر أنه أخته ربما تريد النوم، فأشار للوزير بيده، وقال:

- سأجلس أنا والوزير أمام الخيمة وإن حدث شيء نادى علينا.

هزت "سماييدس" رأسها بالموافقة، وما أن خرج الملك "سارى" بصحبة الوزير، حتى هدىء روعها بعض الشيء فهي لا تريد أن يكون فى نفس "سارى" شيء من ناحية أخيه أن سمع هذا الهذيان.

فقامت "سماييدس" وألقت بجسدها على فراش بجوار أخيها وأخذت تفكر فى حالته، ولاحظت صورة "سواتن" أمام عينيها وأشدت قلقها عليه فقد تأخرت عودته، وخشيت أن يكون أصابه مكروه، فالقلعة ليست بعيدة عنهم وقد خبرت الكثير عن الماكرة من كلامهم عنها أمامها.

بزغ الفجر مبشراً بضياء صباح يوم جديد، وأتى الصباح أخيراً يحمل بين يديه آمال وأحلام ينتظرها الكثير، قد تتحقق فتنبت بذور الخير، وتينع ثمار الأمل، وقد لا تتحقق فتصير الأرض يباباً، وتتحول الآمال إلى أوهام.

غابت شمس الأمس وتوارت في كهفها، وها هي تستيقظ بنشاط لمزاولة أعمالها اليومية، فلماذا لم يأت الغائب الذى نتظر أن يأتى محملاً بالخير.

أفكار كثيرة تدور فى رأس "سماريدس" وهى داخل الخيمة التى يرقد فيها أخوها الكبير، حياته معلقة على عودة الغائب، الذى ذهب وأخذ قلبها معه، فأصبحت بين شقى رضى خوفها على أخيها وخوفها على حبيبها.

بينما كانت تصارع الأفكار إذ تنامى إلى قلبها صوته الذى عشقته فصارت تسمعه بقلبها قبل أذنها، فخرجت مسرعة من الخيمة فوجدته يقف بجوار أخيها والوزير ثالثهما، شعر بها فوقعت منه التفاتة أصابت قلبها بسهم الشوق والاشتياق.

عندما وجد "سارى" أن "سواتن" ينظر ناحية الخيمة، ففهم أن "سماريدس" تقف، فقد كان يشعر بأن هناك شىء بينها لكنه غير متأكد أو أنه ترك التفكير فيه بسبب مرض أخيه، فالتفت ناحيتها وقال ووجهه يتألق بالبشر والاشتياق ويشير لشىء فى يده:

- لقد جاء "سواتن" بالترىاق، وقد أرسلت فى طلب الطبيب، تهلل وجهها بالفرح وأسرت نحو الخيمة لتطمئن على أخيها النائم فلحق بها الجميع وبصحبتهم الطبيب، الذى تناول الترياق من الملك "سارى" وبهدوء تم أفافة

الملك "ساران" بمساعدة "ساريدس" التي أسندته من ظهره حتى يستطيع تناول الدواء.

كان "ساران" ينظر لمن حوله ببلاهة وغيروعى فأعادته "ساريدس" إلى فراشه مرة أخرى، فلاحظت أن "سواتن" يشير للملك "سارى" حتى يلحق به في الخارج فشعرت أن هناك أمراً هام لكنها فضلت المكوث بجوار أخيها حتى ترى أثر الترياق الجديد وتأمل أن يشفى أخيها من علته. وفي خارج الخيمة بعيداً عن أسمعها وقف "سواتن" في حيرة شعر بها "سارى" فقال له لما لاحظ تردده:

- ماذا هناك يا "سواتن"؟ أرى أن هناك أمراً تريد أن تحدثنا به، هل هذا هو الترياق المطلوب أم خدعتك العجوز الماكرة.  
طأطأ "سواتن" رأسه، ثم استجمع شجاعته وقال للملك "سارى" في حضور الوزير:

- هذا الترياق مؤقت ولن يشفى الملك إلا بعضة أيام قليلة.

تعجب "سارى" من كلام "سواتن" فاقترب منه وصرخ في وجهه:

- ماذا هذا الهراء الذى أسمعته؟ ولماذا لم تأت بالترياق الشافى؟

تدخل الوزير قائلاً:

- على رسلك يا مولاي حتى نستطلع الأمر.

قال "سواتن": "لقد عرضت الأمر على "دنهش" فرفضت في البداية أن تساو على دمها ابنها خصوصاً أنها كانت تظن أن الملك "ساران" قُتل في المعركة بعدما أصابه "ميمون أبا نوح" بالحربة، ثم بعد أن أوضحت لها الأمر وأنهم

بقبولهم هذا الاتفاق فقد ضمنوا البقاء في أرضهم.

فقال له "سارى" بضجر: ثم ماذا؟

أردف "سواتن":

- ثم طلبت مهلة للتفكير تستشير فيها النجوم ورجال الغيب، وأمرت باستضافتي حتى الصباح.

تدخل الوزير قائلاً:

- يا لها من عجوز ماكرة!

قال "سارى" وقد بدا الغضب يكسو وجهه:

- اكمل يا "سواتن"، ماذا حدث بعد ذلك؟

قال "سواتن" بتردد:

- وفي صباح اليوم، جاءت وأخبرتني أنها وافقت على عرضنا لكن هناك أمرين نختار بينهما حتى يبطل أثر السم المسحور إلى الأبد ويسترد الملك "ساران" عافيته وقوته، وأعطتني ترياق مؤقت أثره لن يتعدى بضعة أيام كمهلة تفكر فيها ونختار بين ما طلبته.

صرخ "سارى" في وجه "سواتن" وقال له:

- ماذا حل بك يا رجل، أسرع وأخبرنا ماذا طلبت هذه الملعونة.

استجمع "سواتن" شجاعته وقال:

- الماكرة قالت أن معقول السم لن يبطل إلى بمضغة من كبد تلوكتها بأسنانها، أو ببعض قطرات من دماء عذرية تمزجهم بالترياق، وتركت لنا حرية اختيار أمر من الأمرين، وإلا بعد بضعة أيام قليلة ستزداد حالة الملك سوء

وقد تنتهى حياته.

تعجب الملك "سارى"، وقال للوزير الحكيم وهو يشير ناحية "سواتن":

- هل فهمت شيئًا مما يقوله هذا الأبله؟

وقبل أن يجيب الوزير على تساؤل الملك "سارى"، إذ بـ "سماريدس" تأتي

نحوهم مسرعة وهى تنادى على أخيها "سارى" وتقول:

- لقد استعاد أخى الملك "ساران" وعيه، ويطلبكم جميعا للمثول بين يديه حالا.

فنظر الثلاثة إلى بعضهم، ثم أسرعوا ناحية الخيمة وما أن دخلوها فوجدوا

الملك "ساران" يجلس مستندا على مخرطة وضعت على فراشه فى يده كأس يتناول

منه، ما أن وقعت عينيه عليهم حتى لاحت على وجهه ابتسامة وأراد الوقوف

فأسرعه نحوه أخوه "سارى" وأرتمى بين أحضانه، وأخذ يبكى حتى سالت

دموعه على كتف أخيه فقال له "ساران" بصوت متعب:

- لما كل هذا البكاء يا أخى، فأنا بخير الآن.

ونظر ناحية الوزير و"سواتن" فانحنى الوزير لتحيته، فقال لـ "سواتن":

- شكرا لك يا "سواتن" على ما قمت به من أجلى فقد أخبرتنى أختى

بأنك من أحضرتك الترياق من عند العجوز الماكرة.

ابتسم "سواتن" وهو ينظر إلى "سماريدس" وانحنى تحية للملك وقال:

- جيمعنا فى خدمتك أيها الملك الشجاع.

انفرج ثغره "ساران" عن ابتسامة باهتة، ثم قال وهو يتحسس بطنه:

- أشعر بجوع شديد كأننى لم أتناول طعامًا منذ سنين.

فضحكت "سمايريدس" بسعادة، في حين طلب "سارى" من الوزير أن يأمر بأن يأتى الطعام حالا، انحنى الوزير برأسه ثم خرج من الخيمة وفي ركابه "سواتن" والطبيب.

كانت "سمايريدس" في قمة سعادتها بشفاء أخيها واستعادته لوعيه، فأخذت تقبله على رأسه وتحتضنه وهو يبادلها الابتسامة ويربت على كتفها.

أحضرت الجوارى الطعام كما أمر الملك "سارى" فساعدت "سمايريدس" أخيها وجلست بجواره وأخذت تطعمه بيدها، فنظر "ساران" لأخيه وقال:

- أريد معرفة كل شيء منذ أن أصابنى الملعون "ميمون أبا نوخ".

أسرعت "سمايريدس" قائلة وفي يدها لقمة تقربها من فم "ساران":

- لقد قتل "سارى" الملعون "ميمون" وقطع رأسه، وأخذ بئارك.

ابتسم "ساران" وهو ينظر لأخيه، فوجده متجهماً الوجه ويتصنع الابتسامة فأحس أن هناك أمر ما يشغل باله، فقال له:

- ما بك يا أخى؟ أأنت سعيداً بشفائى.

فخافت "سمايريدس" أن يكون "سارى" سمع بعضاً من هذيان "ساران"

وعرف أنه كان يريد قتله منذ ولادته، فأرادت أن تستكشف الأمر، فقالت:

- بالطبع "سارى" سعيداً بشفائك يا أخى، ولكنه لم ينم منذ أصبت لذلك

يظهر على ملامحه الإرهاق.

أنقذت كلماتها "سارى" من عناء البحث عن إجابة، فقد كان عقله مشغولاً

ويفكر فيم طلبته الماكرة "دنهش" من "سواتن" ولم يعرفه حتى الآن فأكل

الشوق للمعرفة قلبه واستأذن من أخيه حتى يذهب ليأخذ قسطاً من الراحة ثم

يعود ويقص عليه كل ما حدث، ثم خرج من الخيمة وترك أخيه يكمل طعامه، وسار باحثًا عن "سواتن" فوجده يجلس بعيدًا في أقصى المعسكر ومعه الوزير، فاقترب منهما وطمأنهم على الملك، ثم التفت ناحية "سواتن" وقال له:

- اعلم يا "سواتن" إننى لم أفهم شيئًا من كلامك منذ قليل فقال الوزير الحكيم:

- لقد أخبرنا الأمير "سواتن" أن العجوز طلبت أن نختار بين مضغة من كبد أو بعض دماء عذرية لتمزجهم بالترياق الذى سيشفى الملك، لكننا لم نعرف أى كبد وأى دماء تقصد.

ابتعد عنهم "سواتن" بعض خطوات وولاهم ظهره وقال:  
- مضغة من كبد "ساريدس" أو دماء عذريتها.

\*\*\*\*\*

داخل الغرفة الواسعة التي تشرف نافذتها الكبيرة على مساحة خضراء من الأشجار والأزهار، وتزينها مجموعة كبيرة من الصور للملوك الأسرة يتوسطهم صورة بالحجم الكبير لابنها الراحل الملك "ميمون أبا نوح". كانت نائلة أم الشعور المائلة الماكرة "دنهش" تتوسد سريرها وهي تمسك في يدها كأس مملوء بالشراب، تقول لـ "شاروسة" التي كانت تجلس على كرسي بجوار السرير:

- أرايت يا عزيزتى أن جعبتى لا تنضب أبدا، ولن أعدم الحيلة وسترين عما قريب أننا حصلنا على ما نريد وكسرنا قلوبهم على كل غال لديهم.

جاوبتها "شاروسة" بابتسامة وقالت:

- هل تعتقدين أن الملك "سارى" سيوافق وينفذ شروطنا.

اعتدلت "دنهش" قالت:

- ليس أمامه حل آخر يا عزيزتى، فأما أن ينصاع وينفذ طلبنا أو يفقد

أخيه "ساران" للأبد، وأظنه سيفكر ألف مرة قبل أن يرفض.

امدت يدها "شاروسة" لتأخذ كأس الشراب من "دنهش" وقالت لها:

- لماذا إذن أرسلت مع "سواتن" الترياق، ألم يكن من الأفضل أن تضيقى

الحناق عليهم حتى تضمنى موافقتهم.

ضحكت "دنهش" بصوت مرتفع وقالت لـ "شاروسة" بود:

- عزيزتى "شاروسة" ما زلت صغيرة حتى تفهمى ما تخطط له الملكة

المقدسة ، فأنا منحتهم ثلاثة أيام ليفكروا قبل الرد، وأنا أعلم جيدا أن بنى

جنسهم يظهرون الحب لبعضهم لكن وقت الشدة يقول أحدهم إن كانت رأسك أخيك جسر الأمان فلتضع قدمك فوقها لتعبر ولا تهتم.  
غمزت "شاروسة" بعينها وضحكت وهي تتعجب من دهاء الملكة، ثم قالت:

- كنت أظن أنك ستأمرين بقتل "سواتن" عندما دخل القلعة.

قالت "دنهش" وهي تستعد لمغادرة سريرها:

- ظنك خاطيء يا عزيزتى، "سواتن" ابن عمهم وبالتأكيد توسوس له نفسه ويطمع بأن يكون الملك، ثم أنه يعشق "ساريدس" والعقبة أمامه هم أخوتها، فالتالى الكل الآن لا يفكر إلا فى نفسه كعادة بنى جنسهم.

ثم اتجهت "دنهش" إلى منضدة وضع فوقها قطع شطرنج، أمسكت الملك بيدها ونظرت لحيث تجلس "شاروسة" وقالت:

- سنرى قريبا إن كانوا سيكملون اللعبة بدون الملك أم بغير "ساريدس" أم سيطمع "سواتن" ويقتل الملكين ويصبح هو الملك.

وأغلقت كفها على قطعة الشطرنج وهي تضحك بسخريه والنار تكاد تخرج من مقلتيها وأضافت قائلة:

- وفى كل الأحوال نكون نحن المنتصر، وربحنا بعض قوتنا، ويكون الحكم الفيصل بينا أجل إلى حين آخر، وسيستمر الصراع بين بنى جنسنا وبنى جنسهم إلى ما لا نهاية.

- وقفت "شاروسة" واقتربت من الملكة "دنهش" وقالت:
- أرى أنهم سيختاروا الشرط الثانى، لأنه يضمن لهم بقاء الملك وأخته على قيد الحياة، أما الشرط الأول يمنح الملك الحياة ويسلبها من أخته.
- ضحكت "دنهش" من سذاجة "شاروسة" وقالت وهى تربت على كتفها:
- لو لديك بعد نظر كنت ستعرفين أن تنفيذ كلا الشرطين فى مصلحتنا وأن كنت أفضل أن يختاروا تنفيذ الشرط الثانى، فأن ظهر لهم أسهل لكنه الأفضل بالنسبة لى.
- وكيف يكون تنفيذ الشرط الثانى أفضل لنا مع أن الملك "ساران" سيستعيد عافيته وقوته ويعود لقتالنا مرة أخرى.
- قالت "دنهش" بمكر وهى تخرج لسانها بشهوة:
- لكن عندما أمتص دماء عذرية "ساريدس" بلسانى وقتها ستعود إلينا قوتنا التى ضعفت منذ أنجنبت "ميرة" من الملك "برقان"، كما أننى أقدر لحظتها أن أسحرها فلا يستطيع "سواتن" أو أى رجل من بنى جنسهم أن يقترب منها فلا يكون لها بدا من الارتباط برجل من جنسنا.
- ابتسمت "شاروسة" ولم تعقب، فبادرتها العجوز قائلة:
- أرى يا "شاروسة" أنك تهتمين بأمر "سواتن" كثيرًا، لا بأس يا عزيزتى أن تتمتعى برجل من جنسهم لكن احذرى الإنجاب منه.

\*\*\*\*\*

كان وقع الكلمات عليه كالصاعقة، فأسرع نحو "سواتن" وجذبه من ملابسه وقال له وهو يشير بيديه متعجباً:

- ما هذا الهذيان الذى تنطق به يا "سواتن"، هل جنت هذه العجوز لتفرض علينا شروطاً كهذه.

لحق بهما الوزير الحكيم، وقال موجهًا كلامه للملك "سارى":

- صبراً مولاي الملك، لابد أن نفكر جيداً، فالغضب لن يخرجنا مما نحن فيه، وكما علمت أن هذا الترياق مفعوله سينتهى بعد أيام فعلينا إذن أن نختر بين حياة الملك "ساران" وبين أى شىء آخر.

ضحك الملك بسخرية وهو يتعجب:

- أيصدر هذا الكلام منك أيها الوزير الحكيم، فى أى شىء نفكر الماكرة تشتط علينا أمرين فى غاية الصعوبة، فهى تضع حياة الملك مقابل حياة الأميرة "سماييدس".

حاول الوزير الحكيم تهدئة الملك، فقال له:

- هناك خيار آخر ننقذ به حياة الملك وفى نفس الوقت لن نضحى بحياة الأميرة "سماييدس".

أسرع "سواتن" قائلاً:

- أتقصد أن نترك العجوز الماكرة تمتص دماء عذرية "سماييدس" مستحيل أن يحدث هذا حتى وإن كان آخر يوم فى عمري.

تعجب "سارى" والوزير من رد فعل "سواتن"، ثم هز الوزير رأسه وقال:  
 - هل لدى الأمير "سواتن" حل آخر؟  
 تنهد الملك "سارى" تنهيدة أوبتها الجبال، وقال لها:  
 - لنذهب الآن لنطمئن على حالة الملك "ساران" وندع المناقشة بعض الوقت لعلنا نصل لحل مناسب.

عندما وصلوا إلى خيمة الملك "ساران" وجدوه يتحدث ويضحك مع "ساريدس" التى لم تفارقه منذ أصيب، نظر لهم وقال بينما تناوله أخته بعض الشراب:

- أين ذهبتم جميعًا؟ فأنا أنتهيت من تناول طعامى من مدة، وأصرت "ساريدس" أن لا أتركه منه شيء.

ارتبك الملك "سارى" ونظر للوزير وقال وهو يبحث عن الكلمات:  
 - كنا نناقش بعض أمور الجيش يا أخى، فلا تشغل بالك، عليك فقط أن تهتم بصحتك، حتى تستكمل المسيرة التى بدأتها.

اتعدل الملك "ساران" فى جلسته وقال لهم بعدما شعر بأن هناك أمرًا جلل يشغلهم:

- اتركونى مع الوزير الحكيم، فأنا أحتاج لأخذ رأيه فى بعض الأمور الهامة.

تعجب "سارى" من طلب أخيه، فهو يعرف عنه الفطنة والذكاء وبالتأكيد استنتج بأن هناك شيء حدث، خصوصًا موافقة "دنهش" على إرسال الترياق

مع "سواتن" أمر يثير الريبة، لكنه لم يستطع مخالفة أمر أخيه، فأمسك بذراع "سواتن" وخرجا سويا من الخيمة وترك الملك والوزير ومعهما "سماريدس".

تبعهم "ساران" بنظره حتى خرجا، فنظر إلى الوزير وقال له:

- والآن أيها الحكيم أريد معرفة كل شيء، فعندى ثقة أنكم تخفون عنى الكثير من الأشياء، ولدى الكثير من الأسئلة تحتاج لإجابة أولها كيف وافقت "دنهش" بهذه السهولة أن تمنحنا الترياق.

نظر الوزير ناحية "سماريدس" قبل أن يجيب على سؤال الملك، ففطن "ساران" لمقصده، فطلب من "سماريدس" أن تذهب لخيمتها لترتاح بعض الوقت، فتعجبت من طلبه واستأذنت وخرجت، فقال الوزير:

- كما عهدتك دوما أيها الملك فأنت شديد الفطنة، وهناك أمرا بالفعل لا نستطيع أن نجد له حلا.

- ما هذا الأمر أيها الوزير الحكيم، أرجو أن تخبرنى به فى الحال

قال الوزير وهو يتلفت يمينا ويسارًا:

- لقد منحتنا "دنهش" ترياق مؤقت يزول مفعوله بعد بضعة أيام، ولها بعض الشروط مقابل أن تعطينا الترياق الشافى، وكنت أتناقش مع الملك "سارى" والأمير "سواتن" وهما يرفضان بشدة الموافقة على شروطها.

مط الملك "ساران" شفتيه، وقال:

- وما تلك الشروط أيها الحكيم؟

تردد الوزير في البوح بالسر لكنه استجمع شجاعته عندما رأى الملك يلح، فقال:

- حياة الأميرة "سمايريس" أودماء عذريتها مقابل حصول مولاي الملك على الترياق الذي يعيد له القوة والعافية.

انزعج الملك "ساران" مما قاله الوزير، فبدأ الغضب على وجهه وهو يقول:

- الخبيثة تريد الانتصار علينا بالحيلة، هل نسيت أيها الحكيم كلام "سيلين" الذي أخبرتك به، وأنهم لن يغمض لهم جفن حتى يحصلوا على دماء "سمايريس" أو أن تتزوج من بنى جنسهم وتدين ذريتها بالولاء لهم.

هز الوزير رأسه بالإيجاب، فاستكمل الملك "ساران" كلامه وقال:

- لا داعى للحيرة أو المناقشة أيها الحكيم، سينادى في الجيش الآن بالاستعداد للرحيل والعودة إلى "أفناموس"، وأن انتهى مفعول الترياق في الطريق ومت فلا تدفنونى إلا بجوار أبى الراحل الملك "برقان".

قال الوزير معترضاً:

- ولكن يا جلالة الملك.....

قاطعته "ساران" وقال بحزم:

- لن أذع هذه الماكرة تتحكم فينا، ماذا تساوى حياتى مقابل الحفاظ على أختى "سمايريس" التى ستضمن لنا التفوق الدائم على بنى جنسهم.

وسط نقاش الملك مع الوزير، وفجأة اقتحمت "سمايريس" عليهم الخيمة

وهى تبكى وترمى بنفسها فى حضن أخيها

الملك "ساران" وتقول:

- أنا موافقة يا أخى، موافقة على شرط "دنهش"، حياتى فداؤك يا أخى فأنا مجرد فتاة لا تقود جيش أوراىة مصالح ممكلة كبرىة.

احتضن "ساران" أخته، والتفت للوزير الذى كان يتابع ما يحدث وقال له:

- عليك أياها الحكيم تنفيذ ما أمرتك به فى الحال، وإن اعترض "سارى" فأخبره أن هذا أمر الملك "ساران" ولا نقاش فيه.

انحنى الوزير تحية للملك ومضى خارجًا لتنفيذ الأمر، بينما رفع "ساران" رأس أخته من على صدره ومسح الدموع المنهمرة على خديها وأمسك بوجهها بين يديه وتطلع فى عينيها وقال لها بكل ود:

- حبيبى ، أنت مستقبل جنسنا، فأنت الأرض الخصبة التى ستنتب الزهور الجميلة فتكون واحة الأمان للأجيال القادمة، فعليك تقعد آمال كبرىة فليس من السهل علينا أن نضحى بك بهذه السهولة نعم أنا الملك لكن أبقى مجرد رجل وسيأتى الكثير من الرجال من بعدى، أنت رمز الحياة يا "سماريدس".

أرادت "سماريدس" أن تبدى اعتراضها، فوضع يده على فمها، وأردف قائلاً:  
- الموضوع أكبر مما تتصورى، أنا أعرف جيداً هدف "دنهش" من شروطها لذلك لن أسمح لها بالانتصار علينا، سنرحل من هنا ويكفيننا أننا قتلنا المعلون "ميمون أبانوخ" وأفقدناهم بعضًا من قوتهم.

وفجأة أثناء حديثها أقتحم "سارى" الخيمة وبادر أخيه "ساران" بقوله:

- لماذا قررت العودة إلى "أقناموس" ونحن لم ننهى حملتنا الحربية بعد ولم نقضى على المعلونة "دنهش".

- وضع "ساران" يده على أخته، والتفت إلى أخيه "سارى" وقال:
- لن أنتظر هنا وأترك الماكرة "دنهش" تتحكم فينا وتفرض علينا شروطها ويكفيننا قتل "ميمون" والكثير من الغنائم التي ربحتها في المعركة.
- اقرب "سارى" من أخيه وجثا على ركبتيه وقال لها بنبرة حزينة:
- أرجوك يا أخى أن تعدل عن قرارك، اتركنا نتفاوض مع هذه العجوز حتى نحصل لك على الترياق الشافي.
- قال "ساران" بحزم:
- القرار نهائى يا "سارى" عليك فقط تنفيذه دون جدال أو مناقشة، أو يكون لك رأى آخر وتعصى أمر أخيك الأكبر.
- أمسك "سارى" بيد أخيه وقال والدموع تترقق في عينيه:
- عفوا يا أخى فأنا لا أقدر أن أعصيك أبدا، ولكن مفعول الترياق سينتهى قريباً والمسافة إلى "أقناموس" كبيرة وأخاف عليك.
- كادت الدموع أن تسقط من عيني "ساران" لكنه تماسك وقال لأخيه:
- تخشى على من الموت، لماذا لم تقلها، حتى لو حدث ما تقول فسيكون هذا قدرى ووصيتى أن تحملونى لأدفن فى "أقناموس" أم سأكون حملاً ثقيلاً عليكم.
- انهارت "ساريدس" فى نوبة بكاء، بينما انكب "سارى" على يد أخيه وأخذ يقبلها وقال بصوت متقطع من شدة الحزن:
- لا تقل مثل هذه الكلمات يا أخى، فأنت ستظل ملك "أقناموس".

نظر "ساران" فوجد الوزير و"سواتن" يقفا على مدخل الخيمة، فقال لأخيه الذى لم يلاحظ وجودهما:

- كما أوصى أن تتزوج "سماريدس" من "سواتن" ويقام حفل الزفاف فى الميدان الكبير بالمملكة حتى يشهده الجميع ويظل يتحاكى عنه الناس . فتقع على عاتقها مسئولية الحفاظ على الدم الملكى.

رد "سواتن" بابتسامة وهو ينظر إلى حبيبته "سماريدس" وقال للملك:

- هذا شرف كبير أيها الملك، وسنسعد بوجودك فى حفل الزفاف.

هز الملك "ساران" رأسه ليرد تحية "سواتن"، ثم التفت لأخته وقبل رأسها وتوجه إلى الوزير وسأله عن ترتيبات العودة إلى الوطن، فأخبره الوزير بأن الجيش سيكون جاهزاً للتحرك فى غضون ساعة، كما أخبره أنه أمر بتجهيز محفة خاصة تحمل الملك لأنه لن يستطيع ركوب جواده فطلب منه "ساران" أن تكون المحفة كبيرة لتسمح له باصطحاب أخته "سماريدس" معه حتى يأنس بها طول مدة الرحلة.

عندما مالت الشمس إلى المغيب كان الجيش على أهبة الإستعداد للرحيل وفك الحصار عن "بنى دهمان" الذى استمر قرابة الشهر، حمل الملك "ساران" على محفة صممت خصيصاً لتحمله وبجواره أخته الأميرة "سماريدس" التى كانت قلقة عليه من طول الطريق ووعثاء السفر، وأن بدا أنه سيأنس بها فى الرحلة لكنه اصطحبها خوفاً من أن تقوم "دنهش" بحيلة أخرى..... تحرك الجيش وبدأت رحلة العودة.

\*\*\*\*\*

كان يفصل معسكر الجيش عن أسوار قلعة "بنى دهمان" بعض الغابات والأشجار الكثيفة، لذا لم يتبه الحراس لمغادرة الجيش، وكانت "دنهش" على ثقة من أن الملك "سارى" سيختار أحد الشرطين لإنقاذ أخيه الملك "ساران" من الموت.

فلم تهتم بالسؤال عن وصول أى رسول من عند "سارى" لأنها منحتهم مهلة عدة أيام لذلك كانت تمارس حياتها بشكل طبيعى، فتسهر فى الليل والكأس لا يفارق يدها وفى النهار تذهب إليها "شاروسة" فتحكى لها عن ذكريات الماضى وتفتخر بالحيل التى أوقعت بها الملوك والجبابة.

وحتى عندما أرسل الملك "مُرة الأحمر" فى طلب ابنته "ميرة" ردت عليه بنفس الحجة وبأنها تعيش بينهم فى سعادة فلا داعى للقلق عليها وكانت تهدف من وراء ذلك أن تستخدم "ميرة" طعم تصطاد به "سارى" وأخته إن اضطرتها الظروف لذلك.

كانت تتحدث مع "شاروسة" فتطرق الحديث إلى "ميرة"، فقالت عنها:

- "ميرة" قرية الشبة من العزيزة الراحلة "سيلين"، درسا على يده العجوز "شمهورش" قاض الجن، وجد "سيلين"، كنت لا أحبه ولا هو كذلك، لأنه كان يغرس فى نفوس طلابه بعض القيم التى تخالف طبعنا وصفاتنا، حتى نشأ كل من تعلم على يديه يمقت بنى جنسنا ويعتبر كل مهمتنا هى إغواء بنى الإنسان.

ثم ضحكت وقالت:

- العزيزة "سيلين" أيضا كانت لا تحبني مع أنى جدتها وتحملت مسئولية رعايتها بعد وفاة والدتها، لكن والده "ميمون" أرسلها لتلقى العلم عند صهره "شهورش" فتشربت بصفاته، وعندما عادت إلى هنا في شبابها لم نستطع أن نقومها.

قالت لها "شاروسة":

- ولكن كيف تزوجت "ميرة" من الملك "برقان"؟

تنهدت "دنهش" وهي تتذكر ما حدث، وقالت:

- فى فترة من الفترات كنا على وفاق من الملك "برقان"، فكنا نهاده لنعمل له الحيلة، فى هذا الوقت قبض جنودنا على بعض قطاع الطرق ومعهم الكثير من الجوارى والأموال والجواهر، وكانت "ميرة" من بين الجوارى، وكانت عائدة من الاحتفال بعيد "القرايين" حيث تجتمع بنات الممالك السبعة كما تعرفين وعندما خطفها قطاع الطرق وقبضنا عليهم، لم نتعرف عليها بسبب حالتها الرثة، كما أنها لم تصرح لأحد بحقيقتها، فأراد ابنى الملك "ميمون" أن يرسل هدايا للملك "برقان" فكانت "ميرة" من ضمن الجوارى، فقبل "برقان" الهدايا وكان يجب النساء فأعجب بها ودخل عليها وأنجب منها "سارى" وأخته.

قالت "شاروسة":

- هذا بالنسبة لـ "ميرة"، اخبرينى بما حدث مع "سيلين"؟

طلبت "دنهش" منها أن تملأ لها الكأس، ثم تناولته منها وقالت:

- آه يا "شاروسة" يا عزيزتى، أنت تؤنسى وحدتى لكنك تذكرينى

بالماضى وما وقع فيه من أحداث مؤسفة لبني جنسنا، ثم أضافت:

- منذ عادت "سيلين" من عند جدها "شمهورش" وهى لا تطيق العيش معنا، وصادف ذلك وجود الملعون "ساران" عندنا، كنا نريد قتله لكنها ساعدته فى الهروب ولحقت به، وحدث لها ما حدث وقتلها عبد أسود من عبيد الملك "برقان".

ثم نظرت إلى "شاروسة" التى كانت تتابع تلك الحكايات، وسألتها:

- أ رأيت يا "شاروسة" ما فعل معنا هؤلاء، ألا يستحقون أن نعمل بهم الكثير والكثير ولا تأخذنا بهم رحمة.

مطت "شاروسة" شفيتها، مما سمعت، ثم قالت:

- معك كل الحق أيتها الملكة المقدسة ، فهؤلاء لا يستحقون شفقة ولا رحمة يكفى أنهم قتلوا العزيزة "سيلين" والعزيز "ميمون".

اعترضت "دنهش" على كلامها وقالت:

- القتل كان أبسط ما قاموا به، لكن إنجاب "ميرة" من رجل من بنى جنسهم، هو ما سلب قوتنا التى نتميز بهم عنها، لذا سنظل معهم فى حرب حتى نسترد شرفنا وقوتنا المسلوبة "ميرة" سملت نفسها للملك "برقان" وهى تعلم خطورة ذلك علينا، لكنها تربية "شمهورش" الذى لا يهتم إلا بقيمه ومبادئه البالية، فهو عجوز عفا الحروب وجلس تحت شجرة يعلم الصغار من بنى جنسنا.

أثناء حديثهما الطويل، سمعا طرقًا على الباب، فأذنت "دنهش" للطارق بالدخول، فإذا به الحارس، نهرته "دنهش" على اقتحام خلوتها، فأخبرها أن هناك أمرًا هامًا قد حدث، فانتفضت من مكانه وقالت:

- ما بالك أنت أيها الغبي؟ ما الأمر؟

فاضطرب الحارس من صوتها الأجلش، وقال وهو يحن رأسه:

- جيش "سارى" يا مولاتى المقدسة، لا وجود له.

وقع الخبر على رأسها كوقع الصاعقة، فصمت هنيهة، كأنه تستوعب ما

سمعت، ثم قالت وهى تلوح بيدها فى وجه الحارس:

- ماذا تقول أيها الغبي، ماذا تعنى بأن الجيش غير موجود، هل اختفى؟

- كنا فى فرقة استطلاع كالعادة، وعندما لم نسمع صوت الجنود اقتربنا

أكثر من المعسكر، فلم نجد منهم أحدًا، وتفقدنا الأماكن عرفنا من أماكن النيران أنهم غادروا بالأمس.

- وأين كنتم أيها الأغبياء، ألم تعلموا أننى فى انتظار رسالة منهم لماذا

تغافلتم عنهم، وكيف لا نعلم برحليهم إلا بعد يوم أو أكثر.

لم يستطع الحارس الرد، فاقتربت منها "شاروسة" وهمست:

- أياكون الترياق شفى الملك "ساران" لذلك قرروا الرحيل.

أبعدتها "دنهش" عنها، ونظرت لها بغیظ وقالت:

- عزيزتى "شاروسة" أنت فرحة بأنهم خدعونا، لك أن تعلمى أنه لا

يوجد على ظهر الأرض من يخدع الملكة المقدسة "دنهش".

ثم صرخت بأعلى صوتها، قائلة: إلى حالا بفرقة من "بنى القماقم".

بعد أسبوع من مغادرة الجيش حصار "بني دهمان"، مر الجيش فيه بالسهول والوديان والجبال ومازال "ساران" يرقد داخل المحفة وبجواره "سماريدس" التي بدأت تلاحظ تبدل حالة أخيها الملك ، بعدما ظل لعدة أيام يتسامر معها ، فيتضحكان على الذكريات التي كان يرويها لها ، عن حياتي وطفولته ثم قص عليها حكايات بطولاته بعد أصبح قائدًا لجيش مملكة "أقناموس".

اقتربت "سماريدس" في تلك المدة من أخيها و صارت شديدة التعلق به وكلما جاء أخوها "سارى" ليطمئن عليها كانت تثير غيرته فتضحك وتحتضن أخيها "ساران" لكنها باتت قلقة على أخيها بعدما بدا أن مفعول الترياق لن يصبر عليهم حتى يصلوا بلدهم.

أمر "سارى" الجيش بضرب الخيام طلبًا للراحة بعد مسيرة أسبوع كامل يسابقون فيه الوقت للوصول إلى "أقناموس" ، فجهز الجنود خيمة للملك وهبط من محفته ومعه أخته "سماريدس" ، وكانت حالته مستقرة بعض الشيء، لكنه ليس كمثل الأيام السابقة.

وفي المساء استدعت "سماريدس" أخيها الملك "سارى" فجاء مسرعًا ليرى الأمر ودخل الخيمة، فوجدها تجلس وتضع رأس "ساران" على رجلها وتمسح له عينيه و تبكى، و "ساران" يتطلع لها ويربت على كتفها بكل حب، أثر المنظر في نفس "سارى" فترقرقت الدموع في عينيه، فانتبته له "سماريدس" ، فقال لها:

- ماذا حدث يا أختاه؟ ماذا أصاب الملك؟

التفت له "ساران" وهو يتسم ويرحب به، فرأى "سارى" الدماء عادت مرة أخرى تتساقط من عيني أخيه، فاقرب منه وأخذ يمسح على رأسه ويقول:

- ألم يكن من الأفضل يا أخى أن نوافق على شروط "دنهش"؟  
 حاول "ساران" أن يعتدل في جلسته فساعدته أخته، فأخذ ينظر لأخيه ويقول:  
 - هب أنها كانت اشتربت أن نسجد لها حتى أشفى من علتى، هل كنا نوافقها؟، يا أخى نحن فى صراع مع بنى جنسهم منذ بدأ الخليقة وكل همهم غوايتنا، لكن فاز من صبر عندما ابتلى.

ثم مسح الدماء من على وجهه وأكمل موجهًا كلامه لإخوته:  
 - نحن نفرح بالشمس حين تشرق وتنشر الضياء على الكون، ونحزن حين تغرب ويعم الظلام، لكن لن يغيرها فرحنا بالإشراق، ولن يمنعها حزننا من الغروب، هكذا حياة الإنسان كما لها إشراق لا بد لها من غروب.  
 انهمرت الدموع فى عيني "ساريدس" عندما قال أخوها "ساران" هذا الكلام واحتنضنه، وكانت الدماء جفت بعض الشيء فى عينيه، فطلب من أخيه أن يستكملوا رحلتهم، حتى يكونوا فى بلدهم بأسرع وقت، فانصاع "سارى" لأمر أخيه وأمر الجيش بمواصلة السير.

ساعت حالة "ساران" فى الأيام التالية، فكانت تتتابه حاله من الهياج الشديد مع تساقط الدماء من عينيه، وأحياناً يدخل فى إغماءة طويلة لا يعى ما يدور حوله، وكانت "ساريدس" لا تفارقه لحظة، بينما أصر "سارى" على الإمساك بعنان الجمل الذى يحمل أخيه حتى يكون بالقرب منه.

في إحدى المرات التي حدثت له حالة هياج شديد أخذ يركل برجله كل ما يقابله، وكادت المحفة تسقط من على ظهر الحمل، لكن أسرع الجنود نحوه وأمسكوا بها حتى هدأت حالته، فبعدها طلب من أخيه "سارى" وهو يبكي بكاءً أبلى الجبال والصخور:

- أرجوك يا أخى؛ قيدنى وشد وثاقي جيداً، حتى لا أزيد عليكم مشقة السفر.

فاستعظم "سارى" أن يفعل ذلك بأخيه الأكبر، وصرخت "سماريدس" رافضة ذلك رفضاً قاطعاً، ومع اصراره ورفض إخوته، أمر "سارى" الجنود فصنعت محفة واسعة تحملت على ظهر جوادين وشد وثاقها جيداً حتى لا تسقط. أصبح الجيش على مسيرة يومين من دخول أرض "أفناموس"، فحث "سارى" الجنود على الإسراع في السير، فحالة الملك "ساران" تتبدل ما بين الهياج والهدوء.

- أشعر بأننا اقتربنا من بلادنا، فقد شعرت بهوائها الطيب.  
قالها "ساران" وهو ينام على رجل أخته "سماريدس"، فوضعت يدها على رأسه الساخنه بفعل الحمى، ونظرت في عينيه وابتسمت والدموع في عينيها وقالت له:

- معك حق يا أخى، فنحن بالفعل على مشارف بلادنا.  
قال لها بصوت مجهد، وهو يمسح دموعها بيده:  
- لا تبك يا أختاه، واصبرى وتحملى، فأنت الأمل وكل ما نفعله هو من أجل الحفاظ عليك حتى تنجى لنا من يستكمل المسيرة.

عندما وقف الليل مبتسماً، ينتظر الشمس أن تغرب وترحل لمستقرها حتى يطرح ستائره السوداء وينشر ظلامه على الكون ، دوت صرخة عالية فزع لها الجيش وتوقف، وتوقفت الألسن عن الكلام، وسكنت الخيول عن الصهيل، وناحت الغربان في أوكرها، وبعوت الذئاب في كهوفها.

فقد سكنت روح الملك "ساران" وهو على مقربة ساعات من الوصول إلى قصره الكبير في "أقناموس" ، سكنت روحه بعد رحلة طويلة من قيادة الكفاح والجهاد ضد جنس لا يكل ولا يمل من الصراع المحموم.

أسرع الملك "سارى" عندما سمع صرخة أخته، وكشف ستارة المحفة فوجدها تحتضن رأسها أخيها وتصرخ وتمطل الدموع من عينيها على خد أخيها المسجى عليه، فأعاد الستارة وجثا على ركبتيه وراح في نوبة من البكاء الشديد أبكت كل جنود الجيش فصارت الدموع أنهر بإمكانها حمل سفينة.

أسرع إليه "سواتن" والوزير وأمسكا بذراعيه وأوقفاه، فاحتضن "سواتن" وهو ما يزال يبكى ويتحب، وربت الوزير على كتفه وقال له:

- تجلد يا بنى، فلا مفر من المكتوب لأنه كُتب ولا بد أن يتحقق فاصبر،

واستلم راية الجهاد حتى نحافظ على ما تبقى من جنسنا.

وقال "سواتن" الذى أثر فيه الموقف وبكى كثيراً على ابن عمه:

- كنت أتمنى أن يحضر زفانى على "سهاريدس" كما أوصى، لا بد أن يقام

للملك جنازة تليق به.

نظر "سارى" للوزير وقال له أمراً وقد احمرت عينيه من كثرة الدموع:  
 - أيها الوزير، ينزل جثمان الملك من المحفة ويوضع على خشبه يحملها الجنود حتى القصر، وترسل إلى المملكة بأن يخرج كل الشعب لاستقبال الملك ويطاف بجثمانه كل أنحاء المملكة.

هز الوزير رأسه وقد ابتلت لحيته البيضاء من الدموع، وقال:

- أمرك مطاع يا مولاي وسينفذ في الحال.

في مشهد مهيب تشيب له الولدان، دخل الموكب الجنائزى للملك "ساران" المملكة، يتقدمه النعش الذى يرقد عليه جثمان الراحل، ويحمله بعض الجنود ويسير خلفه الجيش بأسره في مقدمته أخيه "سارى" وعن يمينه أخته تحيط بها بعض جوارياها، وعن يساره ابن عمه "سواتن" ووزيره الحكيم "يوشهور". اصطف الناس على الجانبين، وعم الحزن والبكاء وعلا النحيب وترددت الهتافات التى تودع الملك الراحل "ساران".

شيع الجميع جثمان الملك "ساران" إلى مثواه الأخير، وفي نهاية اليوم عاد "سارى" إلى القصر وهو في قمة الحزن والتعب والإعياء، بينما ظلت "ساريدس" صامته وجلست على سريرها واضعة رأسها بين ركبتيها وهى تزرف الدموع على الراحل.

رافضة الطعام أو الشراب، وبجوارها الجوارى تواسيها وتشد من أذرها.  
 مرت الأيام على نفس الوتيرة من الحزن المستمر، حتى كان اليوم الذى جاء فيه الوزير ودخل على الملك "سارى" وقال له:

- جلالة الملك، لقد مر على وفاة الملك الراحل "ساران" أكثر من أربعين

يومًا، أما آن الأوان لتنفيذ وصيته.

رفع "سارى" رأسه ونظر إلى الوزير، وقال:

- أى وصية تقصد أيها الحكيم؟

فقال الوزير:

- زواجك يا مولاي الملك، كذلك زواج الأميرة "ساريدس" من

الأمير "سواتن"، وقد بحثت في مكتبة القصر كما أخبرنا الملك قبل وفاته

وتوصلت لصلة دم بينكم وبين ملك "دمسيس"

قال الملك "سارى" بحزن:

- أترى أيها الوزير أن هذا الوقت مناسب لما تقوله!

اقترب منه الوزير وربت على كتفه وقال له بود:

- يا ولدى، الأيام لا تقف وجنسنا فى خطر كما تعلم، ولن تقف

"دنهش" مكتوفة الأيدي ولا بد أنها الآن تخطط لحيلة جديدة فلا بد من قطع

الطريق عليها، والحل كما تعلم هو زواج "ساريدس و سواتن" حتى نحفظ الدم

الملكى ونزيد من قوة جنسنا.

تطلع له "سارى" وقال:

- كما ترى أيها الحكيم فلن أخالف رأيك، ولن أعصى وصية أخى الراحل

، أعد الترتيبات المناسبة ليخرج الحفل كما كان يتمنى أخى، وارسل

الملك "دمسيس" بأننا نخطب ابنته.

أعلنت الأفراح في أرجاء المملكة، وعلقت الزينات في الشوارع استعدادًا لزفاف الملك "سارى" على ابنة ملك "دمسيس" و"سماييدس" على "سواتن".  
وحدد موعد الزفاف عندما يصل موكب عروس الملك "سارى"، ومع تواصل التجهيزات والاستعدادات تم عمل منصة كبيرة في أوسع ميادين المملكة ليشهد الحفل جميع طوائف شعب المملكة كما أمر الملك "ساران" قبل وفاته.

وفي الموعد المحدد كانت "سماييدس" داخل غرفتها الكبيرة بالقصر وبصحبتها العديد من الجواري التى يقمن بتجهيزها لتزف إلى الأمير "سواتن"، فتألفت في فستانها الأبيض الطويل، وشعرها المنسدل على ظهرها، وعينيها المكحلتين، وخدها المتورد كالرمان، وتكتسى شفيتها بلون الكرز الشهى.

فبدت كأنها حورية فسيحان من خلقها بهية وحوها الجوارى كالنجوم وهى بينهن كالقمر إذا لاح عنه الغم فنشره الضياء على عتمة السماء.

نفخت الأبواق استعدادًا لبدأ مراسم الزفاف، فصعد "سارى" إلى المنصبه وهو يمسك بيد عروسه، وخلفهما "سواتن" يمسك بيد "سماييدس" وسط الهتافات والزغاريد التى تطلق في كل أنحاء الميدان الكبير ثم صعد قاضى القضاء الذى عينه "سارى" ليقوم بعقد الزفاف.

فبدأت المراسم بتزويج الملك "سارى" على عروسه وما إن انتهى العقد حتى عمت الفرحة ودقت الطبول ، وحل الدور على الزواج الثانى فوقف "سواتن" وهو يمسك بيد "سماييدس" وبينهما القاضى وهو يتلو عليها قانون الزواج.

كان "سواتن" أثناء الزفاف ينظر لعروسه مبتسماً بينما أجبرها الحياء على عدم النظر إلى عينيه وفجأة على حين غرة صدرت صرخة من "سواتن" فاضطربت "سماريدس" ونظرت له فرأت سهماً قد غرس في صدره وكاد يسقط على الأرض، فلحق به بعض الجنود وتحول الميدان لحالة من الهرج والمرج وتبدل الحال وتداخلت الأصوات فلم يعد يُفهم لها معنى، وأسرع "سارى" نحو "سواتن" الساقط على أرض المنصة، فأخذ رأسه بين يديه، وتذكر أخته "سماريدس" فبحث عنها حوله فلم يجدها فصرخ بأعلى صوته قائلاً:

- "سماريدس"، "سماريدس"

\*\*\*\*\*

رَجَّتْ ضحكتها القلعة وهي تجوب أرجاء القاعة وفي يدها كأس الشراب والسعادة تملو وجهها فقد وصلت أخيراً إلى غايتها، فأخذت تتباهى بما فعلته وتقول لـ "شاروسة":

- أخيراً يا عزيزتى "شاروسة" أصبحت الملعونة "سماريدس" تحت أيدينا وقد اخترت لها "صاروف" زوجاً سيدخل بها قريباً بعد أن أشرب من دماء عذريتها.

ثم تذكرت ابنها "ميمون أبانوخ" وقالت بأسى:

- كنت أود أن تكون زوجة لابنى، لكن هذا الحقيير "سارى" سبقنى وسرق روحه، لكن كما ترين يا عزيزتى لقد انتقمت منهم جميعاً فمات الملك "ساران" بعد إصابته، وقتلنا "سواتن" يوم زفافه وخطفنا الأميرة "سماريدس" وهي هدفتنا منذ البداية.

ثم أردفت قائلة، وهي تتطلع لكأس الشراب في يدها:

- كانت فكرة رائعة أن نستعين بفرقة خاصة من "بنى القماقم" فهم يمتازون بالخفة وسرعة الحركة، ونفذوا المطلوب منهم فأصابوا قلب "سواتن" بسهم مسموم أوداه قتيلاً في الحال، واستطاعوا العودة ومعهم "سماريدس".

ظهر على وجه "شاروسة" الحزن، فتصنعت الابتسامة حتى لا تلاحظ "دنهش" حزنها لمقتل "سواتن" فقد كانت تكن له بعض المعزة منذ أن تعرفت

عليه أول مرة وخدمته وأنت به إلى القلعة، لكن حب الأميرة "ساريدس" حماه من الانزلاق في بئر خيانة بنى جنسه، فالحب الصادق يجعل من الشيطان ملاكًا.

تعجبت "دنهش" من منظرها، فقالت لها:

- ماذا حل بك يا عزيزتى "شاروسة" أأست سعيدة بأننا انتصرنا في

النهاية.

ردت "شاروسة" بعفوية كأنها تفكر في أمرها:

- لا.... نعم أنا سعيدة حقًا أيتها الملكة المقدسة.

مطت "دنهش" شفيتها، دليلًا على عدم تصديقها، لكنها قالت:

- استعدى يا عزيزتى حتى نذهب لرؤية المعلونة "ساريدس" في الغرفة

التي سجنتها بها، لأنمرها بالاستعداد للزواج، لابد أن يتم الزفاف قبل أن يتحرك جيش أخيها "سارى" للبحث عنها.

داخل الغرفة الكائنة في الطابق الثانى من القلعة، كانت تجلس باكية حبيبها،

ناعية حظها، متألمة لفراق أخيها، حانقة على وجودها وسط هؤلاء القوم الذين لا تعرف قلوبهم الشفقة ولا الرحمة.

أحست بحركة خارج الغرفة فهت واقفة وهى ما تزال بفستان زفافها الذى لم

يتم وفقدت حبيبها للأبد، ثم نمت لسمعتها صوت ضحكات عالية وفجأة فتح

الباب ودخلت العجوز الماكرة، ففزعت من منظرها وتراجعت للوراء فاقتربت

منها "دنهش" وأمسكتها من ذراعها وهى تضحك، ثم قالت لها:

- مرحبًا بالأميرة "ساريدس" بين أهلها وبنى جنسها.

ثم استدارت للخلف حيث تقف "شاروسة" وقالت لها وهى تشير نحو "سماييدس":

- هل تعرفين يا عزيزتى "شاروسة" أن الأميرة من بنى جنسنا وتحمل نفس دمائنا، حتى أن أمها "ميرة" ضيفتنا الآن جاءت لتحضر حفل زفاف ابنتها الوحيدة على العزيز "صاروف".

أفلتت "سماييدس" ذراعها من يد "دنهش" ونظرت لها بحنق وغيظ وقالت:  
- أنا لست من بنى جنسكم، ولن أتزوج منكم حتى لو كان آخر يومًا فى عمرى، لن أستسلم أبدا ولن أسلم مهما حدث.

جذبتها العجوز الماكرة من شعرها، وقالت والشرر يتطاير من عينيها:  
- ليس لك اختيار أيتها الملعونة، فهذا أمر الملكة المقدسة ولا بد أن تنفذه وإلا قطعنا رأسك وعلقناها على أبواب القلعة.

رأت "شاروسة" أن الحوار سيتطور، فأرادت أن تهدئ من حدة "دنهش" فقالت:

- أرى أيتها الملكة المقدسة أن تتركينى معها، فأنا فتاة مثلها وأعرف كيف أقنعها بالموافقة.

ثم هزت رأسها حتى تطمئن "دنهش"، التى نظرت لـ "سماييدس" بسخرية واستدارت نحو الباب وغادرت الغرفة وتركتهما، فأخذت "شاروسة" بيد "سماييدس" وأجلستها على طرف السرير وقالت لها بود، حتى تكسب ثقتها:

- لم أكن أعلم أنك بهذا الجمال، له كل الحق "سواتن" أن يجب رقيقة مثلك، لكن تأملت كثيرًا لما حدث له.

تعجبت "سماييدس" من كلامها عن "سواتن" كأنها تعرفه، فقالت لها مندهشة:

- وهل كنت تعرفين "سواتن" ابن عمى؟!

سارت "شاروسة" بعيدا بعضة خطوات واستدارت بظهرها وقالت:

- كنت أعرفه حق المعرفة، فقد قابلته وأتيت به إلى هنا عندما هرب خوفاً بعد مقتل الملك "برقان"، وهنا تقابل مع "دنهش" وطلبت منه أن يساعدها في القضاء على الملك "ساران"، لكن الواضح أن حبك منعه من تنفيذ اتفاقه مع "دنهش"، يا له حقاً من فارس شجاع.

تغير وجه "سماييدس" بعدما علمت بأنه كان هناك اتفاق بين حبيبتها وبين الماكرة لقتل أخيها الملك، فلاحظت "شاروسة" هذا التغير فأسرعت قائلة:

- لا تظلمي "سواتن"، فقد رحل وتركنا ولا يبقى إلا ذكره بالحق وأنا أقر أمامك أنه كان مرغماً على الموافقة على كلام "دنهش" والدليل أنه لم ينفذ الاتفاق الذى كان بينها.

أخفت "سماييدس" الدموع التى تتساقط من عينيها حزناً على حبيبتها "سواتن" وقالت وقد اطمأنت لـ "شاروسة" قليلاً:

- هل حقاً أمى هنا عندكم كما تقول "دنهش"؟

اقتربت "شاروسة" منها وقد ابتسم ثغرها، فجلست بجوارها وربتت على كتفها وقالت:

- والدتك الملكة "ميرة" هنا منذ مقتل الملك "برقان" احتفظت بها  
 "دنهش" هنا وقد طلبها والدها الملك "مُرة الأحمر" أكثر من مرة لكن الماكرة  
 رفضت وتعللت بأنها تعيش بيننا معززة مكرمة.  
 نهضت "ساريدس" واقفة، وقالت:  
 - أين هي؟ أريد مقابلتها فلم أرها من سنوات بعيدة، منذ تم اختطافنا أنا  
 وأخي "سارى" من قِبل قطاع الطرق.  
 - بالطبع يا عزيزتى، سأطلب من الملكة "دنهش" أن تسمح لك بلقاء  
 والدتك الملكة "ميرة"، فلا تقلقى، لكن عليك الآن الموافقة على الزواج كما  
 طلبت منك الملكة.  
 ثم أمسكت بذراع "ساريدس" وتطلعت فى عينيها وقالت بود:  
 - وافقى، وثقى بى.

\*\*\*\*\*

امتلات المائدة الكبيرة بالذ وأطيب أنواع الطعام والشراب، وجلست الملكة المقدسة على رأس المائدة وعن يمينها جلست الملكة "ميرة" بجوارها ابنتها "ساريدس" وعلى يسارها كانت هناك "شاروسة" وبجوارها "صاروف" الزوج الذى اختارته "دنهش" للأميرة "ساريدس".

ابتسمت "دنهش" وهى تنظر إلى "ساريدس" وقالت لها:

- أنا سعيدة جدًا بموافقتك على الزواج يا عزيزتى "ساريدس" لكن لماذا طلبتى أن يكون الزفاف بعد ثلاثة أيام!

ردت "ساريس" بابتسامه ثم خفضت رأسها بحياء، فضحكت "شاروسة" وقالت:

- أرجو من الملكة المقدسة "دنهش" أن لا تسبب الحرج للأميرة.

مطت "دنهش" شفيتها، ثم نظرت بخبث وقالت:

- يبدو أن الأمر كما توقعت، لا بأس، فما زال أماننا الكثير من الترتيبات فلا بد من الانتظار حتى يصل جميع ملوك الممالك السبعة لحضور حفل الزفاف الأسطورى الذى انتظرته منذ مولد العزيرة "ساريدس".

ثم تنهدت وقالت حزن وأسى:

- كنت أتمنى أن يقوم على مراسم الزواج هذا العجوز "شهورش" قاضى الجن، لكننى لست على وفاق معه وأجزم أنه لن يقبل دعوتنا لحضور حفل الزفاف لذلك سيقوم بالمراسم بدلا منه جدك الملك "مرة الأحمر".

نظرت "سماريدس" إلى والدتها ثم نظرت إلى "شاروسة" وقالت:

- حقًا ما تقولين أيتها الملكة المقدسة، لكم اشتقت لجدى وأتلهف على رؤيته والتحدث معه فلم أسعد بمقابلته أبدًا.

ردت عليها "دنهش" بابتسامه، ثم نظرت إلى "صاروف" المنشغل بتناول الطعام وقالت له موبخة:

- ماذا حل بك أيها الأبله! أيشغلك الطعام عن مشاركتنا الحديث يا لك من غبى فبعد أيام قليلة ستصبح زوجًا لأجمل فتاة من بنى جنسنا.

رفع "صاروف" بصره وابتسم ابتسامه باهته وقال وفمه مملوء بالطعام:

- أى حديث تقصدين أيتها الملكة المقدسة، فلم انتبه لما قلتِ فضحك الجميع على منظر جسمه الضخم، وكلامه السفیه، فقالت "دنهش":

- لا عليك، فقط استمر في غرس رأسك وسط الطعام.

فرغ الجميع من تناول طعامهم فقاموا وتركوا "صاروف" وهو مازال يأكل بنهم.

ذهبت "سماريدس" إلى غرفتها بصحبة "شاروسة" التى أصبحت ملازمة لها منذ حضورها وصارا يقضيان الكثير من الوقت فى الحديث والسهر حتى الفجر.

وفى الصباح بدأ توافد المدعون لحضور حفل الزفاف، فجاءت وفود تمثل جميع ممالك الجن تحمل معها الكثير من الجواهر والهدايا الثمينة ما عدا "بنو النعمان" وكبيرهم "شمهورش" لم يرسل أى هدية أو أى شخص يقدم التهنتة.

كانت "دنهش" مشغولة بترتيبات الزفاف واستقبال الوفود المشاركة وتركت أمر تجهيز العروس "سماريدس" لأمها "ميرة" و"شاروسة" وجلست فى البهو

الكبير وبالقرب منها الملك "مُرّة الأحمر" الذى أثنى على مقدرتها وحكمتها،  
وهناها بالانتصار على مملكة "أفناموس" ثم قال:

- أنا شديد الشوق لرؤية ابنتى "ميرة" وحفيدتى العزيزة "سماييدس"  
هزت "دنهش" رأسها شاكرة له ثناءه عليها وقالت له:

- بالطبع يا عزيزى ستراها وتجلسوا جميعا تتسامرون، لكن هن الآن  
مشغولات بالتجهيز للزفاف الميمون.

فى اليوم السابق للزفاف، أقيم حفل استقبال كبير لكى يتعرف الجميع على  
العروس الجميلة التى انتزعوها من عرين العدو لتعيد لهم قوتهم المسلمية.  
هبطت "سماييدس" درجات السلم وخلفها الجوارى يرفعن لها ذيل فستانها  
الطويل وبجوارها تتألق "شاروسة" فى فستان أسود كشف عن كتفها ، استقبلها  
جدها وهو فاتح ذراعيه قائلاً:

- أهلاً بعزيتى "سماييدس" لقد اشتقت كثيراً لرؤيتك.

فأسرعت "سماييدس" نحوه والقت بنفسها بين ذراعيه، فاحتضنها بقوة  
فقالته:

- أهلاً بك يا جدى العزيز، أنا أيضاً اشتقت لك، وقد حدثتني الملكة  
المقدسة عنك كثيراً، وعماً فعلته من أجل أن أكون بينكم و سعيدة لحضورك حتى  
تكون بجوارى يوم زفافي.

ابتسم وقال وهو يحتضنها بيده:

- بالطبع يا حبيبتي، فأنا سأقوم على مراسم الزفاف، لا تقلقى

ثم أراد أن يسألها عن حياتها الماضية في مملكة "أقناموس" فقال:  
 - أظن أنك لم تجدى السعادة إلا بيننا نحن نبو جنسك، لكم لاقيت من  
 الشقاء يا عزيزتى بسببهم، أليس كذلك؟

فانتبهت "دنهش" لسؤاله، فصاحت قائلة وهي تقترب منها:  
 - أرجو من الملك "مُرة الأحمر" ألا يتحدث عن الماضي، فهي الآن تستعد  
 ليوم زفافها فلا نريد ما يكر صفو سعادتها.

فأحس الملك "مُرة الأحمر" بأن "دنهش" تخفى عنها بعض الأشياء ولا تريد  
 من أحد أن يذكرها بحياتها الماضية مع إخوتها في مملكة "أقناموس" فهز رأسه  
 وقال:

- أين الملكة "ميرة" ابنتي؟ ولماذا لم تأتى لتشاركنا السهرة؟  
 أشارت "سماريدس" نحو باب القاعة، فنظر "مُرة الأحمر" فرأى ابنته  
 بصحبتها "شاروسة" يتوجهون نحوهم ، اقترب منها واستقبلها مبتسماً  
 فاحتضنته وهي تبادله الابتسامة ، ثم رحبت به وأخبرته بأنها اشتاقت له  
 ولملكتها.

عزفت الموسيقى وبدأ الجميع في سعادة وفرح، والساقى يدور على الجميع  
 بالكؤوس المملوءة بأجود أنواع الخمر المعتقة منذ أمد بعيد.  
 وكانت "دنهش" تمسك الأميرة "سماريدس" في يدها وتدور بين الحضور وتعرفها  
 عليهم وتصفها أمامهم بأنها أجمل فتيات بنى جنسهم وستكون في يوم من الأيام  
 الملكة المقدسة التى ينصاع لأمرها كل ملوك الممالك السبعة.

انتهى الحفل في ساعة متأخرة من الليلة، فذهب الجميع لأخذ قسطاً من الراحة لأن غدًا هو اليوم الموعود ليقام فيه زفاف "سمايريدس" على "صاروف"، هذا اليوم الذى انتظرته "دنهش" طويلاً وتمنى نفسها أن يمر بسلام حتى تصل لغايتها المنشودة.

فصعدت "سمايريدس" وبصحبتها "شاروسة" كالعادة إلى الطابق العلوى حيث غرفتهم فدخلا وهما يضحكان ويتغامزان، وبعد أن استبدلا ملابسهما اقتربت "شاروسة" منها وهى تضحك وقالت لها:

- فى الغد سيقام لك أكبر حفل شهدته مملكة "بنى دهمان" وتصباحين أجمل وأرق عروس.

ثم مدت لها يدها بكأس الشراب، فغمزت لها "سمايريدس" بعينها وهى تضحك وتمدها لتتناول منها الكأس.

\*\*\*\*\*

صعدت الشمس من كهفها التي قضت به ليلتها، فاستيقظت مبكرًا ونشرت ضياءها على الكون، فدخلت أشعتها من نوافذ القلعة التي تكتسى جدرانها باللون الأبيض وتحيط بها أشجار الفاكهة من كل الأنواع، وتكثر في ربوعها المساحات الخضراء، التي تشعرك بأن مصدرًا لنسيم دائم طوال العام. استيقظت "ساريدس" وجلست على طرف السرير وبدا عليها الارتباك واستضاف وجهها الحياء فملاه باللون الأحمر، فأصبحت كأنها تنافس ضياء الشمس أو نور القمر.

اقتربت منها "شاروسة" ونظرت لها وقالت:

- ما بك يا "ساريدس"؟ ما الأمر يا عزيزتي؟

ثم ضربتها بدلال على كتفها وهي تضحك وتقول:

- الأمر أسهل مما تتوقعى يا عزيزتى، قومى الآن واستبدلى ثياب النوم فقد سبقتنا "ميرة"، ولا بد أن نلحق بها، فالجميع فى انتظارنا بالأسفل.

قامت "ساريدس" واستبدلت ثيابها، وساعدتها "شاروسة" فى اصلاح هندامها وهيئتها، وأمسكت بيدها وخرجتا من الغرفة وتوجها إلى الأسفل ودخلا حجرة الطعام وتناولوا الفطور مع الملكة "ميرة" التى سبقتهم بالجلوس على المائدة، وبعد أن فرغوا من طعامهم، أتى لهم الخادم ليصحبهم إلى حيث سيقابلهم الملك.

سارت "ساريدس" خلف أمها و"شاروسة" يقودهم قائد حراس القلعة، وكانت تتطلع يمينًا ويسارًا فترى المساحات الخضراء فى كل مكان فرأت أشجار وأزهار لم ترها من قبل وبهرت بجمالها ورائحتها الطيبة.

وصلوا إلى أقصى الجهة الشرقية من القصر، فأشار الحارس بيده نحو باب كبير مفتوح على مصراعيه وقال لهم:

- تقضلوا بالدخول حتى يأتى سيدي الملك.

وقبل أن يدخلوا من الباب، سألته "ميرة" عن الملك، فأشار بيده نحو غرفة مفردة في ركن من الحديقة، غرفة تشبه الصومعة، وأخبرها أن الملك في خلوته وسيخرج بعد قليل ليقابلهم ويتحدث إليهم، فهو يعلم بوجودهم وأمر بحسن معاملتهم وضيافتهم.

دخلت "ميرة" غرفة الاستقبال ومن خلفها "ساريدس" التي تشبث بذراعها بينما "شاروسة" تضحك على منظرها.

ظلت "ساريدس" تستكشف أرجاء الغرفة، فرأت الكثير من الكتب الضخمة مرصوفة على أدراج قد علقت على الحائط بلونه الأبيض كباقى غرف القصر، وفي وسط الغرفة علقت صورة كبيرة لرجل تبدو عليه الهيبة ويكسو وجهه لحية بيضاء زادت من وقاره.

بعض لحظات انتبهوا عندما وقف الحارس على الباب، وصاح قائلاً:

- سيدي ملك "بنى نعمان"، صاحب التاج الأبيض، قاضى الجن، جلالة الملك المعظم "شمورش" يدخل الآن.

ما أن سمعت "ساريدس" بالاسم حتى تشبثت أكثر بأمها "ميرة" و صديقتها "شاروسة" وظهر الخوف جلياً على ملامحها.

دخل الملك "شهورش" والابتسامه تملو وجهه والوقار يسير في ركابه فحياهم بهدوء واتجه نحو كرسي كبير في الواجهة المقابلة لباب الغرفة، ونظر لهم بود وقال:

- أرى أن العزيزة "ساريدس" خائفة بعض الشيء.
- ثم ضحك حتى ظهرت نواجزه وقال حتى يزيل مهابة اللقاء:
- هكذا يفعل الكثيرون عندما يسمعون اسمي، فالملعونة "دنهش" أخبرت الجميع عنى عكس الحقيقة، فأنا لا أرضى عن فعال بنى جنسى وأثرت الابتعاد عنهم بسبب شرهم الدائم.
- التفت نحو "ميرة" وقال وهو يشير بيده:
- العزيزة "ميرة" من تلاميذى، تعلمت منى الكثير من الدروس عندما كانت هنا ومعها حفيدتى الراحلة "سيلين".
- فهزت "ميرة" رأسها وهى تبتسم، فسكن روع "ساريدس" بعض الشيء عندما شعرت براحة نحو هذا الرجل العجوز، الذى استكمل كلامه قائلاً:
- ما الأمر يا عزيزتى "ميرة"؟ فلم أشأ أن أقابلكم بالأمس وفضلت أن أترككم للحصول على بعض الراحة بعد رحلتكم الشاقة.
- قالت "ميرة" وهى تربت على كتف "ساريدس" حتى تشعرها بالأمان:
- لم يعد لنا إلا أنت يا معلمى العزيز نلجأ إليه، فقد انقطعت بنا السبل، ولقينا من حياتنا نصبا.

فابتسم لها الملك "شهورش" وقال لها بلطف:

- أعلم كل شيء يا بنيتى، فقد وصلنى كل ما فعلته معكم "دنهش"

حتى أنها لم تجرؤ أن تدعوني لحفل الزفاف، فهي تعلم جيداً اعتراضى على كل ما تفعله ، و أنا أيضا أعرف أنها لا تخاف إلا منى ، لذلك فهي تتجنب الصدام معى منذ أن حملتها مسئولية موت ابنتى " ست المحاسن " و من بعدها مقتل حفيدتى العزيزة " سيلين " .

كلامه عن رفضه لكل أفعال " دنهش " ، جعل الراحة تتسلل إلى نفس " سماريدس " فبدأت الابتسامة تعود إلى وجهها ، حتى أنه لاحظ ذلك ، فأشار نحوها وقال :

- أعلم ما حدث لك يا عزيزتى ، لكن ما لا أعلمه إلى الآن كيف هربت منها

ضحكن جميعاً ، وبدأت " شاروسة " تقص على الملك ما حدث، فقالت:

- عندما علمت بقدم " سماريدس " إلى القلعة بعد قتل " سواتن " وخطفها على يد قرفة من " بنى القماقم " بالاتفاق مع " دنهش " ثارت نائرتى وازدادت حنقى و بغضى لها ، خصوصاً بعدما تعاملت مع " سواتن " من قبل و أعلم مدى طبيته و أنه رفض الانصياع لها و خيانة أبناء عمه .

كان الملك " شمهورش " يتابع باهتمام ، فأكملت " شاروسة " قائلة :

- و أرادت " دنهش " أن تستكمل خطتها و تزوج " سماريدس " من السفية " صاروف " حتى تضمن أن يكون تحت طوعها ، فطلبت منى أن أكسب ثقة " سماريدس " ، و أعطتني ترياق مسحور أقطر منه كل ليلة فى شرابها فيجعلها تكره حياتها الماضية بين إخوتها و تحب " دنهش " و توافق على الزواج ، لكنى أخبرت " سماريدس " بالحقيقة ، و اتفقت معها أن تتظاهر بأنها

تتناول الشراب المسحور و أنه أثر عليها فصارت تطيع " دنهش " في كل ما تأمرها به .

ضحك الملك " شمهورش " وقال :

- يا لك من ماكرة يا عزيزتى " شاروسة " فحياتك الطويلة مع " دنهش " علمك المكر والخديعة مثلها تمامًا .

دخل عليهم الخادم يحمل في يده دورقًا كبيرًا ، و وضعهم أمامهم ، فقال الملك  
باسمًا :

- تفضلوا الشراب ، ولا تخافوا إنه ليس مسحورًا فهذا شراب التوت الشهى .

ضحكوا على كلام الملك ، و قالت " ميرة " مستكملة حكاية هروبهن من  
القلعة :

- صدقت " دنهش " أن الشراب أثر على " سماريدس " و جعلها تأتمر  
بأمرها دون تفكير ، و هذا يرجع لبراعة " سماريدس " في إيقان دورها .

أراد الملك " شمهورش " أن يزيل الرهبة عن " سماريدس " ، فشحجها  
بقوله :

- كيف استطعى خداعها يا عزيزتى " سماريدس " ؟

ابتسمت " سماريدس " بحياء و قالت :

- أظهرت لها أن أسير وقف هواها و أن عقلى توقف عن التفكير ، فكنت  
أنفذ كل ما تطلبه منى ، و استحملت سفاهة المدعو " صاروف " و أخذت  
الأطفه أمامها لتتأكد أنى متلهفة على الزواج منه .

تدخلت " شاروسة " قائلة :

- و ليلة الزفاف اتفقت مع حارسين أثق بهما ، فأتيا لى ببعض الحبال و جهزا لنا بعض الخيول و وعدانى بغض الطرف عن هروبنا ، فصعدنا غرفتنا بحجة الحصول على الراحة استعدادًا للزفاف و أغلقنا باب الغرفة جيداً و ربطنا الحبال فى نافذة الغرفة و هبطنا فى جناح الليل ، و تخفينا حتى خرجنا من بوابة القلعة و صرنا بالخارج ، و عندما أصبحنا فى مأمن و تأكدنا من أن القوم لا يشعرون بهروبنا ، و لم يتبع أحدهم أثرنا .

هنا قالت "ميرة" بعدما تناولت بعضًا من شراب التوت :

- بعد هروبنا أشرت عليهم بأن لا مفر و ملجأ لنا نحتمى به إلا أنت يا معلمى، فأنا أعلم جيدًا أن الملعونة " دنهش " لن تجرؤ على المجيء إلى هنا .  
قال الملك "شمهورش" بحزم :

- نعم يا عزيزتى ، أنتن فى أمان الآن ، و لن تستطيع " دنهش " أن تنفذ إلى أقطار مملكتى إلا بسُلطان منى ، فقرن عينًا فأنتن هنا على الرحب و السعة  
فقال " سماريدس " بتردد :

- بالتأكيد أن أخى الملك " سارى " يبحث عنى ، و قد يتعرض للخطر إن اقترب من قلعة الملعونة " دنهش " ، فلا بد أن أرسل له رسالة لكى يعرف أنى فى أمان فيطمئن ، فهل يسمح الملك بذلك ؟

نهض الملك " شمهورش " من مكانه و اقترب منها و أخذ يربت على كتفها و يقول : لا تقلقى يا بنيتى ، لكن فى مثل هذه الظروف لا يصح أن نرسل له رسالة بل سنذهب نحن إليه ، فأطمئنى .

مر أكثر من شهر على الحادث الذى وقع فى الميدان الكبير بالمملكة ، منذ مقتل الأمير "سواتن" و اختطاف الأميرة "سماريدس" اتشحت فيه مملكة " أقناموس " بوشاحها الأسود و أعلنت الحداد حزناً على فراق الأعبة .

و جلس الملك " سارى " فى باحة المُلْك تصاحبه همومه و أحزانه ، فدخل عليه الوزير الحكيم " يوشهور " فرق لحاله و قال له بدفاء :

- لا تقلق يا بنى ، فقد أخبرتنا مصادرنا أن الأميرة " سماريدس " بخير ولم تتزوج بعد ، و قد أمرت بتجهيز حملة كبيرة و سنحررها قبل أن تجبرها الملعونة " دنهش " على شىء .

فرفع " سارى " رأسه و نظر للوزير ، و قال بأسى :

- لقد فشلت فى تنفيذ وصية أخى الراحل الملك " ساران " ، و ستتزوج أختى " سماريدس " من بنى جنسهم و يضع كل ما تعبنا فيه من أجل الحفاظ على قوتنا ، و سنصبح بعد ذلك تحت سيطرتهم و غوايتهم و نخضع لهم ، و ستتكرر نفس الحالة التى مر بها " ساران " مع الكثيرين منا .

اقرب منه الوزير الحكيم ، و قال له :

- لا تقل هذا الكلام يا بنى ، فلا يقنط من الرحمة إلا الضالون ، و لا بد أن نتمسك بالأمل و نتجلد بالصبر .

- هب الملك "سارى" واقفًا ، و سار بعضة خطوات ، ثم التفت للوزير وقال:
- أين هذا الأمل الذى تتحدث عنه أيها الحكيم ؟ ! ، فالواقع الآن يقول أن " سماريدس " تحت أيديهم و لن يغمض لهم جفن حتى يزوجها أو يقتلوها و يملؤا الكؤوس بدمائها ، و هذا ما خاضوا الحروب من أجله .
- ثم أكمل كلامه معاتبًا الوزير :
- لقد قلت منذ اختطافها أن نجهز الجيش و نهجم على قلعة الحقيرة "دنهش" و نحطمها فوق رأسها ، لكنك اعترضت على الفكرة .
- دافع الوزير عن نفسه ، فقال :
- كان لابد أولاً أن تأكد أن من خطفها هم من أتباع " دنهش " لأن أوصافهم لم تنطبق على جنود مملكة " بنى دهمان " ، و بالفعل كانوا فرقة من " بنى القياقم " .
- أنت تعلم جيداً أيها الوزير ، أن جميع ممالككم لا تعصى أمرًا للملعونة فهم يعتبرونها ملكتهم المقدسة .
- قال الوزير لكى يطمئن الملك الثائر عليه :
- مازال أمامنا الوقت ، و فى الغد ستتحرك بالجيش ، و نحرر الأميرة فلا تقلق ، فعليكم الآن أيها الملك الصعود لغرفتكم لأخذ قسطًا من الراحة .
- قال الملك " سارى " و هو يستعد لمغادرة القاعة :
- من أين تأتى هذه الراحة أيها الأب الحكيم ؟ !
- غادر " سارى " القاعة و صعد إلى غرفته ، و هو فى قمة اليأس و الإحباط يحمل فوق كتفه من الهموم ما تنوء عن حمله الجبال الرواسى .

فأحست زوجته بما يكابده ففضلت عدم التحدث معه و هو في هذه الحالة ، فتركته ليرتاح ، و خرجت من الغرفة بعدما جهزت له الحمام، و رتبت له السرير. انتهى " سارى " حمامه و توجه ناحية السرير فصعدته و استلقى على ظهره ، و ثبت بصره إلى أعلى فتخيل صورة أخيه " ساران " و هو يحتضن " سماريدس " و يوصيه بالمحافظة عليها ، و ظل على حالة الندم و التحسر على ما حدث حتى غلبه النوم .

أسرعت " سماريدس " نحوه فاتحة ذراعها ، فاستقبلها بابتسامة تحاكي ابتسامتها الرقيقة فاحتضنته بشدة كأنها تودعه ،

ثم جذبها من حضنه أناس تكتسى باللون الأبيض فألبسوها فستانًا أبيض فصارت تشبههم ، ثم انطلقت بدلال يضاهى رقتها ، و أخذت تعدو ... و الأرض تطوى أمامها و تتسع ، فكانت كلما خطت خطوة نبتت الزهور خلفها ، و ما زالت تجرى و تبتسم و تشير بيدها و الزهور تزداد نموًا و كثرة ، و على الجانبين وقف الكثيرون يهتفون باسمها و يقدمون لها التحية .

ظل واقفًا مكانه ينادى عليها و يشير لها بيده أن تعود فلم يصل إليها صوته فقد كانت ابتعدت جدًا ، ثم تحولت لنسر جميل ، نظر النسر خلفه و نفص جناحيه ثم حلق في السماء و اختفى ، و الناس مازالت تشيعه بنظراتها و تهتف و تودعه . هب " سارى " من نومه مفزوعًا بعدما سمع طرقًا على باب الغرفة ، فاستيقظ و مازال ما رآه في نومه معلقًا بذهنه .

إذن للطارق بالدخول ، فإذا هو الحاجب الخاص به انحنى تحية للملك الذى

صاح :

- ما بك أنت ، ما الأمر ؟ !

انحنى الحاجب مرة أخرى وقال :

- عذرًا مولاي الملك ، فالوزير الحكيم فى انتظاركم لأمر هام

قال " سارى " وهو يغادر السرير بتثاقل :

- هل استعد الجيش للتحرك ؟

- الأمر لا يتعلق بالجيش يا مولاي.

فتعجب الملك " سارى " وأشار للحاجب بيده أن ينصرف ، على أن يلحق به.

بعد لحظات كان الملك " سارى " يهبط درجات السلم مسرعًا ، و ما أن وقع

بصره على الوزير بادره قائلاً:

- ماذا حدث أيها الوزير ؟ لقد أفزعنى طلبك فى هذا الوقت المبكر .

قال الوزير :

- على رسلك يا جلالة الملك ، فقد وصلنا من حراس الباب الغربى

للمملكة بأن هناك موكبًا كبيرًا قد ولج أرضنا

منذ مدة ، و بعد سويحات قليلة سيكون على مشارف القصر .

سار الملك أمام الوزير متوجهًا لغرفة الاستقبال ، ثم التفت للوزير قائلاً :

- أى موكب ؟ ! و كيف يسمح له بدخول أراضينا دون معرفة سبب

قدومه.

- فقال الوزير وهو يجلس بعدما جلس الملك و أشار له بالجلوس :
- و هل مثل هذا الأمر يمر على دون تحقق ، لقد تبينت بنفسى أن الموكب يقوده الملك " شمهورش " ، و لم يقصد إلا الزيارة و تقديم الهدايا .
- تعجب الملك " سارى " عندما سمع اسم الملك " شمهورش ، فقال :
- و لماذا يأتى إلينا الملك " شمهورش " ، أليس منهم ؟ ! ربما تكون حيلة من حيل الملعونة " دنهش " .
- أشار الوزير بيده نأفياً ما قاله الملك " سارى " و عقب قائلاً :
- لأظن ذلك أيها الملك ؛ " شمهورش " ليس على وفاق مع " دنهش " منذ وفاة ابنته الملكة " ست المحاسن " التى كانت زوجة للملكة " ميمون أبان نوخ " و ازدادت القطيعة بينهم بعد عدائها المستمر مع " سيلين " .
- أطرق الملك " سارى " رأسها مفكراً ، ثم قال للوزير :
- المهم ألا تعطلنا هذه الزيارة المفاجئة ، فلا بد أن يستعد الجيش للتحرك فى الوقت المحدد
- بالطبع يا مولاي الملك ، سترحب بالملك " شمهورش " و نعرف سبب الزيارة ثم نتحرك بالجيش .
- استأذن الحاجب فى الدخول ، فأذن له ، فأخبر الملك " سارى " بأن الضيوف وصلوا القصر و يطلبوا المثلول بين يدى الملك ، فأشار له " سارى " بأن يسمح لهم بالدخول و وضع تاج الملك على رأسه و جلس على كرسى العرش فى انتظار دخولهم .



بعد لحظات أعلن الحاجب عن دخول الضيوف فصاح قائلاً :

- الملك " شمهورش " و مرافقوه يدخلون الآن.

دخل الملك " شمهورش " من الباب و هو يمشى بوقار ، و سكينته ، و هيبته ، زادت منها كبر سنه و طريقة مشيته و لحيته و ملابسه و التاج الأبيض الذى يضعه فوق رأسه ، يسير خلفه ثلاث جوارى ، لا يرى منهن شىء .

قام الملك " سارى " من على كرسى العرش ، و سار خطوات حتى منتصف القاعة و استقبل الضيوف ، قائلاً :

- أهلاً و مرحباً بالملك " شمهورش " فى بلادنا ، فقد سمعنا عنكم الكثير لكن هذه المرة الأولى التى نلتقى بكم.

ابتسم الملك " شمهورش " ، ابتسامة أضاءت وجهه ، و قال :

- لنا الشرف يا أيها الملك أن نحل ببلادكم ، و نرجو لكم دوام صلاح الأحوال ، فأنتم خير خلف لخير سلف .

رد الملك " سارى " بابتسامة رقيقة ، و قال :

- عذرنا الوحيد يا جلالة الملك أننا لن نستطيع مرافقتكم أثناء زيارتكم الميمونة ، لكن هذا لا يمنع أنكم هنا على الرحب و السعة و أن قررتم المكوث فى بلادنا حتى نعود فالمملكة تتشرف بكم .

ثم أشار الملك " سارى " لضيفه بالجلوس ، و عاد هو إلى كرسيه الكبير فجلس عليه ، ثم أشار إلى الوزير و قدمه للملك " شمهورش " ، فهز الوزير رأسه تحية للضيف ، فأبدا الملك " شمهورش " معرفة السابقة بالوزير ، و أثنى على إخلاصه و حكيمته.

نظر الملك " سارى " بتعجب للجوارى الثلاثة فما زلن يقفن فى منتصف القاعة تقريبا و لم يسمع لهن أى صوت ، فلم يشأ أن يسأل عنهن، حتى بادره الملك " شمهورش " و سأله ، قائلاً :

- لو سمح لى جلالة الملك ، فقد سمعت منذ قليل أن وراءكم أمر هام و لن نتشرف بمرافقتكم أثناء زيارتنا ، أليس كذلك ؟

هز الملك "سارى" رأسه و قال مؤكداً على كلامه :

- بالفعل يا جلالة الملك ، فنحن بعد قليل ستتحرك على رأس الجيش فى حملة كبيرة و نتجه إلى ديار " بنى دهمان " لنحرر الأميرة " سماريدس " من قبضتهم ، و الأخذ بالثأر لمقتل ابن عمنا الأمير " سواتن " .

ابتسم الملك " شمهورش " ابتسامه تعجب " سارى " لها ، ثم قال :

- لم يعد هناك داعى لتحرك الجيش و محاصرة " بنى دهمان " .  
انزعج " سارى " و نظر لوزير الحكيم ثم التفت إلى الملك " شمهورش " و قال :

- أنا لا أفهم ماذا يقصد الملك " شمهورش " من كلامه ؟ !

ضحك الملك " شمهورش " و وقف من مكانه و اقترب من " سارى " الذى وقف بدوره احتراماً لضيفه و اجلاً لفارق السن بينهما ، ثم أردف الملك الضيف ، قائلاً :

- هل تذكر يا بنى ، الجواهر الثلاثة التى أعطتهم حفيدتى " سيلين " لوالدكم الملك الراحل " برقان " .

هز " سارى " رأسه بالموافقة ، وقال :

- نعم أذكر ذلك ، فمعى واحدة و أخرى مع أختى " سماريدس " والأخيرة كانت مع أخى الراحل الملك " ساران " ، لكن ما مناسبة هذا الكلام الآن ، و ما علاقة الجواهر بتحرك الجيش و تحرير الأميرة من الأسر .

نظر الملك " شمهورش " إلى الجوارى الثلاثة ، و قال و هو يشير نحوهن :

- لقد جئت لك أيها الملك الصغير ، بثلاث جواهر ، هن أثمن ما فى الدنيا و من كن معه لن يحتاج لقطع المسافات و محاصرة الأعداء ، فهن سيشغلن عن الدنيا و ما فيها .

ظهرت بوادر الحيرة و التعجب على ملامح الملك " سارى " و أخذ ينظر لوزيره الحكيم " يوشهور " الذى لم تكن حالته أفضل منه ، فأشار " شمهورش " نحو الجارية الأولى ، فتقدمت خطوتين و كشفت عن وجهها ، ثم عقب قائلاً :  
- الجوهرة الأولى ، العزيزة " شاروسة " ، هى الأقرب لقلب " دنهش " ، لكنها ملت من أفعالها و قررت اللجوء إليكم لحمايتها ، فأرجو المحافظة عليها و عدم تركها ، كما حدث مع حفيدتى " سيلين " .

انحنت " شاروسة " برأسها تحية للملك " سارى " و الوزير ، و لم تنطق بكلمة ، ثم أشار الملك " شمهورش " إلى الجارية الثانية فتقدمت و كشفت عن وجهها ، فقال :

- الجوهرة الثانية ، الملكة " ميرة " ابنة الملك " مرة الأحمر " التى تمردت على الأفعال الشريرة لبنى جنسها و فضلت الزواج من بنى جنسكم ، فتزوجت من الملك الراحل " برقان " ، و أنجبت منه ذكر و أنثى .

ذهل الملك " سارى " عندما رأى أمه بعد كل هذه السنوات حتى كاد ينسى ملاحظتها ، فذهبت المفاجأة بعقله فلم يستطع أن يتحرك خطوة نحوها ، بينما هي ظلت تنظر له بكل حب و ود ، و لم تتقدم أيضا كأنها تنتظر الأمر ، أكمل " شمهورش " التعارف و قال :

- أما الجوهرة الثالثة ، فهي الأعلى قيمة و الأعلى قدرًا ، لأجلها نعيش ، و نضحى بالغالى و النفيس من أجل المحافظة عليها ، فهي الأرض و العرض ، فهي الماضى و الحاضر و المستقبل ، لأجلها قامت الحروب منذ بدء الخليقة ، لكننا سنحميها و نحافظ عليها .

ثم اقترب منها ، و عندما كشف عن وجهها بدت كالقمر الذى لاح من بعد الغيم ، كانت تتلألأ كالجوهرة ، تبتسم كالأطفال ، تبرق عينيها كبحيره صافية .  
ألجمت المفاجأة الجميع ، فأمسكوا عن الكلام ، و اكتفوا بالنظر فى دهشة و تعجب ، فاستكمل الملك " شمهورش " كلامه و هو يشير نحوها :

- إنها هي ، و ستظل هي دائما رغم أنف كل حاقد أو حاسد أو مُستغِل أو مُستغَل أو عميل من هنا أو من هناك  
إنها جوهرة الجواهر ، إنها الرفيق و الأنيس و الصحبة و الألفة ..... إنها الأميرة " سماريدس " .

\*\*\*\*\*

أيام صعبة عاشتها " دنهش " بعد اكتشافها هروب الثلاث الجواهر التي كانت تحتفظ بهن لمساعدتها في خطيئتها وحيلها في الصراع مع العدو ، فلم تعد تتقبل أى كلام أو مناقشة مع أحد ، و تبدلت أحوالها و أهملت العناية بنفسها فزدادت قبحًا على قبح .

ظلت ملازمة لغرفتها و لم يستطع أحد الدخول عليها و تركوها بمفردها حتى تعود سيرتها الأولى ، حتى أن الملك " مرة الأحمر " قرر عدم العودة لمملكته إلى حين الاستقرار على رأى فيما حل بهم من مصيبة هروب " سياريدس " و من معها ، و لما طال به المقام قرر الدخول على " دنهش " غرفتها و مناقشتها فيما يجب أن يفعل ، توجه لغرفتها و طرق الباب فلم ترد عليه ، فأراد أن يعود ألداجه فسمع أنين هامس ثم زاد و أصبح عواء كعواء الذئب ، فدع الباب و دخل عليها ، فقابلته رائحة نتنة أغلق أنفه على الفور ، و أسرع بشد الستائر و فتح نوافذ الغرفة التي كانت معتمة تمامًا ، و عاد يبحث عن الملكة " دنهش " فوجدها تستلقى على الأرض مسندة ظهرها على طرف السرير و حالتها رثة .

فصرخ بأعلى صوته ، فجاءت الجارية على الفور ، فنهراها على عدم الاعتناء بالملكة ، فأخبرته بأن الملكة المقدسة ترفض المساعدة من أحد حتى أنها أصبحت تبول على نفسها كل يوم ولا تستبدل ثيابها ، و فى كثير من الأحيان تقضى ليلتها و هى فى صراخ متواصل و لا تهدىء إلا بعدما يهزمها النوم ، لقد ذهب هروب " سياريدس " بعقلها ، لا يفارق كأس الشراب يدها ، فأصبحت معظم وقتها غائبة عن الوعي و لا تفق إلا فترات قليلة .

فأمرها أن تأخذها بالقوة و تحممها ، فاستدعت بعض الجوارى لمساعدتها و أدخلوها الحمام و هى تنظر إليهن فى بلاهة ، و كانت تضحك ثم تصرخ ثم تلطم وجهها .

انتظرها الملك " مرة الأحمر " فى غرفة الاجتماعات ، فجاءت بعد أخذ حمامها تسندها الجوارى حتى أجلسوها على كرسى كبير ، فطلبت منهن الشراب المخصص لها ، نظرت نحو الملك " مرة " و قالت بكل أسى و حزن :

- أ رأيت ما فعلته بنا ابنتك و حفيدتك ؟ ! لقد خانوا جنسنا ، لقد انتهى جنسنا يا " مرة " ، فأرخى الملك عينيه إلى الأرض و أمسك عن الكلام و لم يستطع الرد ، فصرخت فى وجهه ، و قالت :

- لماذا لا ترد على ؟ ! و لو كنت قتلتهما ؛ أكنت تتأرلها منى .

- ابنتى عندك منذ مدة و لم تفكر فى الهروب ، لا بد أن هذا تخطيط الملعونة " شاروسة " .

تنهد الملكة " دنهش " و قالت بأسى :

- آآآآه منك يا " شاروسة " إن رأيتك مرة أخرى لن يكفينى إلا أن أمزق

قلبك بأسنانى يا معلونة ، أهذا جزاء تربيتى لك منذ كنت صغيرة .

فاقترب منها و كاد يضع يده على أنفه فتذكر أنها اغتسلت و استبدلت

ملابسها ، و قال :

- لم آتى إليك لتتعاتب فىما حدث ، بل لنرى ما سنفعله لنعيد هيبتها

الضائعة ، و قد وصلتني رسالة أود أن أطلعك عليها .

مطت " دنهش " شفيتها وقالت:

- رسالة ! ، و هل ستخرجنا تلك الرسالة مما نحن فيه أم ستزيد من همومنا.

قال " مرة الأحمر ":

- أرجو منك أولاً أن تنصتى جيداً للرسالة و ستجدين فيها إجابات لكل ما يدور برأسك من أسئلة ، و تعرفي من الصديق و من العدو.

هزت " دنهش " رأسها و أشارت إليه بقراءة الرسالة ، ففتحها وبدأ يقرأ قائلاً:

- إليك أيها المغرورة السليطة الماكرة.....

لكم نصحتك بأنهم جاءوا لعمار الأرض و لكنك لم تسمعي للنصح و لم تعملي بالنصيحة ، و ما زلت على نفس حالتك من المكر والأذى لكل ما هو جميل في الحياة ، و كل هدفك الانتقام من جنسهم لأن بسببهم تم طرد أبينا من الرحمة و نسيت أنه عصي الأمر و أخذ بثأره و تسبب في طرد أبيهم من النعيم ، و أنا أخبرك بأن " سماريدس " عندي و ستعود لأخيها و تتزوج من جنسهم و تنجب و تعمر الأرض ، و لتعلمي أن كيدك كان ضعيفاً .

ازداد جنون " دنهش " عندما علمت بأن " شمهورش " هو من أرسل الرسالة ، فألقت الكأس من يدها و اسود وجهها و أخذت تدور حول نفسها في الغرفة و هى و تصرخ و تلطم و تحطم كل ما يقابلها ، ثم اقتربت من " مرة " و أمسكته من ثيابه ، ثم سقطت على الأرض مغشياً عليها .

\*\*\*\*\*

أقيمت الأفراح داخل مملكة "أقناموس" فُعَلقت الزينات ونُحرت الذبائح ونُصبت الموائد، وخرج الناس في الشارع فرحين بانتهاء الحرب وعودة الأميرة "سماريدس" إلى ديارها بعد غياب لعدة سنين، لاقت فيها الكثير من الأخطار والأهوال.

كان "سارى" أسعد الناس لأنه استطاع الانتصار على العدو وتنفيذ وصيه أخيه الراحل والحفاظ على حياة أخته "سماريدس"، فقرر أن يحل الملك "شمهورش" ضيفاً عليهم لمدة أربعين يوماً، لأن الفضل يرجع إليه في العودة بوالدته وأخته سالمين وفوت الفرصة على "دنهش" وأعوانها وحرّمهم من تنفيذ خطتهم الباغية.

أعدت "سماريدس" الحياة للقصر بل لكل المملكة، فكانت كالفراشة الرقيقة تجرى وتمرح وتوزع السعادة على الجميع وقد خصها الملك "شمهورش" بالجلوس معها طويلاً فيذكر لها الكثير من علمه وحكمته، فازداد القرب بينها وأصبحت مؤمنة بأفكاره ومبادئه.

وفي ليلة بعد أن مر على عودة "سماريدس" حوالى عشرة أيام، كان الجميع على المائدة يتناولون طعام العشاء، طلب الملك "شمهورش" عقد اجتماع مع الملك "سارى" والوزير الحكيم "يوشهور".

فهز "سارى" رأسه مرحباً بالاجتماع، وبعد الانتهاء من تناول الطعام، توجهوا الثلاثة إلى قاعة الاجتماعات بعد أن أمر "سارى" بإحضار الشراب تحية

للملك "شمهورش"، الذى أجلسه "سارى" على رأس الطاولة تقديرًا لقيّمته واحترامًا لسنه، فبدأ الملك "شمهورش" الكلام قائلاً:

- منذ بداية الخليقة والكل يعرف أنكم فى حروب متواصلة مع العدو، وكم من جبار حاول اختطاف "سماريدس" منكم لكنه لم يتمتع بها ولم يقدر على الخلاص من لعنتها التى تصيب من يحاول الاعتداء عليها، فكم من مرة تختطف وتعود، تختطف وتعود وفى كل مرة يتم اختطافها نظن أنها ماتت وانتهت؛ لكنها كانت تعود أقوى، وهذا إن دل فإننا يدل على أن هناك قوة عليا تحفظها وترعاها؛ لذا فهى باقية بقاء الدهر.

كان الملك "شمهورش" يتحدث، و"سارى" ووزيره ينصتون باهتمام، لكن الوزير قاطع كلام "شمهورش" وقال:

- عذراً يا جلالة الملك، كلامكم يحتاج للتفسير بعض الشيء.

فوقف الملك "شمهورش" والابتسامه لا تفارق وجهه وقال موجهاً كلامه لـ "سارى":

- اعلم يا بنى، أن "سماريدس" مهما مرت عليها الأيام وشاخت ستظل بكرًا، فلن يزيد لها مرور الدهر إلا جمالاً وجاهاً وقدراً وقيمة، تؤتى أكلها كل حين لأنها أرض خصبة.

ثم توقف عن الكلام، فنظر له "سارى" واحس بتردده، فقال له:

- وبم تشر علينا أيها الملك الحكيم للمحافظة عليها، فالعدو لن يهدأ وسيحاول أن يتتقم منا مرات ومرات.

تناول الملك " شمهورش " من الشراب ، ثم طأطأ الملك رأسه إلى أسفل وقال :

- القوة العليا التي ترعاها هي الوحيدة القادرة على حمايتها والمحافظة عليها ، فلا بد من التضحية بها لإنقاذها و انقاذكم.

مط " سارى " شفثيه و ضيق عينه متعجباً و نظر للوزير ، وقال بعصبية :

- كيف تكون التضحية بها هي السبيل لإنقاذها ؟

هل بعد كل تلك الحروب و الدماء التي بذلناها ، نضحى بها بسهولة .

ثم هب واقفاً و توجه ناحية باب القاعة مغادراً الاجتماع بعد لم يعجبه رأى الملك " شمهورش " و ما أن فتح الباب حتى فوجىء بـ " سماريدس " تصرخ فى وجهه و تقول:

- ماذا حدث يا أخى ؟ ! و لم ارتفع صوتك فجأة ؟ و لم تركت الاجتماع ؟!

نظر " سارى " خلفه وأشار بيده نحو الملك " شمهورش " الذى كان يقف

عند الباب و بجواره الوزير ، ثم استدار و نظر لأخته ، و قال :

- لقد أحسنا ضيافة هذا الملك ، لكنه الآن يهدى بكلام مثل كلام الملعونة

" دنهش " ، و يريد أن نضحى بك بحجة إنقاذك و إنقاذ بنى جنسنا .

قالت " سماريدس " لأخيها:

- لا تقل هذا الكلام على الملك " شمهورش " فهو ليس مثل " دنهش "

وإن كان من بنى جنسهم ، لكنه مختلف عنهم و لا يجب الظلم أو الغواية .

ثم أسرع نحوه وأمسكته من ظهره والدموع في عينها ، وهى تقول:  
 - لقد منعتنى من التضحية من أجل أن يعيش أخى العزيز " ساران "  
 ولن أسمح لك الآن أن تحرمنى شرف إنقاذ بنى جنسنا جميعًا ، أنا موافقة على  
 رأى الملك الحكيم " شمهورش " إن كان سينهى هذا الصراع .  
 فالتفت لها " سارى " واحتضنها بقوة ، فاقترب منها الملك " شمهورش "  
 ورتب على كتفه وقال :

- استسلم للأمر يا بنى ، واعلم أننا لا نفرط فيها ، بل نحن نحافظ عليها  
 وعلينا ، وكن على يقين أنها لن تموت و ستعود أقوى ، ستعود روحها و تسكن  
 جسد فتاة بكر مثلها ، فـ " سماريدس " معنى والمعنى لا يفنى .

فتدخل الوزير الحكيم " يوشهور " فى الحوار وقال :

- كم من بطل ضحى بروحه و قُتل فى الحروب مدافعًا عن أرضه  
 وعرضه فقد قتل الملك المعظم " برقان " و من بعده ولده الملك " ساران "  
 التى قتل غدراً بعد رحلة طويلة من الكفاح ، ورفض أن يعيش على حساب حياة  
 غيره ، و استسلم للقضاء ، هب أن الأميرة " سماريدس " كانت رجلاً و قتل فى  
 الحرب ، أكنت معترضًا على القدر ؟ !

لم يستطع " سارى " الرد عليهم ، فافلت من حضن أخته و سار حتى أقرب  
 كرسي و ألقى جسده فوقه و هو يضع يده على وجهه ، فجاءت أمه " ميرة "  
 مسرعة و خلفها " شاروسة " فقد علما بالأمر عندما ارتفع صوت " سارى " ،  
 فأرادت الأم أن تعترض فاستوقفتها " سماريدس " قائلة بحزم و هى تسير  
 بينهم:

- لقد تم اختطافي منذ كنت صغيرة وكان من الممكن أن أموت أو أقتل ، وتم بيعي كجارية وأنقذني أخى " ساران " ، وتم إلقائي في اليم وأنقذني أخى " سارى " ، و قتل حبیبى " سواتن " يوم زفافنا أمام عيني و اختطفتم وكان من الممكن أن أقتل أو أتزوج الأبله " صاروف " وأنقذنا الملك "شهورش " ، في كل مرة كان من الممكن أن أقتل رغماً عنى ، لكن الآن سأموت باختيارى لأمنح الحياة لغيرى .

ثم بكت بحرارة و أبكت من حولها ، و جرت نحو " شاروسة " واحتضنتها ، ثم احتضنت أمها الملكة " ميرة " ونظرت بابتسامة تزينها الدموع للملك " شهورش " ، وقالت :

- عليكم فقط أن تجهزوا ليوم عرسى حتى أذهب لحبيبى " سواتن " ، أريد عرساً يتحاكى عنه البشر ما بقيت الحياة ، و لا أريد رؤية دموع بعد الآن ، فحتى يجين يوم زفافي لا أريد إلا أن أرى الابتسامة على وجوهكم .

لم يستطع " سارى " أن يتحكم في دموعه ، فتركهم و صعد إلى غرفته ، وألقى بجسده المنهك على السرير ، و فجأة تذكر الحلم الذى رادوه منذ عدة ليالى و أيقن أنها رسالة له ، و عرف أن النسر الذى حلق في السماء و اختفى هو أخته ، و الزهور التى كانت تنبت خلفها هم بنى جنسه الذين ستتقدمهم التضحية بها ، فغلبه النوم بعد ساعات من التفكير المضنى الذى أرهق عقله .

مر ثلاثة أيام و الملك " سارى " لا يخرج من غرفته و لا يتحدث مع أحد ، وفى صباح اليوم الرابع استدعى الملك " شهورش " و الوزير الحكيم "

يوشهور " لاجتماع عاجل و دخل الثلاثة قاعة الاجتماعات الكبرى بالقصر  
وأغلق الباب .

و بعد أكثر من ساعة من الحوار و المناقشة و الشد و الجذب ، جاء الأمر  
بالتجهيز لإقامة حفل كبير تزف فيه الأميرة "سماريدس " للساء ، على أن  
يكون الحفل بعد غدًا حيث سيكون القمر في قمة تمامه و ضيائه و بهائه ، و أن  
تخرج جميع

طوائف الشعب للساحة الكبيرة بالمملكة لحضور الحفل .

و في اليوم الموعد علقت الزينات في الشوارع و بدأ توافد الجموع لكي  
يشهدوا الحفل الكبير ، و الكل يتهامس و يتحدث عن الأميرة التي ستفتدى  
الناس بروحها ، البعض يعظمها و يقدر من شأنها لأنها ستجنّبهم ويلات  
الحروب و لقبوها بـ " رمز الحياة " ، و البعض يشفق عليها و يتمنى ألا تضحي  
الأميرة الشابة بحياتها .

و عصرًا ، كانت العروس قد أتمت زيتها ، فارتدت فستانها الأبيض المطرز  
بأعلى الجواهر ، و وُضع على رأسها تاج من الزهور ، و مُحلت على محفة كبيرة  
يحملها بعض الجنود طافوا بها شوارع المملكة ، و الناس تهتف باسمها و تقول :

سماريدس

سما ... عروس السما

سما ... خصوبة و نيا

تردد الهمات باسمها ، وهى على محفتها توزع عليهم الالبسامات ، وتشير لهم مودعة فيثرون عليها الزهور و الورود ، و أطلقت الزغاريد و تعالت الصيحات ، فى موقف تعانقت فيه الدموع بالالبسامات .

اتجه الموكب المهيب إلى الساحة الكبيرة ، حيث كان فى انتظارها أخوها الملك " سارى " و قد ارتدى زيه الحربى ، و يقف بجواره أمها الملكة " ميرة " وزوجته و " شاروسة " و كن جميعن دامعات العين ، بينما وقف الملك " شهورش " و الوزير الحكيم و قاضى القضاة أعلى المنصة ، هبطت " سماريدس " من على المحفة ، فاستقبلها أخوها فعلقت يدها فى يده و صعد بها المنصة ، و سار معها حتى أجلسها على كرسى كبير صنع خصيصًا لها .

ثم بدأت مراسم الحفل ، فتحدث الملك " شهورش " عن الأميرة " سماريدس " و عدد مناقبها و تضحياتها ، و طلب من الناس إقامة الاحتفالات كل عام فى مثل هذا اليوم و أخذ القدوة و المثل من " سماريدس " و العمل على رفعة شأن بنى جنسهم حتى لو كان يبذل الروح و التضحية بالنفس .

أنهى الملك " شهورش " كلامه و اتجه نحو " سماريدس " و فى يده قدراً صغير وضع بداخله قلب " سواتن " ليصاحبها فى مقبرتها ، لكى تتألف روحها و تعود فى عصر غير العصر و زمان غير الزمان ليحدث بينهما الارتباط مرة أخرى ، تسلمته منه " سماريدس " و احتضنته وهى دامعة العين .

ثم وقف الوزير الحكيم و خطب فى الناس ، قائلاً :

- إن السماء تبكى بدموع الغمام ، و يخفق قلبها بلمعان البرق ، و تصرخ بهدير الرعد ، و إن الأرض تتن بحفيف الريح ، و تضج بأمواج البحر ، و ما بكاء

السياء و لا أنين الأرض إلا رحمة بالإنسان ، و نحن أبناء الطبيعة فلنجانها في بكائها و أنينها .

إن اليد التي تصون الدموع ، أفضل من اليد التي تريق الدماء ، و التي تشرح الصدور أشرف من التي تبقر البطون ، فالمحسن أفضل من القائد و أشرف من المجاهد ، و الفرق كبير بين من يحيى الميت و من يميت الحى .

إن الرحمة كلمة صغيرة ، و لكن بين لفظها و معناها من الفرق مثل ما بين الشمس في منظرها و الشمس في حقيقتها .

ثم صعدت فتاة صغيرة تحمل كأساً من الزجاج الشفاف اقتربت من الأميرة " سباريدس " و مدت لها يدها بالكأس فنظرت " سباريدس " إلى أخيها الوقف و بجواره " شهورش " الذى انحنى تحية لها و ابتسم و هز رأسه لكى تأخذ الكأس ، فأمسكت به ، و تطلعت للجموع التى تهتف باسمها ، ثم رفعت الكأس على فمها و تناول ما فيه من الشراب .

و قام جنود الجيش المصطفون حول المنصة بأداء التحية العسكرية لها ، و أخذها أخوها الملك " سارى " من يدها و هبط بها المنصة و حملت مرة أخرى على المحفة و عادت إلى القصر ، ثم صعدت إلى غرفتها و قد زين سريرها بالزهور و الورود الجميلة .

نامت الأميرة فى سريرها تحتضن قلب حبيبها " سواتن " تحيط بها الزهور . و فى الصباح دخلت عليها الأسرة لإلقاء نظرة الوداع عليها ، فوجدوها تنام على ظهرها و قد أضاء وجهها و انفرج ثغرها عن ابتسامة راقية رقيقة رقراقة .

فعلا نحيب أمها و صديقتها " شاروسة " و زوجة " سارى " و بعض جوارياها ، فأمر الملك " سارى " بإخراجهم ، وبقى هو يصاحبه الوزير الحكيم و الملك " شهورش " الذى قرأ بعض التعاويذ الخاصة أثناء تجهيزها للدفن ، فربط يديها على صدرها و هى مازالت تحتضن قلب حبيبها ، انتهى تجهيزها كما يجب كما أشار " شهورش " و حصنها ببعض المتعلقات و الأقوال . ثم وضعت فى التابوت الخاص بها و معها جواهرها و متعلقاتها و حملت على الأعناق و خرجوا بها من القصر ، حيث شعبيها الجميع بالهتافات و الصيحات و ما زال الجميع يرددون :

سما ... عروس السما

سما ... خصوبة ونا

إلى جهة غير معلومة فى أقصى صحراء مملكة " أقناموس " حمل جثمان رمز الحياة الأميرة " سماريدس " و لم يتبعها إلا أخوها الملك و الوزير و القاضى و الملك " شهورش " الذى أشار بذلك حتى لا يعرف أحد مكان مقبرتها التى أعدت لها بمعرفته .

انتهت مراسم الدفن ، و الملك " سارى " ما زال فى ذهوله لا يصدق ما حدث ، و الوزير بجواره يواسيه ، بينما وقف الملك " شهورش " على مقبرتها ، و قال :

- ارقدى يا " ساريدس " فى سلام ، و اهدىء ، فمن سيحاول أن يمس مقبرتك بسوء ستحل عليه اللعنة ، فأنت " سفيرة الأحلام " .  
و لن يمس مقبرتك أنس و لا جان حتى يأتى من سكنت روح حبيبك " سواتن " جسده ؛ فيفتح المقبرة و يتزوج من سكنت روحك جسدها .

تمت